ذكريَات

علي جـودت

١٩٠٠-١٩٥٨

ذكريات

علي جودت

١٩٠٠ ـ ١٩٥٨

الطبعة الاولى
١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧ م .

مطابع الوفاء - بيروت - ت ٢٥٤٣٨٣

امام الصفحة (٤)



صاحب ال « ذكريات » « الثورة العربية الكبرى » عام ١٩١٦



خارطة بغداد كما مسحها ورسمها معالي السيد رشيد الخوجة
عندما كان رئيس ركن في الجيش العثماني عام ١٣٢٤ رومي ١٩٠٨م
بغداد
دجله نهری
هكذا استلمناها

الى الرجال الذين شهروا سيف الحق والعروبة ، بعد صهره بحرارة ايمانهم القوي بحقهم المغتصب ، وطرقوه بسواعدهم وعزائمهم التي لا تفل ، وصقلوه بصبرهم وجلدهم وصمودهم للمكاره والمحن والعقبات، ثم اودعوه امانة غالية في ايدي ابناء وطنهم ، فانتقل — في غفلة من الزمن — الى اناس يفتقرون الى الكثير من الخبرة والحنكة والحكمة.

الى الذين حاربوا ضد الجيوش الاجنبية الغاصبة ، وتحملوا الجوع والعرى والحرمان ، وتعرضوا الى المهالك والمخاطر ، وضحوا باموالهم وانفسهم ، وفقدوا اعز اخوانهم في ميادين السؤدد والشرف ، لا يبتغون سوى مجد الامة والوطن .

الى الذين حاربوا كل طامع في بلادهم وكل اجنبي اراد ان يقف حجر عثرة في سبيلهم ليحول دون عودة الكيان العربي الى سابق عزه ومجده، في يوم كانت البلدان العربية ترزح تحت سلطان الاجانب وتئن تحت وطأة جيوشهم الجرارة ، ويوم لم تكن هناك دولة عربية واحدة مستقلة تستطيع ان تحتضن هؤلاء المجاهدين لتحميهم .

الى اولئك الشهداء الخالدين الذين « منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

اقدم ذكرياتي هـذه ...

علي جودت

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اتنهت الحرب العالمية الاولى حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ باحتلال البلاد العربية ــ المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية ــ من قبل جيوش الحلفاء « الانكليز والافرنسيين» وبسيطرة حكوماتهم على بلادنا باسم الانتداب الذي فرضته عليها عصبة الامم (١) .

فتجلت بذلك خيانة الحلفاء للعهود التي قطعوها للعرب اثناء الحرب ، اذ بدلا من انجاز تلك الوعود ، لتحقيق مطالب العرب الحقة ، في الحرية والاستقلال لقاء وقوفهم الى صفوف الحلفاء في احلك الايام ، بدأت تلك الحكومات في التعسف والضغط على البلاد العربية ، وفي تقييد حرياتها وسلب خيراتها مما جعل بعض رجال العرب المخلصين وقادة احزابهم ينتبهون الى الخطر المحدق بهم وباستقلال بلادهم ، فهبوا مطالبين بحقوقهم وثاروا في وجه المحتلين في ظروف وامكنة مختلفة (في سوريا والعراق وفلسطين) غير مبالين بقوة جيوش الحلفاء التي كانت تحتل البلاد وتسيطر عليها .

---

(١) عصبة الامم هي الهيئة العالمية التي كانت بمثابة هيئة الامم المتحدة الحالية وكان النفوذ المسيطر فيها انذاك للانكليز وللافرنسيين وقد فرضت الانتدابات على البلدان المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ .

وفي العراق سنة ١٩٢٠ نشبت ثورة مسلحة دموية اجتاحت العراق من شماله الى جنوبه ، واظهر العراقيون فيها بسالتهم وتضحياتهم العظيمة ان في الارواح وان في الاموال ، مكبدين الحكومة المحتلة خسائر جسيمة في النفوس والاموال ايضا .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد رزحت انذاك تحت وطأة العجز المالي الذي ران على خزينتها نتيجة الحرب العامة ، الطاحنة ، وتحت ضغط المشاكل الدولية العديدة التي نشأت في اعقاب الحرب ، رأت (الحكومة البريطانية) ان تعالج الامور الطارئة وتصفيها دون ان تزج بجيوشها من جديد في حرب لا تعرف نتائجها اذا وقعت (١) وان تتجنب الارهاق المالي الآخذ بخناقها من جراء استمرار القطعات العسكرية تحت السلاح ، وبينما هي كانت قد خرجت منتصرة، وحلفائها قد تفرقوا واختلفوا فيما بينهم على توزيع الاسلاب والمكتسبات ، وجدت نفسها مضطرة لاقامة حكومة وطنية موقتة في العراق لتهدئة العراقيين الثائرين الذين كانوا يطالبون باستقلال البلاد بشدة وبدون هوادة .

وكان من حسن الحظ ان اتفقت اراء الرجال الذين قاموا بالثورة العراقية الكبرى وآزروها وساندوها وضحوا في سبيلها ، من زعماء ورجال دين وشيوخ ورؤساء احزاب وطنيين ، على ان يكون احد انجال الحسين بن علي شريف مكة المكرمة رئيسا لهذه الدولة ، وطالبوا بذلك .

---

(١) كانت الثورة الشيوعية ، وتحفز تركيا تحت زعامة قائدها العظيم مصطفى كمال ، وظهور موسوليني في ايطاليا وحرصه الشديد للتوسع واطماع فرنسة التي لا حد لها ، تهدد المنطقة في الشرق الاوسط .

وهكذا استدعى الامير فيصل بن الحسين الى العراق وبعد الاستفتاء الذي جرى في تموز ١٩٢٠ نودي به ملكا على العراق في ٢٣ اب سنة ١٩٢١ • وباشر ورجاله الذين آزروه من اهل البلاد يواصلون السعي الحثيث لتأسيس حكومة عصرية مدنية منظمة ترعى شؤون المواطنين وتقوم باصلاح ما افسدته العصور مراعية بذلك الظروف والاحوال ، وليس في ايديهم سوى الات صدئة بالية يستعينون بها للوصول الى الهدف المنشود وهو الاستقلال •

لم تكن البلاد العراقية في الفترة التي تتكلم عنها عامرة زاهرة كما كانت في عهدي الرشيد والمأمون ، ويوم انتزعها ابناؤها من ايدي الغزاة الفاتحين الذين استولوا عليها وحكموها قرونا عديدة ، فدكوا معالم الحضارة فيها واذلوا اهلها بحكمهم الجائر •

كانت الامور في تلك الظروف معقدة ، وكانت التيارات داخل البلاد متضاربة ، وكانت سطوة الانتداب قوية لا ترحم •

ولم يكن في العراق يومئذ من مقومات الدولة العصرية الا النزر اليسير • فلا مال ، ولا رجال ذوي خبرة ، ولا ثقافة ولا صحة ، ولا ري ولا زراعة ولا صناعة حتى ولا جهاز حكومي وطني يعتمد عليه في ادارة دولة حديثة •

ولاجل ان نقف على حقيقة ما كان عليه العراق يوم صار الى ابنائه وعلى العناصر المؤلفة له ، والاراء السائدة بين بعض طبقاته انذاك، يجدر بنا ان نطلع على المذكرة التي كان الملك فيصل الاول قد كتبها في آذار ١٩٣٢ اي بعد تبوئه عرش العراق، ودرسه احوال البلادواتصاله

المباشر بطبقات المجتمع واطلاعه على اتجاه وميول واراء مواطنيه، وكان قد وجهها الى بعض رجاله ، وكان كاتب هذه السطور ممن خصهم جلالته بنسخة منها للفت نظرهم الى واقعهم ، والى ما يجب عمله خلال ممارستهم اعمالهم ، ليصهروا تلك الكتل البشرية ويجعلوا منها دولة ، بل قوة عصرية تساعدهم بامكانياتها الجبارة على استخلاص البلاد العربية الاخرى من مخالب الدول المسيطرة عليها (١) •

هذه العوامل وغيرها ارهقت الرجال المخلصين من ابناء البلاد الذين اشتركوا في تحمل مسؤولية الحكم وفي ممارسة الاشغال والاعمال في الميدانين الاداري والسياسي •

وعلى الرغم مما كانت تسببه الازدواجية في الحكم (من قبل العراقيين والانكليز معا) ، والمشكلات الداخلية والخارجية وما حدث خلال الاربعين سنة التي مضت من رجات وثورات وقلاقل وسفك دماء تصحبها قلة في المال وندرة في الرجال الاكفاء ، فان حركة التقدم والعمران لم تهمل ولم تفتر هممم الرجال المخلصين يوما عن السعي للحصول على المزيد من الحرية والاستقلال • بل اندفعوا يجاهدون جهادا مقدسا تمثلت فيه الرجولة والاخلاص •

ومع ذلك فقد قامت في الايام الاخيرة دعايات مغرضة ، مضللة في خارج العراق وفي داخله اشترك في ترويجها بعض العناصر الحاقدة ، ودفعت بالبسطاء والمخدوعين من ابناء البلاد الى ان يسلكوا طريق الشطط ويهدموا ما بناه رجاله المخلصون خلال الاربعين سنة وبذلوا

---

(١) المذكرة في نهاية هذا الكتاب .

في سبيله الكثير من دماء ودموع وعرق وعناء .

وعليه فكرت بسائق من الالم المرير بضرورة نشر ما دونته وما وعته ذاكرتي من بعض الاحداث التي لها علاقة بتاريخنا الحديث ، معززة ببعض الوثائق التي بقت في حوزتي . فكرت بذلك عندما رأيت ما حل باخواني المجاهدين الذين ضحوا بأعز ما لديهم وبحياتهم في سبيل القضية العربية وتأسيس دولها . وشاهدت ما لاقوه في اواخر ايامهم من جور وقسوة ، وما اصابهم من ظلم وتشهير للحط من كرامتهم وتلطيخ سمعتهم باكاذيب ومفتريات بعيدة عن الحقيقة ، وعن المرؤة والانصاف .

ان التاريخ لا بد وان يظهر الحقائق آجلا او عاجلا ، لا سيما المؤرخين المحققين الافاضل امثال الاساتذة المرحوم احمد عزت الاعظمي واسعد داغر ومحمد طاهر العمري وعبد المنعم الغلامي وعبد الرزاق الحسني وامين سعيد وغيرهم من الكتاب العرب الذين كرسوا حياتهم لتسجيل احداث الحقبة الاخيرة من تاريخنا ، وقد احسنوا مشكورين بتدوينها ونشرها .

وان «ذكرياتي» هذه وان تكن مقتضبة ، الا ان فيها من المعلومات ما قد تكون مجهولة لدى البعض وقد يكون من المفيد ان يطلع عليها الجيل الناشىء .

وقد شجعني على نشر هذه الذكريات ، الحاح البعض من اخواني الذين اكن لهم اخلص المودة والاحترام ، والذين لا يزالون يتذكرون كيف كان العراق يوم استلمناه .

فاستجابة لتلك الرغبة الكريمة ، اضع (ذكرياتي) هذه بين ايدي القراء الكرام لعلها تلقي شعاعا ولو ضئيلا على بعض الاحداث التي مرت ، وللجهود التي بذلت لتأسيس الكيانات العربية خلال نصف القرن الاخير من تاريخنا .

ولما كنت قد لازمت هذه الحقبة من تاريخنا فقد رأيت من واجبي ــ وقد شارفت الان على خاتمة العقد الثامن من عمري ــ ان اقدم للاجيال الصاعدة شهادتي عن حالة العراق يوم انتزعناه من قبضة المحتلين ، وعن حالته يوم تركناه في سنة ١٩٥٨ ، ولا ابتغي من وراء ذلك جزاءا ولا شكورا .

انما اراني اكرر كلمات ذاك الجندي الباسل الذي سقط في حومة الوغى وفي ميدان الشرف ، طالبا من اخوانه المجاهدين ان يكتبوا على قبره هذه الكلمات :

(ايها الركب المخبون ! قفوا هنيهة واخبرونا ؟ هل كان يومنا مكللا بالظفر ؟ وسواء كان النصر لنا او علينا ، فيا بلادنا اعلمي اننا متنا تحت قدميك) .

بيروت ١٢ ايلول ١٩٦٧

علي جودت

النشـأة الاولـى

لم يكن في الموصل في العهد العثماني ، وحينما كنت ولدا يافعا صغير السن ، سوى مدرسة حكومية ابتدائية واحدة (رشدية ملكية) للبنين ومدرسة واحدة للاباء الدومنيكان (فرنسية) وكانـت بعض العائلات المسلمة ترسل اولادها الى المدارس الحكومية بعد ان تعلمهم القرآن الكريم وقليلا من مبادىء القراءة والكتابة على ايدي من كانوا يدعون (الملالي) .

وبعد ان ختمت القرآن الكريم ، أدخلني والدي في هذه المدرسة الحكومية . ومن الطريف ان اذكر الحادثة الحسنة التي جعلت والدي يهتم بادخالي في هذه المدرسة فورا .

حلمت ذات ليلة باني ارى اهل الموصل في هياج عظيم وقـد خرجوا مـن المدينة الى ما وراء سورها ينظرون الى شعلة نار بعيدة ، وهم في قلق لجهلهم سببها ومنشأها ، فتقدمت انا قائلا « لا تخافوا ان هذا الذي ترونه ليس بنار وانما هو نور الله (١) وبينما كنت اقص رؤياي هذه على والدي ، اذ برجل دين يحترمه الموصليون (٢) ويجلونه كثيرا يمر بنا ، فبادر والدي الى رجائه ان يستمع الى ما اقوله ، وان يفسر هو هذه الرؤيا . فقال لوالدي . « ارسل ولدك الى المدرسة ،

---

(١) ربما كان هذا استيحاء من الآية الكريمة التي علقت بذهني وهـي (الله نـور السموات والارض) .

(٢) ابن الرضواني .

وهذا هو تفسيرها » .

كانت المدرسة ابتدائية كما ذكرت ، وكان ينقص معلميها الكثير من العلم والمعرفة . اذ كانت معلوماتهم لا تتجاوز معلومات المتخرجين في المدارس الابتدائية باستثناء البعض منهم ، وهم قلة ، وبعد سنة من انخراطي في هذه المدرسة قدم الموصل شاب تركي متخرج من كلية في الاستانة هي الـ (ملكية شاهانة) اسمه محمد توفيق . كان مخلصا لعمله ، محبا للعلم داعيا الى الاصلاح ، وقد جاء مزودا بتعليمات من وزارة المعارف العثمانية في الاستانة تقضي بتحويل هذه المدرسة الى اعدادية (متوسطة) فأخذ على عاتقه تدريس اكثر الدروس المهمة ، كالحساب ، والجبر ، والهندسة ، والتاريخ ، واللغة الافرنسية . وقد بحث في الموصل عن بعض المعلمين والمراقبين الذين كانوا يدعون (مبصر) وانتقى منهم من رأى فيهم الكفاءة والمقدرة . اذكر منهم : احمد افندي الجوادي ، واحمد افندي آل قاسم اغا ، ويحيى افندي الذي كان يدرس في مدرسة الاباء الدومنيكان ، ولقد نظم محمد توفيق المذكور المدرسة ومناهجها تنظيما جيدا .

كنا نذهب الى المدرسة باللباس الاهلي الذي كان يدعى (الزبون) ثم ما لبثنا ان صرنا نلبس البزة المدنية . ولكن ذلك كان تدريجيا . ومما اذكره ان المذكور قد استنجد بالمرحوم حسن افندي العمري لانتخاب شكل البزة التي يجب ان نلبسها في المناسبات الخاصة ، وللتعاقد مع احد الخياطين على خياطة البدلات باثمان تتفق ومقدرة اهل التلاميذ على دفعها. وبهذا زاد الاقبال على المدرسة فانتقل اليها الكثيرون من تلاميذ المدرسة الفرنسية ، وجلهم من عائلات معروفة في

الموصل اذكر منهم امجد العمري ، وصديق وفاروق آل الدملوجي ، وداود سليم ورؤوف العطار وداود الشلبي ومحمد علي مصطفى وغيرهم . واشتدت المنافسة بين التلاميذ في الدروس واداء الواجبات المدرسية بفضل ما كان يبثه المدير فيهم من روح التسابق وذلك بمنح المجيدين بعض المكافآت وعلامات التفوق (الامتياز والتحسين) وكان كلما ظهرت على احد التلاميذ مقدرة وتفوق ، لاقى من المدير ما يشجعه على المضي في تنمية مواهبه . وهكذا واظبنا على تلقي الدروس ثلاث سنين ثم وزعت علينا الشهادات من المدرسة الاعدادية الملكية في الموصل بحضور والي الولاية ، واشراف البلدة واعيانها ، وكما وزعت المكافآت على مستحقيها من المتفوقين . وعقب توزيع الشهادات تعين الكثيرون من المتخرجين الذين تسمح لهم اعمارهم بتسلم وظائف حكومية بمرتبات كانت على الرغم من قلتها مغرية في ذلك الحين وهذا بفضل جهود المدير واتصاله بالوالي واصحاب الحل والعقد في دوائر الحكومة تشجيعا للاهلين على ارسال اولادهم الى المدرسة .

(ولم يكن ولاة الامور يتقيدون حينذاك في قضية اعمار الطلاب لادخالهم في المدرسة بأي حد فكان من التلاميذ من يفوقه قرينه في الصف بخمس سنوات او اكثر) .

كنت شديد الرغبة في الذهاب الى بغداد والدخول في المدرسة العسكرية لاغدو ضابطا في الجيش . ولا ادري ما هو الدافع لذلك ولعله كان ميلا غريزيا . ورحت ألح على أهلي بأن يرسلوني الى بغداد للدخول في المدرسة العسكرية ، وكان والدي يماطل في ارسالي . وخشيت فوات الفرصة فرحت اسأل هذا وذاك عن مواعيد القبول ،

وارجع الى والدتي استنجد بها واستميلها بالبكاء تارة ، والتهديد تارة اخرى، لتساعدني على اقناع والدي بارسالي الى بغداد قبل حلول موعد امتحان القبول . وكانت واسطة السفر الوحيدة الى بغداد يومئذ (الكلك) . وليس من السهل على والد ان يرسل ولده . وهو صبي يافع . بهذه الواسطة البدائية التي كان يستغرق السفر فيها عشرة ايام على الاقل فضلا عما كان فيها من اخطار ومهالك . كما انه لم يكن سهلا على والدي ان يترك عمله وعائلته ليسافر معي من الموصل الى بغداد فيقضي شهرا او شهرين بعيدا عن اشغاله وعائلته ، علاوة على ما يقتضيه ذلك من كلفة ومال . ولكن العناية الالهية ارادت ان تساعدني وان تشق لي الطريق التي اردت ان اسلكها . فقد حدث ان سيدتين امريكيتين اتيتا الى الموصل في تلك الاونة للسياحة ومشاهدة الاثار القديمة فيها ، على ان تستأنفا السفر منها الى بغداد . وقد اعد لهما (عرشه) ــ كلك خاص ــ للسفر الى بغداد . واذ كانتا على اهبة السفر وعلم والدي بسفرهما من مضيفهما ، وهو من عائلة الساعاتي المعروفة في الموصل ، وكان صديقا لوالدي ، فحدثهما في امري فوافقتا على ان ارافقهما الى بغداد . وكانتا طوال السفر تهتمان بي كما يهتم الوالدان بولدهما . وقد مضى على تلك الايام اكثر من ستين سنة ولم انس تلك العواطف النبيلة التي اظهرتاها نحوي خلال ايام السفر . وما اظهرتاه من حرص على وصولي الى بغداد ، وايصالي الى دار اقربائي انجازا لما وعدتا به والدي .

وبعد وصولي الى بغداد بقليل توافد عليها آخرون من التلاميذ بغية دخول المدرسة العسكرية (الرشدية) فجرى امتحان القبول ودخلنا

الصف الذي كان حينذاك نوري السعيد وطه الهاشمي من جملة طلابه . لقد دخل اخواني الموصليون جميعهم في القسم الليلي (الداخلي) الا انا فقد بقيت في القسم النهاري (الخارجي) لوجود اقارب لي في بغداد . وسجلت اسماؤنا نحن القادمين من الموصل في آخر الصف ، ولكن ما لبثنا بعد ان جرى لنا اول امتحان حتى قفزنا جميعا الى اوائل الصف ، وحافظنا على هذا المستوى في الرشدية ، والاعدادية العسكرية حتى حلول موعد ذهابنا الى الاستانة .

كنت شديد التمسك بالنظام الدراسي ، ميالا الى الرياضة البدنية والخلقية . امارس الرياضة البدنية على انواعها بانتظام . وكنت اطلعت « في احدى المجلات التركية » على جدول اسئلة يرجع اليه بنيامين فرنكلين في محاسبة نفسه فاستحسنته ، وباشرت تطبيقه في اثناء المدة التي قضيتها في الاعدادية العسكرية ، احاسب نفسي عن الاعمال التي كنت اقوم بها سواء اكانت حسنة ام سيئة ، واعالج اسبابها ودوافعها على الدوام . كما كنت متفوقا في الدروس الرياضية ولا سيما الحساب والجبر والهندسة والمثلثات والقوزموغرافية والطبوغرافية .

الذهاب الى الكلية العسكرية في الاستانة

وبعد ان قضينا ثلاث سنوات في المدرسة الاعدادية العسكرية شخصت واخواني في الصف الى الاستانة سنة ١٩٠٣ بعد ان ودعنا الاقارب والمحبون وشيعونا بالموسيقى عن طريق ديرالزور ـ حلب وكنا حوالي السبعين تلميذا • وقد ذهبنا على ظهور الخيل واستغرقت سفرتنا الى حلب ٢٥ يوما ، ثم انطلقنا منها الى اسكندرونة ، ثم أقلتنا الباخرة الى الاستانة •

ومن ذكريات الرحلة اننا كنا ننهض صباح كل يوم مبكرين ، ونتحرك مع القافلة بعد ان نحمل امتعتنا وخيامنا حتى اذا وصلنا الى موقع ملائم على ساحل الفرات تعاونا على نصب خيامنا وسقي ركابنا ، وبعد العشاء ننام ليلتنا لنتأنف سفرنا في صباح اليوم التالي •

ما كنا نشعر بالتعب ولا الضنك بل كنا فرحين ، مبتهجين بحالتنا • وكان بعضنا يتحايل على الضابط المسؤول عن سفرنا وتنظيم رحلتنا وايصالنا بالسلامة الى الاستانة بقراءة المولد « المولود » وترتيل الصلوات بصوت جهوري مستعيضين بذلك عن الغناء الذي كنا نتوق اليه ، لان الضابط كان شديد التعصب ، يعتبر الغناء امرا مخالفا لما يقتضيه وقار التلميذ الجندي ، وما يجب ان يتحلى به من حشمة • كان المرحوم طه الهاشمي هو الذي يدير الجوقة لان له صوتا رخيما • وكان

يحفظ « المولود » وترنيماته ، فيعصب رأسه بعمته ، ويترنم في المديح النبوي بصوت رخيم ، كما كان الباقون يردون عليه • وهكذا كنا نمضي اشواطا من الليالي مرفهين عنا وعثاء السفر •

وصلنا الى حلب فوجدنا انفسنا كأننا في حلم بعد تلك القرى والقصبات التي مررنا بها وحتى بالنسبة الى بغداد نفسها • نزلنا في « خان » كبير يسمى (خان القبة) • فلم نجد فيه من اسباب الراحة شيئا • فكان كل منا يفرش ما تيسر له على الارض ، ويلتحف الغطاء الذي تداركه عند خروجه من بغداد واستعمله طوال الطريق •

انتظرنا في حلب اسبوعا كاملا ريثما تهيأ لنا « كروان » قافلة الى اسكندرونة • وبعد اربعة ايام وصلنا الى هذا المرفأ حيث بقينا بضعة ايام ننتظر الباخرة ، قضينا خلالها اوقاتا لذيذة • فللمرة الاولى في حياتنا شاهدنا مسارح وبنات يونانيات جميلات يرقصن ويغنين عليها • ثم ركبناالباخرة فمرت تقريبا باكثر الموانيء الواقعة علىطريق الاستانة• ولا تسل كيف كانت حالتنا على ظهر الباخرة حيث كنا ننام على سطحها، وكانت امواج البحر تقذف مياهها علينا حينما تشتد العاصفة فتبللنا وتبلل كل ما لدينا، ولا من معين يهتم بامرنا• ومع هذا فقد حمدنا الله على وصولنا الى الاستانة بعد خمسة واربعين يوما من مغادرتنا بغداد • وقد ذهبنا الى المدرسة الحربية توا حيث استقبلنا اخواننا الذين سبقونا اليها قبل سنة •

وكان قد قدم الاستانة اكثر من سبعمائة طالب من الولايات العثمانية التي فيها مدارس اعدادية عسكرية للدخول في الكليةالعسكرية

(الحربية) وقد جرى امتحان القبول لهؤلاء التلاميذ ، واختبار درجاتهم فكنت ، نتيجة الامتحان ، السابع في الصف والثاني في القسم • وذلك ان الصف كان يقسم الى ستة اقسام بحسب الاصول المعمول بها آنذاك لتسهيل التدريس والادارة •

هكذا وطدنا انفسنا على تلقي الدروس مدة ثلاث سنوات ، وكنت ادرس خلالها الفنون العسكرية وغيرها من العلوم الضرورية لثقافة الضابط • وكنت مولعا بالادب التركي • اقرأ الكتب الادبية لمشاهير الكتاب الترك امثال : نامق كمال ، وعبد الحق حامد ، وغيرهما من الادباء النابهين من أقطاب المدرسة القديمة ، وعشاقي زادة خالد ضياء ، وجناب شهاب الدين ، وراسم ، ومحمد امين ، وامثالهم من الادباء المجددين • كما كنت اتلذذ بقراءة المؤلفات الاجنبية المترجمة الى التركية وبعض المجلات الادبية ، واصرف ما احصل عليه من دراهم على قراءة الكتب ، وانفق مبالغ كانت غير قليلة بالنسبة الي في ذلك الحين على شراء الكتب الممنوع اقتناؤها في عهد السلطان عبد الحميد •

وكانت كتب عبد الحق حامد تحتل مكانة عالية في نفسي لما فيها من بيان ساحر ولما تمتاز به من اسلوب شائق ، ولا سيما تلك التي تبحث عن الفردوس العربي الضائع (الاندلس) وعن طارق بن زياد ، وموسى بن نصير • وفي مسرحية (نظيفة) التي يصف بها بنتا عربية « اندلسية » وشهامتها الفائقة • كل هذه كانت تثير في نفسي الاعتزاز بقوميتي العربية ، وتبعث في شعور العزة والمباهاة ، وتحفزني لاستنباط ما خفي علي من تاريخ امتي فأجدها طافحة بجلائل الاعمال ، واسمى المفاخر • لقد فكرت حينئذ كثيرا واعتقدت بأن العرب لم يفقدوا

ميزاتهم الذاتية يوم انضووا تحت الراية العثمانية • فقد بقي القرآن الكريم دستورهم الحي ، وبقيت اللغة العربية لغتهم القومية ، وانما كان الوازع الديني عظيم التأثير في انقياد العرب للامبراطورية العثمانية المسلمة ، وحملهم على معاونة الترك باخلاص ، وبكل ما استطاعوا من قوة ومواهب ، ولا سيما وان القوانين العثمانية لم تكن تفرق بين التركي والعربي ، وانما كانت تراعي الشريعة الاسلامية وما تفرضه من احكام • ولكن سوء الادارة الذي تفشى في العهد العثماني الاخير ، هو الذي فكك اواصر الالفة والمحبة بين الترك والعرب ، وجعل العرب يتخوفون على مصيرهم مما يبيته لهم بعض غلاة الترك ، فاصبحوا يفكرون فيما يجب عليهم عمله للمحافظة على قوميتهم وكيانهم واستقلالهم •

بقيت ثلاث سنوات في الاستانة ادرس واخواني الفنون العسكرية في الكلية الحربية من جهة ، واتابع قراءة الكتب التاريخية والادبية في وقت الفراغ من جهة اخرى ، وكانت الاستانة كما هو معلوم لدى من زارها ــ ذات مناظر سحرية فاتنة ، وهواء عذب ، ومناخ معتدل ، كما كانت مركز الثقافة الواسعة وملتقى العامة والخاصة ، ومجمع العلماء والشعراء والادباء ، ومهبط الوحي والخيال على الرغم من انها كانت في الحين ذاته مركز الدسائس والمظالم ووكر الجواسيس والمنافقين •

اتممت دراستي في سنة ١٩٠٦ ، وحصلت على الشهادة العسكرية في الكلية الحربية ، ورحت استعد للالتحاق بالوحدات التي ينسب السلطان اصدار ارادته السنية للالتحاق بها • وكنت ترى يومئذ كلا منا منهمكا في اكمال نواقصه واعداد عدة سفره للرجوع الى بلده

ووطنه ليحتضن آله وذويه ، وكان الكل منا وثابا ، طموحا ، تواقـــا للخدمة ، معلقا على كفاءته ونشاطه اعذب الامال . ولم تكن الحقيقـة معروفة لدينا حتى اصطدمنا بالواقع ونزلنا الى ميدان العمل وتولـــي المسؤولية فاذا بعبء الحياة ثقيل واذا بالامال والاحلام تتكسر على هذه الصخرة الصماء .

كانت الكلية الحربية في هرج ومرج فور تخرجنا منها ، وكانـت جموع الطلبة المتخرجين تتكتل ذات اليمين وذات الشمال ، يـزف بعضها البعض بشرى النجاح والفلاح ، ويودع بعضها بعضـــا وداع الفراق . هذا يبرز مسدسا طريفا اشتراه بعد تخرجه ولم يبق لـــدى البائع مثله ، وذاك حصل على بدلة ممتازة خاطها لـه احسن خيـاط وكان يدعى « آلتون مقص » في عاصمة الامبراطورية ، واخر يمتشق حسامه الجميل الذي يبهر الابصار .

كان كل منا يحسب الساعات بل الدقائق حتى تحين ساعة السفر وكنت وزميلي المرحوم السيد محمود اديب منهمكين في انتقاء الكتب المفيدة النادرة ، فكنا نرتاد المكتبات الخاصة باحثين فيها عما يفيد ، ثم نعـود متأبطين العشرات منها علما ان ذلك لم يمنعنا من تجهيز انفسنا بالسلاح، والعتاد ، واللباس ، وسائر اللوازم والضرورات . وفيما كنا كذلـك اخبرنا بان الباخرة التي ستقلنا ستقلع من الميناء في اليوم التالي فعلينا ان نستعد للرحيل ، فكانت مباغتته لنا وبادرت على اثرها الى جلـب بعض الكتب الممنوعة التي كنت تداركتها من قبل ، واخفيتها عن اعـين الجواسيس. وما كدت ارجع بها حتى علمت ان محمودا الاديب صديقي

وزميلي في المدرسة قد اوقف في الحبس المنفرد وصودرت معظم كتبه (١) فذهبت الى الموقف توا لمقابلته والسؤال عن حاله واسباب توقيفه ، فلم يمكنني الحارس من ذلك . ولما كانت طرق الاقناع غير متعسرة آنئذ فقد اتصلت بصديقي ، واخذت منه مفاتيح صناديق الكتب لاهرب منها الممنوع والمعتبر خطرا ، لان بعض الكتب ممنوعة من التداول بشدة ، وكان العثور عليها مع اي ضابط يؤدي الى اعدامه ، او الى سجنه مدى الحياة وقد كتب الله لي السلامة في كل ما عملت اذ اخرجت الكتب المذكورة وحفظتها في حرز حريز ثم انصرفت الى العمل على انقاذصاحبي مهما كلفني الامر . لقدذهبت الى سجنه مرةثانية وسألته عما اذا كان يوافق على الخطة التي اعددتها لتهريبه وخلاصه ، فلما اطمأن اليها خرج من محله في غفلة من الحارس الذي كنت اشاغله ، وجاء الى المحل الذي ذكرته له ، حيث اركبته قاربا أوصله الى الباخرة المعدة للسفر وحجبته عن الانظار وفق الخطة التي دبرها لي صديق عزيز اذ وضعه وراء الصناديق المكدسة ،ووضع فوقها لحاف لتغطيته وبقي يلاحظه (٢) حتى حركة الباخرة ، وذهبت انا لاقف على السلم محتاطا حتى اذا سأل عنه سائل وجهته الى غير الجهة التي كان فيها ، صارفا النظر عنه . وبينما كنت على هذا الحال اذا بموظف من دائرة البوليس السري يصحبه آخر من زملائه يصعدان الى الباخرة ، ويلقيان اسئلة للبحث عن محمود المختبيء فاستطعت ان اقنع الموظف المذكور بأن محمودا كان في السجن موقوفا. فلبث يرتقب مجيئه ليقبض عليه ، حتى اذا اذن موعد السفر واخذت الباخرة تمخر عباب الدردنيل ، زال

(١) فهمت من محمود اديب انذاك انه يشك بأن احد العراقيين من زملائه دس عليه حسدا
(٢) حميد الشالجي .

الخطر • ذلك لان الباخرة كانت اجنبية لا سلطان للسلطات العثمانية عليها ، ولا يمكن لأحد ان يغير سفرها • وعلى الرغم من ذلك كله بقي محمود قلقا حتى اذا وصلنا الى ميناء (مرسين) اعلن رغبته في تسليم نفسه الى قائد المركز هناك ، واخباره بحقيقة الامر • وعبثا حاولت صده عن تحقيق هذه الرغبة فأن الرجل كان مصمما على ان يتحمل كل مسؤولية تنتج عن تسليم نفسه فلا يصل بغداد بصفة الجندي الهارب•

سلم محمود نفسه الى قائد الموقع في «مرسين» وكان هذا القائد الشجاع نبيلا بمعنى الكلمة ، فانه حين احاط بالموضوع تماما ، طمأنني ومحمود اديب الى انه سيبذل جهده لخلاصه ، فان لم يتوفق في مسعاه فانه سيجد طريقة اخرى لضمان حريته • وبهذا اطمأن بالنا ، وودع احدنا الاخر ، وافترقنا بقلوب حزينة ناقمين على تلك الاوضاع المزرية• وبعد مرور مدة قليلة من الزمن اطلق سراح محمود اديب لحسن الحظ ، ورجع الى بغداد ، وساهم في ميدان الجهاد الوطني وكان مثالا للشهامة والمروءة رحمه الله •

في بغداد

وعند وصولي الى بغداد عينت في الشعبة الاولى من دائرة الاركان الحربية التي كان يشتغل فيها المرحومان ياسين الهاشمي وسليم الموصلي (١) وهي دائرة الحركات العسكرية . اشتغلت فيها بجد وكان اشتغالي فيها فرصة ثمينة اكسبتني خبرة فائقة . ولم يمض طويل وقت على اقامتي في بغداد حتى كان الانقلاب العثماني الخطير في سنة ١٩٠٨ واعلان الدستور العتيد . فتراقصت النفوس ، وانشرحت الصدور بعد انكماشها . وعلق الناس على العهد الدستوري الجديد آمالا براقة ، وانتظروا كل خير ورفاه . ولكن سرعان ما ظهر غرور بعض الشبان من جمعية الاتحاد والترقي وصلفهم ، فبرزت مطامعهم الطورانية التي استفزت العناصر غير التركية ، فكان رد الفعل لهذه الاستفزازات ان اخذ بعض رجال العرب يفكرون بصورة جدية في مصيرهم ضمن الدولة العثمانية . وكانت هنا وهناك محاولات ومساع وتكتلات لتأسيس جمعيات لاتخاذ ما يجب حينما تأزف الساعة للعمل المثمر .

لا يخفى ان الدولة العثمانية استولت على البلاد العربية وحكمت الشعب العربي بأسم الدين . وهو في اكثريته الساحقة يدين بالدين الاسلامي وكان للديانة مفعولها القوي . ولهذا تخدر الشعب العربي

---

(١) سليم الموصلي والد الرسام والنحات الشهير جواد سليم .

واهمل قوميته ولا سيما وان الحكام في ذلك الزمن كانوا يمتدحون العرب ، ويمجدون دينهم وقوميتهم بكلمات براقة كقولهم (قوم نجيب عرب) . وكانوا يقربون من يأنسون اليه من رجال ، وعلماء ومشايخ ، حتى وقع الانقلاب فانتبه رجال العرب من غفلتهم ، ووجدوا ان الوقت قد حان للمطالبة بحقوقهم ، والخلاص من الوضع الشاذ الذي هم فيه ، ومن الحيف الذي نالهم من بقائهم تحت الحكم العثماني ، وتحت ضغط الانظمة والقوانين الجائرة والفقر والحرمان وهدر الحقوق الشخصية . وكانت الرشوة علنية وليست قاصرة على طبقات الموظفين الصغار حسب ، بل تعدتها الى المتصرفين والولاة والحكام ، تؤخذ منهم اجورا مقطوعة يدفعها صاحب المصلحة وهو صاغر . هكذا كان الوضع عامة اما المستثنى من ذلك فهو نادر طبعا . وقد زاد الطين بلة حينما سيطرت جمعية الاتحاد والترقي .

من اجل ذلك رحت مع المرحومين جعفر العسكري ونوري السعيد نفكر في تأسيس جمعية تبشر بحقوق العرب وكنت اتصل بالمرحوم ياسين الهاشمي واطلعه على نياتنا وافكارنا ، وكان رحمه الله مع تحبيذه لحماستنا ومساعينا شديد الحذر كثير الكتمان . ولم يتمالك يوما ان قال : والمال ؟ قلت له ان كل واحد منا يدفع شهريا « منكنة » وهي عملة ايرانية كانت متداولة حينئذ في بغداد ومعروفة .

وقد بقينا هكذا حتى رجع طه الهاشمي من الاستانة بعد اكمال دراسته في صف الاركان في الحربية ، وفي طريقه الى اليمن حيث عين رئيسا لاركان الفرقة العسكرية في « صنعاء » وكان رفيقي في الصف

ومطلعا على آرائي بهذا الشأن • فاجتمعنا به وبأخيه ياسين في دار والدهما فاخبرنا بما كان يجري من تكتلات ومساع في الاستانـــة ، واتفقنا على الطريقة التي يجب ان نسلكها للوصول الى الهـــدف • وبقينا نبث افكارنا ، ونبشر بمبادئنا على الرغم مما كان لجمعيـــة الاتحاد والترقي مـــن عيون وعلى الرغم من الاخطار التي كانت تحيط بنا اذا انكشف امرنا •

★★★

ناظم باشا في العراق

اتى ناظم باشا الى العراق واليا وقائدا للجيش ، وقد منح سلطات استثنائية واسعة ، وكانت تصحبه هيئة اصلاح من اقدر الضباط العسكريين • فشرع في الاصلاحات العسكرية والمدنية ، وكانت اكثر عشائر العراق لا تبالي بالحكومة العثمانية ، ولا سيما بعض عشائر منطقة المنتفك فقد كانت ثائرة على الحكومة وكانت السلطة قد ارسلت لمحاربتها قوة قوامها تسعة عشر فوجا مع مدفعية كافية ، لاسنادها ، بقيادة اللواء مظهر باشا دون ان تحصل على اية نتيجة • وكان اول ما قام به ناظم باشا انه امر باستدعاء جميع القوات الحكومية الى بغداد بما فيها القوات المحاربة في المنتفك وجمعها في مركز الولاية ، وباشر تنسيقها ، وتجهيزها ، وتبديل بعض ضباطها وقوادها ، فسكنت العشائر وباتت ترقب ما وراء هذه الترتيبات كما شرع في جلب بعض رؤساء العشائر وملاطفتهم ، واسداء النصح اليهم ، حتى اذا رآهم ملبين دعوته احسن اليهم ، واعادهم الى ديارهم • اما اذا رأى ترددا او جموحا ابقاهم في بغداد ، او امر بنفيهم او تأديبهم بالقوة • وقد اعاد الى الجيش هيبته بتنسيقه وتجهيزه ، وجعل الناس يشعرون بسطوة الحكومة وقوتها

اما القنصلية الانكليزية حينذاك فقد شعرت بالخطر الذي بات يهدد مصالحها في المستقبل ، وراحت تسعى لدى حكومتها لبذل نفوذها في الاستانة في سبيل زحزحة مركز ناظم باشا من العراق ونقله الى محل آخر ، وقد توفقت لذلك بعد مدة قليلة • ومع هذا فقد استقبلته

بحفاوة بالغة حين مر ببومباى عند عودته بطريق البحر الى الاستانة •

وكان رئيس هيئة الاركان الذي رافقه هو (رضا باشا) الـذي قتل في حرب البلقان وكان من اقدر رجالات الترك العسكريين ، كما كان في معيته ضباط آخرون اختارهم ناظم باشا للقيام بالاصلاحات الضرورية في العراق ، ومن بينهم القائد علي نجيب بك الذي كان قد اكمل دراسته للفنون العسكرية في المانيا ، ومارسها اكثر من ثلاث سنوات هناك • وقد اتى به خصوصا لتأسيس مدرسة للضباط الصغار في بغداد كما كان في معيته ضباط اتراك متحمسون وقد انتخب للمرة الاولى من الضباط العراقيين علي جودت وجعفر العسكري ونوري السعيد فقط ، ليساعدوه في هذه المؤسسة • وكان هذا القائد صارما في الانضباط العسكري لا يرحم الضابط الذي بمعيته اذا تأخر دقيقة واحدة عن الوقت المحدد ، وويل له اذا هو اهمل واجبه • كان جهده اليومي يستغرق خمس‌عشرة ساعة في كثير من الاحيان ، وكان لا يبالي عندما يرى بعض الجنود الاتراك يتساقطون وينهارون بتأثير ضربات الشمس المحرقة اثناء قيامهم بواجب التعليم والتمرين ولا سيما في شهري تموز وآب في بغداد ، وفي الساعة العاشرة او الحادية عشرة صباحا •

اما نوري السعيد وجعفر العسكري فقد تركا المدرسة بعد مدة وجيزة ، فذهب اولهما الى الاستانة ليلتحق بمدرسة الاركان ويمم الاخر وجهه شطر المانيا للاستزادة من الفنون العسكرية • وبقيت انا بمعيته اعلم الضباط الصغار الذين يلتحقون بهذه المدرسة من اطراف العراق حتى عام ١٩١٢ •

واحسست في هذه السنة بحاجة ماسة الى الراحة ، كما تاقت نفسي الى مغادرة العراق للاتصال ببعض رجال العرب ومذاكرتهم فيما نحن فيه ، فاتفقنا مع بعض اخواني الضباط على ذلك وطلبنا اذنا من قيادة الجيش بحجة الذهاب لاداء فريضة الحج ، فمررنا بحلب والشام ، ومنها ذهبنا الى «المدينة» ثم رجعناالى (بيروت)والاسكندرية فالقاهرة ، ومنها ذهبنا الى جدة ومكة . وبعد اداء فريضة الحج رجعنا الى جدة ومنها الى البصرة فبغداد . كانت هذه الرحلة مفيدة وممتعة جدا . وعند عودتي الى بغداد انتخبت ملحقا عسكريا للفرقة الخامسة والثلاثين في الموصل حيث تألف الفيلق الثانيعشر فيها بقيادة اسعد باشا الدرزي المشهور . وكان رئيس اركانه ياسين الهاشمي . وكان الوالي سليمان نظيف . وهناك نشطنا في العمل لان الجو كان مواتيا ، وكانت جمعية العهد قد تأسست في الاستانة بزعامة عزيز علي المصري واخوانه من الضباط المتحمسين للقضية العربية امثال الشهيد سليم الجزائري . وكان طه الهاشمي قد اخبرنا عنه حين اجتمعنا به في بغداد عند مروره بها . كما ان المرحوم (جميل المدفعي) قد اتى بمنهاج الحزب من الاستانة الى الموصل . ولذلك انشأنا في الموصل مركزا سريا للجمعية، وباشرنا تحليف الضباط الذين نطمئن الى ميولهم ، وافكارهم ، فحالفنا النجاح والحمد لله .

الحرب العالمية الاولى

وحلت سنة ١٩١٤ فاذا بالعالم يقبل على حرب تكاد لا تبقي ولا تذر ، واذا بالامبراطورية العثمانية تنحاز الى دول اوروبا الوسطى في حربها ضد بريطانيا وحلفائها ، فكان من الطبيعي ان يعلن « النفير » العام في اجزاء الامبراطورية ، وان تعلن الاحكام العرفية ، وان تجهز الجيوش باسرع ما يمكن وترسل الى ميادينها الضرورية لتكون على اهبة الاستعداد لمجابهة الاحداث • فسافرت مع الفرقة (الخامسة والثلاثون) الى حلب وبينما كنا هناك اذا باحمد جمال باشا يعين قائدا اعلى للجيوش العثمانية في سوريا ويأتي الى حلب في طريقه الى دمشق • وقد انتهز جمال باشا هذه الفرصة فاستعرض فرقتنا ، واحال لفيفا من ضباطها على التقاعد ، كما طرد لفيفا آخر ليرهب الاخرين ، وليفرض سلطانه وهيبته على النفوس • وهكذا اندفع هذا القائد الاتحادي الخشن في تيار البطش • ولم انس ان المرحوم ياسين الهاشمي قد تنبأ في هذه الاثناء ، وفي احدى اجتماعاتنا السرية بقوله « يظهر ان جمال باشا قد اتى الى سورية ليبطش باحرار العرب » ثم ما لبثنا حتى ايقنا معشر الضباط العرب ما تنطوي عليه سياسة هذا القائد من الفتك بالعرب ، ومناهضته لامانيهم الوطنية • وقد تحمس بعضنا واقترح وجوب قتله غيلة وقبره مع نياته السيئة قبل ان تستفحل شروره ، ولكن زميلنا الحصيف ياسين الهاشمي عارض هذا الاقتراح خشية ان يؤدي هذا العمل الى الفتك بكثير من الضباط العرب انتقاما

لقتلــه ٠

وبينمـــا نحن ، تشغل بالنا هذه الافكار ، بلغنـــا ان الجنرال الانكليزي ديلامين ، قائد الفرقة الهندية ، قد احتل مدينة البصرة فـي الثاني والعشرين مـن شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ ٠ ثم لم يلبث ان تقدم بقوته الصغيرة نحو القرنـــة (موضع اقتران دجلة بالفـرات) فاحتلها في التاسع مــن شهر كانون الاول من هذه السنة ٠ وحيث ان القيادة التركية العامة كانت قد ساقت الجيش العراقي الى جهـــات (القفقاس) ولم تبق في العراق قوة دفاعية كافية ، فقد صدر الامـر الى الفرقة الخامسة والثلاثين التي كنت ملحقا في اركان حربيتها بالتوجه من حلب الى العراق فورا لاسناد الجيش العثماني المتراجع امام هجمات الانكليز ٠ وكانت حكومة الآستانة قد عزلت جاويد باشا ، القائد العام للجيش العثماني في العراق ، بعد هذه النكسة ، وعينت بدله سليمـــان عسكري ٠ وفي الوقت نفسه افتى العلماء المسلمون بالجهـــاد لنصرة الجيش المذكور ، فتجمعت جموع غفيرة من الاهلين اضيفت الى قوات القائد الجديد ، فتحركت الفرقة الخامسة والثلاثون من حلب وسافرت بطريق البر الى الموصل ، ومنها بواسطة (الكلك) الى بغداد ، فالكوت، وبطريق الغراف الى الناصرية ، ثم الى سوق الشيوخ ــ الخميسية ــ النخيله ــ الشعيبة ٠ وكان قد ابدل قائد الفرقة (احمـــد جـودت العزاوي) بقائد جركسي اسمه (رضا بك) وكان في معيته ضابـــط ركن تركي وآخر عراقي هو (توفيق وهبي) ٠

وبعد استعراض القوة في « النخيله » من قبل قائدها سليمـــان عسكري ، توجهت القوة نحو البرجسيه وهي غابة بسيطة تكثر فيهـا

الاشجار وتقرب من الشعيبة ٠

وبعد الكشف اشتبكت في « الشعيبة » في معركة حمي وطيسها مدة ثلاثة ايام متوالية ٠ كان الجيش العثماني وما يتبعه من قوى عشائرية يحارب باسلحة قديمة بالية وينقصه كل ما يحتاج اليه من وسائط عسكرية ، وكانت المواد المعيشية مفقودة ٠ وظل الجند ثلاثة ايام بلياليها امام العدو دون ان يصل اليهم زاد او ماء حتى اننا كنا نضطر الى اجبار السقاة الذين يحملون الماء بالراويه ان يتقدموا الى الامام وتحت نار الرشاش لارواء الجنود الذين كاد العطش يقتلهم قبل الرصاص ٠ على ان الانكليز كان لديهم كل ما يحتاجون اليه في خنادقهم وخلف خطوطهم ، وكانوا قد مسحوا الارض مسحا دقيقا ، والموا بالصغيرة والكبيرة من امور المنطقة بواسطة استخباراتهم الواسعة فكان من الطبيعي ان يصيب القوة المهاجمة الاخفاق ٠

وبعد ان اخفق الجيش العثماني في الهجوم على الشعيبة وانكسر في البرجسيه اضطر الى الرجوع في اليوم الثالث ، فانتحر قائد الحملة سليمان عسكري في الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٩١٥ ٠

انسحبت القوات الى الغبيشية ، فالناصرية ، حيث ظلت الفرقة تحت قيادة القائد العراقي الغيور (احمد اوراق) بعد استشهاد قائد الفرقة رضا بك في الشعيبة ٠ اما بقية القوات فقد ذهبت والتحقت بقوة دجلة في الكوت تحت قيادة « نور الدين » ٠ كنا نطالب بالسلاح والعتاد فلا نحصل على شيء منهما ،وكنا تتسلم من وقت لآخر برقيات تدل على المماطلة والتسويف ، وتشير الى ان القائد العام في الكوت

لا يملك شيئا مما نريد ٠

واني اتذكر ذات مرة ورود برقية مـن القائد نور الدين تحت عنوان (غاية مهم ومستعجلدر) تقول : (هل يداوم السيد محمد سعيد الحبوبي على ارشاداته ؟) فأجاب القائد اللبق (احمد اوراق) ببرقية تحت عنوان (غاية مهم ومستعجلدر) ٠ (ما شاء الله مداوم) ٠ وهكذا كنا ننتظر المدد مـن دون نتيجة ٠ حتى بلغ القائد احمـد اوراق ان الانكليز سيهاجمون القوة العثمانية الامامية فـي موقـع (عكيكه) فأمـر بتقويتها بسرية مـن الجند المشاة ، وبرشاشتين اركبهما الباخرة التي كانت راسية في الناصرية ، وذهب بنفسه معها ورافقتـه وضابطا الاركان التركي والعراقي للاطلاع على الوضع هناك ٠ ولما وصلنا الى الموقع وجدنا القوة الامامية مشتبكة مع الانكليز الذين كانوا فـي حالة هجوم ، فنزلنا الى البر قبل انزال الجند ، فوجدنا « عجمي بـك السعدون » مع قبائله في حالة تهيوء لخوض المعركة وقد طلب مقدارا مـن العتاد فاوعز الي القائد في تحرير امر لتجهيزه بما اراد ، ولـم يسع القائد واركان حربه ان ينتظروني لاننا كنا هدفا لنيران الانكليز الذين كانوا يترصدوننا من فوق اشجار النخيل ٠ ولما اردت الالتحاق بهم ، وجدت بعض افراد القبائل يقاتلون الجنود الترك المشتتين لاخذ بنادقهم منهم ولم اصادف القائد احمد اوراق ولا من كان معه مـن الضباط ٠

كان الجنود العثمانيون تحت نارين ، نار القبائل ونار الانكليز فجرح وقتل من كان قد تأخر معي بعد ذهاب القائد الى الامـام فاضطررت الى ان احمي نفسي في جدول مـن الجداول الكثيرة هناك ٠

وعلمت اخيرا بأن القائد ومن في معيته من الضباط والجنود عندما اطلعوا على خطورة الوضع رجعوا الرجوع الى الباخرة ، فركبوها وعادوا الى الناصرية • وبينما كنت في طريقي وجدت شخصا من افراد العشائر يستهدفني شخصيا فاطلقت النار عليه وقد ساعدني عليه احد الذين حضروا ساعتئذ فولى فرارا • وبعد مسيرة بضع دقائق وجدت شخصين آخرين يتجهان نحوي ، فاخرجت ورقة من جيبي مدعيا انها نص برقية تعلن خبر انتصار القوات التركية واني اريد ايصالها الى سوق الشيوخ لابراقها ، فاشارا على استقامة الطريق التي تؤدي الى « سوق الشيوخ » ، وذهبا من دون ان يعترضا سبيلي • وهكذا كنت اسير وسط مستنقعات وحقول الشلب حتى وجدت جدولا مملوءا بالماء ، وبينما كنت اهم بعبوره اذا بشخصين يصوبان بندقيتهما نحوي ، ويصرخ احدهما : (سلم يا ولد !) فاستنجدت باحدهما (بطريق الدخاله : انا بوجهك يا ولد !) فوافق على قبول دخالتي على ان ارمي سلاحي اليه فورا وانا في وسط الجدول • فخرجت من الجدول اعزلا مبللا • ثم اخذ احدهما يفتشني فادركت ما اراد وسلمته محفظة نقودي التي كانت فيها خمس ليرات ذهبية مع مجيدي (١) واحد وتوسلت اليه ان يقاسمني موجودها فرفض طلبي ورحت الح عليه لاحمله على الاعتقاد باني لا املك غيرها ، فاعطاني مجيديا واحدا ودفعني بكلمات بذيئة اراد فيها ان يتخلص من الحاحي عليه ، وهكذا افترقنا من دون ان يشعر بأن الحزام (الكمر) الذي كنت اتمنطق به فيه من الليرات الذهبية ما يفوق كثيرا ما حصل عليه • ولما وصلت سوق الشيوخ وجدت القصبة في هرج ومرج فذهبت الى دائرة البريد

---

(١) المجيدي عملة عثمانية فضية •

وصعدت الى السطح لاجفف ثيابي المبتلة ثم نزلت باحثا عن معارفي وفيما انا كذلك اتصل بي احد الجنود (٢) الدرك (جاندارمة) طالبا ان ابات عنده ليلتئذ فلا اكون عرضة للانزعاج • فلم يسعني الا تلبية طلبه الكريم فآواني واكرمني • وفي اليوم التالي ، اهديت اليه ساعتي الخاصة فرفض قبولها ، ولكني اجبرته على اخذها ، وخرجت من داره لاتمشى في السوق لعلي اجد من اعرفه من الشيوخ ، فبانت لي ثلة من الجنود البريطانيين يتقدمهم السربرسى كوكس وائي• تي• ويلسون (٣) والشيخ فرهود المغشغش فاستوقفوني وسألني احدهم بالعربية (انت ضابط ؟) فاجابهم فرهود المغشغش ضاحكا نعم ضابط واسمه علي جودت ، فساقوني الى البصرة حيث انزلوني الباخرة العثمانية (قره دكز) التي كان الانكليز قد صادروها وجعلوها ملجأ مؤقتا للاسرى الترك في البصرة ليرسلوهم منها الى الهند بعد ان يجتمع عددوافر منهم • وبقيت هناك مع بعض الضباط والجنود الاسرى •

وقد بلغني بعدئذ ان الدركي الذي ضيفني وانزلني عنده في تلك الليلة الليلاء تعرض للعقاب ، بتهمة انه سلب ساعتي سلبا ولكن الله كتب له السلامة والله يجزي المحسنين •

وكان من حسن الصدف اني بعد بضع سنين ــ عندما عينت متصرفا للواء المنتفك بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق ، وفي اول زيارة لي لسوق الشيوخ ــ وجدت هذا الدركي الذي احسن الي ، وبعد مقابلة ظريفة عرفني فشكرت له جميل صنعه وشكرت الله على ان مكنني من مقابلة الاحسان بالاحسان •

---

(٢) كان الناس يلقبونه بـ (علي الحشاش)

(٣) ــ الذي صار اخيرا حاكما سياسيا على العراق .

في الميــدان العربــي

ايمان العرب بالثورة

لست اريد ان اتبسط في الحديث عن ايمان (عــرب الباديــة) و (سكان الخيام) ورواد (السهول والوديان) او من يطلق عليهــم اسم الاعراب . فهؤلاء ليس لايمانهم بالثورة العربية قيمــة كبيرة . وهم انمــا تأثروا فيدورهم بالثورة بالايمان القومي الذي كان يتملك (الفئة المستنيرة) من خيرة شباب العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين واولئك الذين هرعوا اليها من صفوف الترك ومعاقل الاسر ، وجاهدوا في سبيل امتهم العربية جهادا ملؤه الايمان القومي ، قوامه البسالــة والتضحية . ان ذلك الايمان الذي رافق الثورة العربية في سيرها ابان الحرب العالمية الاولى . يفوق الوصف . فقد ضرب شباب العــرب اشرف الامثال في الاخلاص النزيه ، والتضحية الغالية وتلخصت في عقائدهم (آمال امة) زاحفة الى الحياة الحرة على طريق الفداء ، تنشد الموت لتوهب لها الحياة . وهذه خلاصة لذكريات تلك الايام وخواطر هاتيك (الليالي) :

لبثنا في الباخرة (قره دكز) التي كانت راسية في « شــط العرب » في البصرة كاسرى حرب مدة من الزمن ولما سمح لي ولزميلي عبد الله الدليمي بمغادرتها الى البصرة التقينا فيهــا بالسيد مولــود

مخلص (١) وكان قد وصل اليها من قبل هاربا من الجيش العثماني فاستأجرنا دارا متوسطة في مدينة الثغر الجميلة ، وكنا نذهب الى مقر الحاكم العسكري فيها لاثبات وجودنا في مطلع كل اسبوع ٠ وبعد مضي بضعة اشهر ونحن على هذه الحالة استدعانا الحاكم المذكور يوما وسألني شخصيا عما سيكون موقفي وعما سأفعله اذا اعلن قطر من الاقطار العربية استقلاله او اراد ان يعلن ذلك الاستقلال ؟ فاجبته فورا : لا بد لي في مثل هذه الحالة من الذهاب الى ذلك القطر العربي والاسهام في الخدمة ، فسألني : وماذا تعمل اذا لم يسمح لك بالالتحاق ؟ فاجبته مبتسما وبعد تفكير قليل (اهرب اذا تمكنت من الهرب) ٠ ثم سألني (وهل انت مستعدا للذهاب الى أي قطر عربي ينادي بالاستقلال ؟) فاجبته بالايجاب ٠ وعلى هذا صرفنا ، ولكنه لم يلبث ان اخبرنا بعد حين ان شريف مكة المكرمة الحسين بن علي قد اعلن استقلال الحجاز عن الامبراطورية العثمانية ، ونادى بنفسه ملكا على العرب في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ المصادف لليوم العاشر من شهر حزيران ١٩١٦ م٠ وسألنا عما اذا كنا نرغب في الالتحاق به فاجبناه بالايجاب وبلا تردد ٠

وعلمت اخيرا بان الحاكم المذكور قد ابرق الى الحجاز عن رغبتنا للالتحاق بالثورة فاتاه الجواب بالترحيب وسافرنا على بركة الله ٠

---

(١) يظهر ان الانكليز علموا من السيد مولود او من غيره باني وعبد الله الدليمي منتميان الى جمعية العهد واننا لا نميل الى التعاون مع الاتراك ولهذا اخذوا منا عهدا على ان لا نلتحق بالاتراك وسمحوا لنا بالاقامة في البصرة مطلقي الحرية .

شريف مكة الحسين بن علي

حين اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وشرع الاتحاديون في اضطهاد احرار العرب ، فكر الحسين بن علي شريف مكة المكرمة فيما آلت اليه حالة العرب ، واتصل باحرارهم في دمشق بواسطة ولده فيصل ، واطلع على آرائهم ، ورأى ان الفرصة سانحة للقيام بعمل ايجابي . فاتصل بالانكليز عارضا عليهم استعداده لمساعدتهم شريطة ان يضمنوا للبلاد العربية استقلالها اذا ما جاءت نتيجة الحرب في مصلحتهم . وقد رحب الانكليز بهذه الفكرة التي كانوا يعملون لها من قبل ، وتبودلت المراسلات بين الطرفين حتى اسفرت عن الاتفاق التام ، واعتبرت الرسائل التي تبودلت بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون اساسا لهذا الاتفاق ، وقد جاء في الرسالة التي بعثها مكماهون الى الشريف حسين المؤرخة في تموز ١٩١٥ (وعد الشريف بتقديم المساعدة الحربية للحكومة البريطانية مقابل وعد باستقلال بلاد العرب بحيث تضم منطقتي مرسين واطنة شمالا وتمتد من خط العرض ٣٧ الى الحدود الايرانية . اما الحد الشرقي فيبدأ بالحدود الايرانية وينتهي في خليج البصرة ويكون المحيط الهندي مع استثناء عدن ، حدها الجنوبي ، ويكون البحر المتوسط لغاية مرسين الحد الغربي للمملكة((١). على انه في الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية تخول مندوبها في مصر السر مكماهون توقيع الرسالة المتقدم نصها مع شريف مكة المكرمة ، كانت وزارة الخارجية البريطانية تفاوض الحكومات الفرنسية والايطالية والروسية من وراء ظهر العرب ومن دون علمهم ، وتسجل على نفسها وعلى وعودها للعرب اكبر خيانة .

---

(١) راجع ص ٦٦ ج١ من كتاب « تاريخ العراق السياسي » لعبد الرزاق الحسني

في طريقنا الى الحجاز

كان معنا في البصرة الضابط (توفيق حما) و (الطبيب شوكت) من دمشق والمحامي القدير السوري (فائز الغصين) فقررنا السفر الى الحجاز ، وبعد ان هيئت لنا الباخرة سئلنا ــ ونحن في طريقنا الى الهند ــ عما اذا كنا نرغب في الاتصال باسرى العرب الموجودين في (سمربور) بالهند لنأخذ معنا من يرغب منهم في الالتحاق بنا والسفر معنا . فرحبنا بهذه الفكرة . وعند وصولنا الى بومبي ذهبت « وتوفيق حما » الى المعسكر في « سمربور » واتصلت بواسطة قائد الموقع ببعض الضباط الذين كانوا اعضاء في حزب العهد، اذكر منهم على سبيل المثال : عبد الحميد الشالجي وعبد اللطيف نوري فسجل نحو ٣٥ ضابطا من الذين اظهروا شعورهم الوطني ، اسماءهم للالتحاق بنا ، كما اصطحبنا نحو ثلاثمائة وخمسين جنديا من اسرى العرب هناك . وابحرت بنا الباخرة من بومبي حتى رست في ميناء (رابغ) على ساحل البحر الاحمر شمالي جده ، فاستقبلنا نوري السعيد الذي كان قد سبقنا اليها ، كما التقينا بعزيز علي المصري الذي كان قد سبقنا ايضا الى الالتحاق بالثورة العربية واتصل بزعيمها الشريف حسين بن علي في مكة ، ثم جاء الى رابغ التي كانت مقرا لتجمع الجيش النظامي . فاخذ يوصينا بوجوب الاخذ بالنظام العسكري في جميع حركاتنا واعمالنا لئلا نكون عرضة للتفكك . وشرعنا في تنظيم صفوفنا لنقوم بحركات نظامية لا اثر للبداوة

فيها (١) .

وفيما كنا منهمكين في تنظيم المجندين من مكة والطائف واليمن ، اذا بقافلة ثانية من الاسرى العرب تأتي من الهند لتلتحق بنا .

وكان الشريف علي ، كبير انجال الملك ، يشرف في رابغ على الحركات ، فطلب الى السيد عزيز علي بالحاح ان يسير القوات الموجودة لديه نحو (بئر حصاني) الكائنة على طريق المدينة المنورة وقبل ان يكمل تجهيزها . وكان عيزز علي يعارض تنفيذ هذه الرغبة لان القوة لم تكن قد نظمت كما يريد ، ولكن الشريف علي اصر على وجوب الحركة فلم يشأ عزيز علي ان يصطدم بالشريف علي في بدء الحركة فوافق مضطرا . وما كادت القوةالمذكورة تصل الى (بئر حصاني) حتى جوبهت بقوة معادية من الاتراك ، وبينما كنا نستعد للهجوم عليها اذ اصدر الشريف علي اوامره برجوع القوة الى « رابغ » فورا على الرغم ، من مخالفة عزيز لرأيه . واصر عزيز علي ، على عدم الانسحاب امام قوة نهض للمرة الاولى لمجابهتها واظهار قوته واثبات وجوده امامها ، ولكن الامير علي بالغ في الرجاء ان يسحب القوة لاسباب لم يرد ان يبوح بها حينذاك ، فكان له ما اراد . ورجع عزيز علي غاضبا .

---

(١) ان السيد عزيز علي المصري الذي كانت له اليد الطولى في بث الروح الوطنية في فجر النهضة العربية وهو من مؤسسي جمعية العهد في الاستانة قد ذكر لنا في سنة ١٩٥٣ حينما التقينا به في فندق سميراميس في القاهرة بانه كان يحرض الضباط الاحرار على القضاء على حكم فاروق وبسط لنا كيف كان طوال الليلة التي وقع فيها الهجوم على القصر الملكي يشجعهم ، ويقوي معنوياتهم ، ويحثهم على اتمام العملية بسرعة ودون تردد » .

ورجعت انا مع عزيز وقد قال لي في الطريق الى رابغ بانه لا يمكنه ان يشتغل مع الشريف علي ٠

وبعد وصولنا الى رابغ اتضح لنا ان واشيا وشى بعزيز علي لدى الشريف علي زاعما ان عزيز المصري كان يريد ان يوقع الجيش العربي في الفخ التركي والتسليم اليه ٠ وقد خشى الشريف على المغبة فصدق هذه الوشاية ٠ فما وسع السيد عزيز علي الا ان يعاتب عليا على تصديقه مثل هذا الخبر ، وما لبثنا ان احضرنا الواشي الى الخيمة التي كنت والسيدان : نوري السعيد وسعيد المدفعي فيها واستنطقناه بحضور الشريف علي فاعترف بوشايته ، فما كان من نوري السعيد الا ان صفعه على وجهه فتأثر الشريف علي من ذلك وتهيج وتظاهر بانه يريد ان يقتل نفسه (١) ٠

وعلى اثر هذه الحادثة ، ادعى عزيز بانه مريض وطلب الذهاب الى مصر للتداوي فذهب ولكنه لم يرجع ابدا ٠ وقد بقيت بيني وبينه « شفرة » خاصة للمراسلة عند الضرورة ٠

شرعنا في تدريب الضباط والافراد ، وبدأنا نحصل على السلاح والعتاد ولكن بمقادير قليلة جدا ٠ ثم اخذ بعض الضباط يتسللون من معسكر الشريف علي للالتحاق باخيه الشريف فيصل ، وكنت ممن بقي والسيد نوري السعيد مع علي ٠ فلما تمت استعداداتنا الى حد ما ،

---

(١) وذلك بسحب خنجره من غلافه وتسديده الى بطنه فصاح احدنا (سعيد المدفعي) ملتمسا عدم الاقدام على ذلك . وقدظل المرحوم نوري السعيد يوميء الى هذه الحادثة كل ما وقعت مناسبة لذلك .

قصدنا المدينة المنورة ونزلنا بالقرب من بئر درويش (١) ، حيث كانت الخامية التركية فتصادمنا وتمكنا منها ، وفهمنا من الاسرى الذين وقعوا في ايدينا ان المدد الذي خرج من المدينة في اثناء هذه المعركة لمساعدة الحامية المذكورة كان بقيادة علي نجيب بك ، احد القواد الذين جاؤوا الى العراق بصحبة ناظم باشا لاصلاح العراق وتنظيم شؤونه العسكرية والمدنية ، وكنت انا ونوري السعيد وجعفر العسكري ضباطا في معيته • فكتب الامير علي رسالة الى فخري باشا آمر حامية المدينة — بعد هذه الموقعة — يطلب فيها الاستسلام حقنا لدماء المسلمين ، وصيانة لقبر الرسول الاعظم من الخراب ، وقرر ارسال الرسالة مع احد الجنود الذين كانوا في معيتي وهو جندي يمني شجاع • فاردت ان انتهز هذه الفرصة فارسلت رسالة شخصية الى علي نجيب بك طلبت اليه فيها ان ينصح فخري باشا والحكومة التركية بالانسحاب من المدينة وانهاء القتال بالتي هي احسن ، لاننا مصممون على احتلالها • كما ذكرت له ان الحكومة العثمانية تحسن عملا اذا هي انتهزت هذه الفرصة وسلمت المدينة المقدسة وما جاورها الى اصحابها العرب • وذلك بأن يعهدوا الى ضباط عرب في الجيش العثماني بتسلمها واعتبار هذا مقدمة للتفاهم ، ومن ثم يتفاهمون والعرب على مصير البلاد العربية قبل ان يطأها الاجنبي • واضفت الى ما تقدم اننا سنكون الى جانبهم اذا حصل

---

(١) — لم نجد مضايقة من جهة المعيشة حينما كنا نحاصر المدينة وانما كنا محرومين من الخضر والفواكه ونخشى مرض الاسكوربيت ولذلك كنا نستعيض عنها بقشور البطيخ الاحمر (الركي) حيث نأكل اللب ونطبخ القشور . ثم كنا نشكو قلة الماء حيث يشح الماء في الابار فنضطر احيانا الى جلبه من مسافات بعيدة وعلى ظهور الجمال ولا تسل عن نظافتها ، فقد وجدت مرة احد افراد البدو يستحم في البئر فنهرته ووبخته فاعتذر لي بأن اكد لي بانه ليس جنبا ! ..

الاتفاق على هذه الخطة ، وذكرت في كتابي بعض الاشارات التي كان عزيزي علي قد زودني بها من قبل لايصال هذا الخبر الى القطب الاتحادي المسؤول طلعت باشا • وقد كتبت هذه الرسالة بتوقيع (تلاميذ عرفانكز دن برمسلم) اي (مسلم من تلاميذكم) (١) وحين انطلق الرسول يحمل هاتين الرسالتين علمنا ان الترك سيهاجمون القوة البدوية التي يقودها الامير زيد (رابع انجال الملك حسين) في « بئر الماشي » فطلب الي الامير علي ان اسارع الى نجدته بقوة من الهجانة والمدفعية الخفيفة ، ولما وصلت الى الموقع فجرا وجدت زيدا ساهرا مع بعض الضباط ، فطلب الي تعبئة القوة قبل ان ينفلق الصبح • وبينما نحن كذلك اذا بالمدفعية التركية تصلينا نارا حامية • وفيما نحن نقاتلها اذا برجل يحمل علما ابيض وتبيناه فاذا هو رسولنا الى فخري باشا يحمل الجواب على كتاب الشريف علي ، ففضضناه فكانت فيه عبارات تهكم وازدراء ، وفيه يطلب فخري باشا في جوابه (ان يثوب الامير علي الى رشده وان يستغفر ربه عند النبي العظيم) فلم نر جوابا مناسبا على هذا التحدي سوى فتح النار على طول الجبهة • وفي هذا الوقت جاءنا رسول من الامير علي يطلب عودتي مع قوة الهجانة والمدفعية حالا لانه علم بأن الاتراك سيهاجمونه • فرجعت حالا وكانت ثلاث ليال لم اذق خلالها طعم الكرى ولم يستقر بي مكان • وعند رجوعي سقنا القوة نحو المدينة المنورة ، وضربنا حولها حصارا امتد طوال مدة الحرب •

وكان القيسوني المصري الجنسية عين الانكليز الساهرة على الملك حسين ، وموضع ثقتهم في استكشاف ما يكنه العرب نحوهم ،

---

(١) ارسلت هذه الرسالة من دون علم الامير علي .

حتى حملوا جلالته على تعيينه وزيرا للدفاع في مملكته الهاشمية . وقد ارسل هذا الوزير ضابطا تركيا ـ من الذين اسرهم الحسين ـ ليتولى امرنا ، فلم يرق لنا ذلك طبعا . ولما اصررنا على رفض قيادتـــه لنــا ، امتعض الملك حسين من عملنا هذا وسحب السيد نوري السعيد الـــى مكة ، فكان هناك شبه موقوف ، ولكن نوري بلباقته استطاع ان يقنع الحسين بأن يسمح له بالالتحاق بالامير عبد الله ـ ثاني انجاله .

ومما يذكر في هذا المقام ان احد الجنود الملكيين اعتدى ذات يوم على حياة ضابط عراقي فاردنا معاقبته ولكن الامير علي حال دون ذلك فاضطررت واخواني الضباط (١) الى الاحتجاج على الامير علي بشدة ، وبلغة غير مستحبة ، وكان الملك حسين قد علم بالكتاب الذي ارسلته الى القائد التركي علي نجيب بك فامتعض من عملي ، وانتهز الامير علي هذه الفرصة فاشار الى ضرورة ذهابي الى «مكة» لمقابلة والده الحسين. ولما اردت معرفة السبب لهذه المقابلة قال لي : (هنـــاك جيش يتطلـــب التنظيم ولم يجد الملك غيرك اهلا للقيام بهذه المهمة) . ولما وصلت الى « جدة » وجدت نفسي محاطا بالجواسيس ، يحصون علي الانفاس ، ويتربصون بي الدوائر . فطلبت الى الضابط المختص (وكان مصريا) ان يخبر الملك حسينا في « مكة » بوصولي الى « جده » فاشار علـــي بالبقاء لان صاحب الجلالة اخبره بانه قادم اليها . وبعد يومين شرف الملك الهاشمي جده واستدعاني ورفيقي السيد عبد الحميد الشالجي ، الذي كان قد اتى معي مـــن بئر درويش ، بواسطة القيسوني ، فشكر لـــي امامه ما قمت به مـــن خدمات مجيدة للنهضة العربية ، وامر القيسوني

---

(١) واخص منهم حامد الوادي وابراهيم الراوي وسعيد المدفعي .

بالاتفاق علي وتأمين راحتي ثم التفت الي قائلا · « طلبناك لامور مقررة ستبلغها بعد ان تأخذ قسطك من الراحة · » وبعد يومين طلبني الجنرال ويلسون ،الممثل البريطاني في جدة ، (بواسطة القيسوني) وبلغني ان الملك امر بسفري الى القاهرة لجلب السلاح · ففهمت المغزى وهو ابعادي ، فابحرت الى « بور توفيق » مع رفاق اعزاء كانوا قد رجحوا ان يلتحقوا بي على ان يبقوا مع الشريف علي ·

ولا بد لي من ان اذكر هنا طريفة حصلت لي في « بور توفيق » قبيل الدخول الى « القاهرة » فقد تقدم مني ومن اخواني احد الضباط البريطانيين وطلب ان نجلب كل ما لدينا من حوائج الى سطح الباخرة لاقترابنا من الميناء واستعدادا للنزول اليها · ولما فعلنا ذلك قال لنا · يؤسفني ان ابلغكم امرا تلقيته من الجهات المختصة بوجوب فحص امتعتكم فحصا دقيقا ، ومصادرة كل ورقة في حوزتكم · فاجبته حالا « افعل ما امرت ! » · واخبرته بأن لدي مسدسا فقط · فقال : « هذا لا يهمني حتى اذا كان لديك مدفع » · وفيما هو يفتش مددت يدي الى جيبي ومزقت صورة الشفرة التي كانت معدة للمراسلة مع عزيز المصري · اما الضابط البريطاني فقد قام بالمهمة التي اودعت اليه فلم يعثر على شيء يفيده · وقد علمت بعدئذ انه كان يريد العثور على صورة الرسالة التي بعثت بها الى القائد علي نجيب بك ، والتي اغاظت الامير علي والملك حسين ·

بقيت في « القاهرة » مدة وكان اخواني الضباط في « العقبة » يلحون على الامير فيصل باستدعائي الى « العقبة » والالتحاق بهم · وكان الامير فيصل يعدهم بجلبي بعد ان يقنع والده بذلك ، وفي

الوقت عينه ارسل الي مبلغا لا بأس به لتأمين معيشتي ، فرفضت قبوله معتذرا وشاكرا لطفه • مبينا له انني لم التحق بالحركة لاقضي اياما في « القاهرة » بل للمساهمة بواجب مقدس •

وبعد مدة قصيرة استطاع الامير فيصل ان يحمل والده على تحسين ظنه بي والسماح لي بالالتحاق به (بالامير فيصل) •

★★★

مـع الامـير فيصل

غادرت « القاهرة » الى « العقبة » بعد ان تلقيت امر الالتحاق بالامير فيصل ، فالتقيت بسموه وباخوانه المجاهدين الذين كنت في اشد الشوق الى لقائهم ، واشتركت في معركتين دارت رحاهما بعد وصولي الى العقبة ، وهما معركة (السمنه) ومعركة (تل الاحمر) . وكان الامير زيد قائد المعركة الثانية يندفع اندفاعا خطرا في الجبهة ، وكنا نمانع في هذا الاندفاع لا حرصا على سلامته فحسب ، بل خشية ان يؤدي هذا الاندفاع الى مكروه ما فيؤثر في الجيش اسوأ تأثير . وبعد مدة قصيرة تقرر مهاجمة محطة « الجردونة » القائمة على طريق الشام ــ المدينةالمنورة ، وكانت هذهالمحطة بايدي الترك كما كانت محصنة تحصينا قويا . فكانت خطة الهجوم ان تنقسم القوة العربية الى قسمين قاد احداهما السيد نوري السعيد وتوليت انا قيادة القسم الآخر . وكانت قيادة السعيد في غربي السكة الحديدية وفيها معظم القوة المهاجمة ، على حين كانت قيادتي في شرقيها ، وكانت قوتي فوجا من المشاة ، وفصيل رشاش ، وبطارية جبلية على رأسها الضابط الجزائري (بيزاني) وقد عبرت القوة التي كانت بقيادتي الخط الحديدي ليلا بعد ان ضربت النقاط القائمة على حراستها .

واذكر بهذه المناسبة حادثا طريفا وقع في تلك الآونة هو ان احد الاسرى من جنود الترك ، الذي وقع في ايدينا حين عبورنا الخط الحديدي ، ومن الذين كانوا مكلفين بحراسة الخط سلم نفسه واسرع

ملتجئا الي فحميته وصار يمشي امام فرسي وانا اسأله عن قوةالجردونة وعن نوع اسلحتها ، واستحكاماتها ، وقوادها وفيما نحن في مثل هذا الحديث اذا بالمفرقعات تدوي في الفضاء لتخريب السكة ، فيضطرب الاسير ويوجس خيفة على نفسه ، فقلت له بالتركية (قورقما بوبزمكي) اي لا تخف فأن هذا من قبلنا ، فرد علي فورا (يا بزمكي مي ؟) اي صحيح ان هذا من جماعتنا ؟

تقدمنا مسافة قصيرة نحو شرقي الجردونة فبتنا ليلتنا هناك ، ولما كان فجر اليوم التالي ، شرعنا في الهجوم من الشرق ، وشرعت قوة نوري السعيد هجومها من الغرب ، واستمر القتال طوال النهار وكان قتالا عنيفا تكبد فيه الجيش العربي خسائر كبيرة ، لان الاتراك كانوا محصنين وراء مواقعهم المحكمة . اما نحن فكنا في العراء تماما فأضاعت القوة العربية عددا كبيرا من الضباط الذين استشهدوا ببسالة تفوق الوصف . ولذلك تلقينا امرا بالانسحاب فاضطررنا الى الانسحاب ونقل الجرحى والقتلى . وبهذه المناسبة اشيد بذكرى الشهيد المرحوم بهجت الكروي الشاب المتحمس لعروبته . فقد اصيب بطلقة في فمه ولم يتمكن من الكلام فاشار ان يعطي له قلم وورقة . وكنت اظن انه يريد ان يكتب وصيته لاهله . فاعطيته الورقة فورا فكتب عليها هذه الكلمة (فلتحي العرب) . رحم الله هذا الشاب النبيل الذي كلما ذكرته لا اتمالك من اسبال دمعي حزنا على تلك الروح الطاهرة .

ابا اللسل والمفرزة الشمالية

((الجحفل السيار))

ابا اللسل ، رابية جميلة قائمة على محجة واسعة ممتدة اليها من العقبة وهي في موقع جبلي منيع يبعد عن معان سبع ساعات • ولهذه الرابية الجميلة شهرة ما كانت تتوقعها لولا الحروب العنيفة والوقائع الهائلة التي جرت في جنباتها بين العرب والترك – هؤلاء في سبيل الاستقلال الذي يستميتون في نواله ، واولئك في قتل تلك النفوس التي تفيض بهذا الشعور الطاهر – • فأبا اللسل اسم زاهر في تاريخ ثورة العرب بفضل ما ارتوت به جنباتها من دم البطوله والشرف والحرية • هذه الرابية كانت مقر الامير فيصل وفيها كان يربض ابن الحسين وهو يزأر بامجاد العرب وحرية العرب واستقلال العرب وقد شفت امام بصيرته حجب المستقبل فرأى الحجاز وقد امتد عليه رواق النصر والخلاص ، ونفذت الى ضميره انات الساحل الغربي ونحيب سكانه فجمع حوله اسود العرب من خيرة المتفانين في النجدة وذكرهم بما تكابده سوريا وما يجيش في صدور احرارها ، وتلك النفوس التي تتألم ولا تتكلم فاتقدت الافئدة وتلظت الانوف وغلا في العروق دم النخوة واتجهت الافكار الى تأليف المفرزة الشمالية التي اشار اليها حتى الكتاب الاجانب كاللورد «وينترتين» وامثاله بمقالاتهم عنها وبالاشادة باعمالها • وتمت الكلمة على ان يتولى كاتب هذه السطور قيادة هذه المفرزة لاصراره في حماسة على تأليفها منذ بدء الثورة •

المفرزة الشمالية

كانت للسيد عزيز علي المصري فكرة خاصة اوضحها في بـــدء النهضة العربية • وهي ترمي الى تشكيل مفرزة هجانة خفيفة الحركـة للقتال في الصحراء ، ولكن فكرته هذه لم تلاق الترحيب يومئـــذ اذ اعترضت تحقيقها صعاب كثيرة سياسية وعسكرية • ولكنها بعد واقعة الجردونة بعثت من جديد ، ولا سيما بعد ان اتضحت ضرورتهـــا واهميتها في اثناء الحركة في الشمال ، وعلى الاخص بعد ان تقـــدم الجيش الانكليزي الى الامام نحو سوريا ، حيث وافق الامير فيصل على تأليفها ، فامرني بانتقاء خمسمائة جندي من الجيش الموجود فـــي ابا اللسل واكثرهم مـــن لواء الهجانة الذي كان بقيادة السيد تحسين علي في « ام العظام » • كمـــا امر باعطائنا ما يقتضي لذلك من جمال لحمل الارزاق والعتاد ، ومواد التخريبواجهزة الصحـــة ، وفناطيس الماء ونحوها ، فكان عدد الجمال زهاء الالف كما اضيف الى ذلـــك بطارية جبلية وعشرون مدفعا رشاشا صغيرا وثماني رشاشات ثقيلة ، فكانت تشكيلاتها كمـــا يلـــي :

لواء من الهجانة • رهط من الرشاشات • بطارية جبلية سريعـــة الطلقات • فوج تقليات • رهط من الصحة • فصيل مخرب •

في اربعـــة ايام فقط

مع انه كان من المتعـــذر جـــدا ان يتم تجهيز المفرزة الشماليـــة في بحر اربعة ايام فقط ، فقد استطعنا انجاز هذه المهمة في هذه المـــدة على الرغم مـــن ان امتعتها ، واسلحتها ، ومؤونتهـــا ، وحيواناتهـــا ، وجميع لوازمها كانت في العقبة ، وكانت المسافة بين العقبة ، و « ابـــا اللسل » ليست قصيرة ، ولكن هي العزائم الصادقة التي بعثتها الروح المتوثبة الى الحرية والانعتاق فعلت المستحيل واتمت تجهيز المفرزة في هذه المدة القصيرة . وهكذا سارت المفرزة الشمالية من « ابا اللسل » معتزمة الموت ، او نجاة « الرازحين » مـــن ابناء الضاد في بـــــلاد الشام كلها تحت الحكم الاتحادي الجائر .

★★★

يـوم الزحف

في صباح اليوم الثاني من شهر آب عام ١٩١٨ وبينما الشمس مشرقة ، واشعتها المتوهجة توقد الاودية والسهول والجبال ، شأنها في ايام الصيف ، في ذلك الصقيع ، زحفت المفرزة الشمالية بخيلها ، ورجالها ، وابلها ، ومعداتها وما زالت سائرة حتى وصلت الى «المريغة» وهي عبارة عن ينبوع يتفجر ماؤه في واد منبسط • فوقفت هناك منتظرة قدوم الامير فيصل الذي ضرب للالتحاق بها موعدا اصيل ذلك اليوم ليستعرضها قبل الجد في الرحيل • وفي الموعد المضروب استرعى الاسماع ازيز السيارة التي تقل سموه مع السيارات التي تقل حاشيته فهدأت الحركة وخيم السكون ، ثم اقبل حامل لواء الثورة العربية ، فارتفعت الايدي بالسلام ، ومر ابن الحسين امام الجند وكله نظرات ملؤها العطف والحنان ، حتى اذا بلغ المحل المعد له سارت المفرزة امامه رهطا رهطا وقد استغرق هذا الاستعراض بقية النهار كله حتى تبدت مصابيح الليل اللامعة في تلك السماء الصافية الاديم •

وبدأنا نسير حثيثا ومعنا ثلاثة ادلاء لا يثنينا عن ذلك حر ولا تعب •

ولما ادركنا الليل ، حاولنا متابعة السير فلم تطاوعنا جمالنا لانها كانت سودانية لم تتعود السير في الظلام وعبثا حاولنا حث هذه الابل ، التي لم تعتد وحشة الليل ، على استئناف المسير فقضت الضرورة ان

نلقي عصا الترحال في قارعة الطريق وان نترقب وضح النهار ليبعث الطمأنينة في الابل الخائفة فنواصل سيرنا على بركة الله تلبية لنداء الواجب الذي استعذبنا في سبيله هذا العناء المحبب .

وفي اليوم التالي استأنفنا السير . وفيما نحن قرب السكة الحديدية لنعبرها ونذهب شرقا الى الصحراء ، اذا باحدى السيارات المصفحة التي تريد (الجفر) يثير سيرها السريع الغبار الكثيف فيدل المدفعية التركية في « معان » علينا ، فاباحت لقنابلها ان تستهدفنا ولكنها كانت قنابل طائشة لم تنل منا منالا . وبعد قليل التقينا بقافلة من الدروز تضم بعض احرار العرب قاصدين الامير فيصل فبادلناها التحية ، وسرنا حتى ادركنا الليل فبتنا في الصحراء . وفي اليوم الرابع من آب واصلنا السفر واذا بالطائرات البريطانية تقتفي اثرنا وتستطلع مكاننا واحوالنا ، ثم قفلت راجعة الى مقر الامير فيصل لتخبره بما رأت من انتظام الحركة . وهكذا وبعد برهة بلغنا (الجفر) وهو مقام الشيخ عوده ابو تايه رئيس عشائر الحويطات الشهيرة فعمدنا الى احضار المعدات ، واتخاذ التدابير الواقية من غارات الطيارات التركية ـ الالمانية التي تتابع معسكرنا حيثما حل . ثم شرعنا في حل المشكلة العظمى وهي الحصول على الماء في ذلك المنبسط القاحل .

مشكلة الماء

في « الجفر » بئران لا ثالث لهما • ومن هاذين البئرين تستقي قوافل البدو ومنهما يجب ان نستقي الماء نحن ايضا ، ليس لشربنا فحسب ، وانما لخيلنا ، وابلنا ، وبغالنا ، ايضا • ان الابل قوية الجلد على الظمأ • ولكن الخيل والبغال لا تستطيع الاصطبار عليه • ولدينا مئة بغل ، علينا ان نهيء لها الماء لترتوي منه متى احتاجت اليه وذلك انما يتم متى ملئت الفناطيس الخاصة بحفظ الماء وقدرها مائة وخمسون فنطاسا كبيرا ولكل اثنين من الجند فنطاس صغير تحملها الابل في البيداء فيصح فيها قول القائل :

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ   والماء فوق ظهورها محمول

ويملأ كل نفر « زمزميته » يحملها معه مع بندقيته وعتادها وهي ضرورية له في ذلك القفر القاحل •

كان علينا قبل كل شيء ارواء الابل ، والخيل والبغال ، ثم املاء الفناطيس • والمشكلة هنا هي انجاز هذا كله في يوم واحد من بئرين في ارض سبقتنا اليها القوافل الشديدة الظمأ الى ذلك الماء ، والتي تتوقف عليها حياتها • اضف الى ذلك فقدان الواسطة السريعة باخراج الماء من آبار بالغ عمقها مبلغا كبيرا • انها مشكلة تجربتها قاسية وكثيرة الاخطار ولكن لا بد من معاناتها من اجل الاحتفاظ بالحياة • والحياة شيء لا يستهان به ، لا سيما وان المتنازعين على البقاء فئة

غليظة ، الفت الخشونة في الصحراء . اجل انها مشكلة لها خطرها في ذلك الموقف الحرج مع اولئك الغلاظ ، الشداد ، ولولا المرونة التي تعمدناها مع رواد الماء ، لما تيسر لنا الحصول على حاجتنا منه بالسهولة التي تمكنا منها .

انصرف قسم من الافراد الى تهيئة العلف للخيل والبغال ، واشتغل قسم آخر منهم بتحضير الخبز ، بعد ان تيسر ماؤه للعجين ، وقسم آخر اهتم باخراج الماء ، وقد عمل على اخراجه التدبير العقلي عملا خارقا حتى اذا انقضى ذلك النهار ، كان كل شيء قد تم لرحلة سيرها ثلاثة ايام في ارض قاحلة قاسية ، لا ماء فيها ولا نبات .

وفي اليوم السادس من شهر آب ١٩١٨ تحركت المفرزة بدلالة ثلاثة رجال من الصحراء ليدلونا على الطريق الآمنة وقد أبى هؤلاء السير برفقتنا من « الجفر » الى (الازرق) الا لقاء خمسة عشر جنيها لكل واحد منهم عن ستة ايام هي كل المسافة التي تقتضيها تلك الرحلة القاسية . وكان احد اولئك الثلاثة احق بالاجرة من رفيقيه لانه عدا طلعته الجميلة وتوقد عينيه ، كان شعلة ذكاء متقدة . فهو يعرف الامكنة التي نجتازها ، ويسميها ، ويتجنب المبالغة في تقدير الشقة وتعيين الامكنة المقصودة ، بعكس رفيقيه اللذين هما احق بالهداية منا الى الطريق السوي . ان المكان الذي يقتضي مثلا السير اليه يومين او ثلاثة ايام كانا يكتفيان بالايماء اليه بالعصا او بعبارة (هنو ، هنو) الى غير ذلك مما ضايق الضباط المضطرين الى تنظيم حركاتهم وترتيب شؤونهم بحسب الاوقات المعينة ، والنظام الضروري لحركة الجيش في حله وترحاله . اما الدليل الاول فهو عدا حذقه في الدلاله الصحيحة،

كان يفكه الرجال ، ويسليهم بمطاردة الغزلان والارانب ، فكان عونـا بهذه المفكهات على السير الشاق والاتعاب التي لا بد منها في مثل هذه السفـرة القاحلـة .

مضينا في سيرنا ذلك النهار كله الا ساعة واحدة ارصدناها لارواء الخيل والبغال المحملة . اما الجمال فكانت على عادتها تطوي البيـد واحشاها ظاوية ظمأى بينما فناطيس الماء منطوية على هوادجها .

ثم واصلنا سيرنا في اليوم السابع مـن آب والشمس تغمرنـا بما يشبه طوفان مـن الاشعة اللاذعة المحرقة ، والهواء حار ناشف ، فكان اشد يوم قاساه الحيوان في خدمـة الانسان ، والانسان تعب منهـوك .

وفي اليوم الثامن صباحا كنا بلغنا مقربة الماء في « باير » فارسلنا بعض الجنود يقودهم ضابط ومعهم وعاء كبير مـن الخام بشكـل حوض ليملأونه من ماء البئر حتى اذا وصلت المفرزة بعد بضع ساعات وجدت موردا حاضرا تعمد الى السقي منه بسهولة .

وفي هذا اليوم ، اي الثامن من شهر آب كاد العطش يهلـك الانسان والحيوان معا . ولذلك اسرعت الى « باير » قبل وصـول القطعات اليها لأرى ما كان من تنيجة الاستحضارات ، فوجدت الضابط قد شج رأسه اثر ضربة تلقاها من البدو الذين كانـوا يستقون المـاء من البئر لارواء ابلهم . رأيته متأثرا يكاد ينفجر حقدا على الذي ضربه كما شاهدت البدو متحفزين للقتال دفاعا عن انفسهم ، وحرصا علـى سلامة البئر التي يستقون منها . فتقدمت اليهم محييا وسألتهم عمـا

اذا كانوا يحتاجون الى المساعدة لارواء ابلهم فارتاحوا الى اللهجة التي خاطبتهم بها • ثم امرت الجنود ان يفرشوا الاحواض ويعملوا بادلائهم الدلو في الماء على ارواء ابل البدو حتى وصول الحملة • ومن جهة اخرى طيبت خاطر الضابط ، وقلت له باننا لم نأت الى هنا لمحاربة اخواننا وانما تحملنا كل هذه المتاعب والمشاق لغاية اخرى • وهكذا انتهى البدو من التزود بالماء ، ولم يبق منهم احد حول البئر سوى واحد كان يغازل بنتا بدوية بمناسبة نقلها الماء من البئر وقد اضطر اخيرا الى ترك البئر بعد مجيء الجنود واحاطة البئر الوحيدة « عميقة الغور » •

ولشدة الزحام على البئر وقع فيها احد الجنود قضاء ففارق الحياة •

وفي اليوم العاشر من آب تركنا « باير » الى الازرق وبعد مسيرة يومين كاملين ، ادركنا المساء فحللنا (العمرى) وهو موضع يكثر فيه الماء ولكنه لا يصلح للشرب ، عدا عينا غير نضاحة ، ومع هذا اضطررنا الى اخذ حاجتنا على الرغم من عدم صلاحه ، وتابعنا المسير بدون توقف ، حتى وصلنا الى الازرق ، فاذا به كثير الغدران ، يطل عليه جبل الدروز ، وفيه بناء قديم من الحجر الصلد يعتقد القائمون بجواره انه من بقايا العهد الروماني • وبينما كنا نروي ابلنا ونملأ آنيتنا من هذا الماء العذب ، ظهرت سيارة الامير فيصل وفي معيته السيدان : نوري السعيد وجميل المدفعي ومعهم لورانس ، والكولونيل جويس والميجر يانك • وهناك كتبت الرسائل الى زعماء الدروز ولم نهمل حفر الخنادق الضرورية لنا استعدادا للطوارىء •

وفي صباح ١٤ آب غادرنا « الازرق » وسرنا حتى المساء حيث

وصلنا الى واد محاط ببعض التلول وبقينا ليلتنا فيه بعد ان اخذنا الاحتياطات . وفي اليوم ١٦ آب واصلنا السّير حتى وصلنا الى (المتاعية) وهي خربة خالية من السكان ، ابنيتها من الحجارة السوداء ، وفيها مسجد صغير وآبار تتجمع مياهها من الامطار ، فاسترحنا فيها ست ساعات . وبينما نحن هناك وصل الشريف ناصر ، وبصحبته جماعة نوري الشعلان ، ليكون على رأس الحملة الشمالية ، بما فيها المفرزة الشمالية والقوات البدوية التي التحقت بها اخيرا . وكان الاهلون في « المتاعية » وجميع القرى التي مررنا بها يظهرون ابتهاجهم بمشاهدة الجيش ، كما كانت النساء يزغردن فتكسبنا زغاريدهن همة ونشاطا ، وتنسينا ما كابدناه من متاعب ومشقات .

عندما فارقت الامير فيصل في « ابا اللسل » كان قد سلمني كتابا ورد اليه من الجنرال اللنبي يخبره فيه بأن لا يعتمد على مساعدة جيشه (جيش اللنبي) حينما يتقدم الى الامام . وقد قال لي الامير « يجب ان تقدروا خطورة الوضع الذي انتم فيه وأن تعتمدوا على الله ثم على انفسكم » . وهذه ترجمة الكتاب مع النسخة الاصلية .

القيادة العامة لقوة الحملة المصرية .

صاحب السمو الامير فيصل .

انتهز فرصة سفر الكولونيل دوني الى العقبة لابلغ سموكم فائق تحياتي ومزيدتمنياتي واحيط سموكم علما بانني تباحثت مع الكولونيل دوني في طلباتكم وخططكم في المستقبل ، وانه سيخبر سموكم بآرائي في ذلك . توجد نقطة واحدة رأيت من الضروري ان اوضحها جليا

GENERAL HEADQUARTERS,
Egyptian Expeditionary Force,
1st Echelon,

~~(Date)~~ 4/4/18.

To His Highness
The Emir Faisal.

After Greetings.

I am taking the opportunity of Lieut. Colonel Dawnay's departure to Akaba to send my greetings and good wishes to Your Highness.

I have discussed with Lieut. Colonel Dawnay your requirements and your plans for the future, and he will communicate my views to Your Highness.

There is one point which I find it necessary to make quite clear to Your Highness in order to avoid any misunderstanding in the future. It is that , in the event of your extending your military operations far in advance of the right flank of my force, you must not reckon upon the support and cooperation of my Army, as you will enter districts which are outside my sphere of operations and to which my forces will be unable to penetrate at present.

I think it wise to inform you of this in order that Your Highness may be under no misapprehension when formulating your plans.

I need not assure Your Highness that you will receive all the support and assistance which I can furnish and I am convinced that the sympathy and spirit of cooperation which is now established between us will help us to defeat our common enemy.

With compliments,

EHH Allenby.

General,
Commanding - in - Chief;
Egyptian Expeditionary Force.

لسموكم لاجتناب اي سوء تفاهم في المستقبل وهي انه في حالة امتداد حركاتكم الحربية بعيدا للامام عن جناح جيشي الايمن يجب ان لا تعتمدوا على مساعدة جيشي واشتراكه معكم لان سموكم ستدخلون مراكز خارجة عن منطقة تحركاتي الحربية والتي لا يمكن لقواتي الدخول فيها في الوقت الحاضر • رأيت من الصواب اخطاركم بذلك حتى لا يكون لدى سموكم سوء فهم عند تقدير الخطة • واني غير محتاج لان اؤكد لسموكم باني سابذل كل مساعدة ومعاونة يمكنني ان اقدمها اليكم وانني مقتنع بأن العواطف والروح المشتركة التي توطدت الان بيننا ستساعدنا على كسر العدو المشترك •

ختاما اقبلوا فائق التحيات •

اللنبي جنرال
قائد عام قوة الحملة المصرية

فيظهر من كتاب « اللنبي » هذا انه كان يخشى ان هذه المغامرة اذا اخفقت قد لا يسلم من افرادها احد لبعدها عن أس الحركات العربية والانكليزية ، وعدم امكان الاتصال بها وتزويدها بما تحتاج اليه من مؤن سيما وسيغدو وراءها صحراء قاحلة لاماء فيها ولا زاد • فاراد ان يتنصل من مسؤولية مساعدتها حتى لا يلام في المستقبل • هذا وقد يخطر على البال ايضا انه اراد ان يلقي في روع قوادها خطورة الوضع حتى لا يندفعوا فيسرعوا في دخول « الشام » محررين قبل دخول جيوشه • وهذا اضعف الايمان ••

ولذلك رأيت هنا ان من واجبي ان ابين واوضح لاخواني

خطورة الموقف لاننا كنا محاطين من جهاتنا الاربع من قبل العـدو ، ومهددين بالفناء اذا لم ننجح.

ثم بارحنا « المتاعية » الساعة الثانية بعد الظهر فمررنا بـ (الطيبة) وهي قرية عامرة ، آهلة بالسكان الذين خرجوا لاستقبالنا باناشيدهم. نساؤهم يحملن الماء ويسقين الجنود ، ويدعون لهم بالنصر والنجاح . كانت لحظات ما اجملها واحبها الى النفوس. كانوا يرددون : « خلصونا من ايـدي السفاحين يا جند اللـه . ليحيى الشريف . ليحيى جيش الشريـف » .

قضينا الليلة قريبـا مـن القرية ، وزغاريد النساء لم تنقطع حتى الصباح .

وفي صباح ١٧ آب ١٩١٨ تهيئت القطعات للحركة بـين اصوات التهليل والتكبير والدعاء ، وقلوبنـا مطمئنة الـى ان الله معنـا ، وان النصر حليفنـا . وقبل الظهـر بساعتين وصلنا الى السكـة الحديدية شمال « درعا » وعلى بعد اربعة كيلو مترات منها ، الى (تل عرار) وهي قمة تشرف على كل ما يحيط بها من سهول واراض وكانت بالقرب منها قوة تركية صغيرة للمحافظة على الجسر وبسرعة خاطفـة قضينا على تلك القوة التركية ولم تكلفنا هذه العملية سوى شهيدين قتـلا بالقنابل اليدوية التي استعملها الاتراك اثناء الهجوم عليهم . ثم ابتدأنا بتخريب السكة ولغم الجسر ، فخرجت علينا طيارة المانية مـن درعا وحامت حولنا والقت علينا ثلاث قنابل ، ثم عادت الى « درعا » وبعد مدة قليلة اتت اربع طيارات اخرى وشرعت في القصف واستمرت

على هذا المنوال حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر • وجاءت طائرة بريطانية للكشف فاصطدمت بطائرة معادية وسقطت ، فنجا قائدها الانكليزي فاحرقنا هيكلها •ثم قررنا التوغل في الداخل لتدمير خط « حيفا » واضطررنا الى ان نبقي قسما من المفرزة في تل عرار بقيادة جميل المدفعي ليحمي لنا خط الرجعة اذا احتجنا اليه •

بلغنا « مزيريب » واستولينا على مركز الناحية ، واسرنا ستين جنديا كانوا فيها ، وما لبث احد ارهاطنا ان هاجم المحطة واستولى عليها ، واسر عشرين جنديا كانوا فيها كما وضع يده على ١٤ شاحنة من الارزاق استولى عليها اهل القرية وما بقي احرق •

وجاءنا ضابط ارمني من الجيش التركي متخفيا بزي بدوي وبرفقة شيخ قرية « تل شهاب » فاخبرنا ليلا بأن على جسر « تل شهاب » مفرزة تركية في امكاننا الاستيلاء عليها وعلى الجسر وهو مهم للغاية ، فتطوعنا انا والسيد نوري السعيد ، وتحسين علي ، لهذه المهمة واجرينا قرعة فيمابيننا فاصابت القرعة تحسينا • وبينما كان الموما اليه يستعد لانجاز مهمته اذ اتانا خبر آخر بأن مددا كبيرا جاء الى هذه المحطة فتركناها •

وفي صباح يوم ١٨ آب اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ما بين « درعا » وقرية « الرمثة » فكانت الطائرات المعادية تلاحقنا بشدة • ولما دخلنا القرية المذكورة استقبلنا الرجال والنساء برفع الاعلام البيض من فوق سطوح المنازل • وما لبثنا ان اتجهنا نحو محطة « نصيب » حيث وجدنا قرب جسرها زهاء (٣٠٠) جندي فازلناهم من طريقنا

فخربنا الجسر واتجهنا شرقا • ولن انسى ما قام به هناك ضابط الرشاش صبحي العمري من بسالة ورباطة جأش امام خصمه ضابط الرشاش التركي واسكاته •

وهنا وصلت الينا نجدات بدوية من « عمان » عززت موقفنا ، فاتجهنا نحو المتاعية واحتللنا المواقع المستحكمة فيها ، فكانت الطائرات المعادية لا تنقطع عنا • ثم اتجهنا نحو « ام السراب » القرية العامرة بالسكان فاقمنا فيها ساعة ، ذهب خلالها فصيل فدمر السكة الحديدية المجاورة • وارسلنا في الليلة التالية السيد تحسين علي على رأس رهط من الهجانة وفصيلي رشاش خفيف وثقيل لتخريب السكة بجوار نابلس حيث اندحر الترك فاشتبك واياهم في معركة اضطر على اثرها العدو الى الانسحاب نحو الجبال والمرتفعات ، وتمكنا من تخريب اربعة كيلو مترات من الخط الحديدي •

وفي اليوم التالي ذهبنا الى « المتاعية » واذا بالبشائر تقول ان الترك ينسحبون من « عمان » و « السلط » الى (درعا) • فشكلنا عدة مفارز صغيرة لتلاحق القوات التركية الهاربة ، وتشل حركاتها • ثم ذهبنا من هناك الى « خربة الغزالة » وفيما كنا متجهين اليها اذا بقطار يحمل المؤن والجنود آت من « الشام » يهوي عند الخط المخرب ، فيهاجمه البدو ويغنمون ما فيه • وفي « خربة الغزالة » حيث كنا نحاول ان نأخذ قسطا من الراحة اقبلت طيارات العدو فالقت علينا وابلا من القنابل جرح على اثرها الضابطان السيدان ياسين ومحمود الهندي وبعض الجنود •

وفي اليوم التالي بلغنا قرية « الشيخ سعد » وكان فوج تركي

راجعا مـن الميدان في طريقه الى « درعا » وهو منهوك القوى فحملناه على الاستسلام ، وفيما نحن كذلك اذا بطائرة انكليزية تلقي علينا صرة وجدنا فيها ورقة تخبرنا فيها بأن لواء مـن خيالة الترك دخل قريـة « طفس » وهو يتجه نحونا . فكان وضعنا خطرا جدا ، فاسرعنـا واشغلنا مواقع مشرفة على الطريق ، ونصبنا مدافعنا ورشاشاتنا وكل ما نملك من قوة ، وفاجأنا اللواء بنار حامية فأوهمناه باننا نملك قوةفائقة، فاضطر على الاثر ان يغير اتجاهه ويسلك طريقا آخر . وفي هذا الوقت كان بعض النساء والرجال من قرية طفس يهرب نحونا . وكان شيخهـا الشهم « طلال » قد هاجم الاتراك القساة الذين ارتكبوا اعمالا وحشية تجاه نساء القرية فاستشهد رحمه الله . ولما سمع بعض جنودنا وضباطنا بهذه الاخبار لم يتمالكوا انفسهم عن اخذ الثأر من الاسرى . ويشهدالله انني حاولت الحيلولة دون ما اراد بعض الجنود من انتقام ، ولكـن بدون جدوى . ثم ذهبنا الى « درعا » واذا بالترك يهربون متوجهين نحو « الشام » . فدخلنا (درعا) ولم نجد فيها احدا من الاتراك . وقد اخبرنا رئيس بلدية درعا ان القائد التركي العظيم مصطفى كمال قد جمع قسما مـن الاهالي وخطب فيهم ــ قبل مغادرة الجيش التركي المدينة ــ قائلا ان الحكومة العثمانية لم تحسن الادارة في المملكة ، ولم تتمكن من تحسين حالة العرب بعد ان عاشت معهم اربعمائة سـنة . وقال لهم ها نحن اولاء ذاهبون وعليكم انتم ان تتعاونوا ، مع الشريف الذي هو منكم ، باخلاص .

وفي صباح يوم ٢٥ ايلول ١٩١٨ تحركنا نحو الشام .

الحركة نحو الشام

كانت حالة الجنود ومعنوياتهم جيدة جدا . اما حالة الابل والحيوانات الاخرى ، فكانت تستحق الشفقة والرحمة . فعلى الرغم مما هي عليه من جوع وعطش ، فانها كانت تكاد لا تقوى على نقل خطاها من التعب وعلى الرغم من الحاح ضابط الارتباط الميجر يانك علينا ونصائحه لنا بأن نتريث قليلا في السير لنأخذ قسطا من الراحة للجنود والحيوانات فاننا كنا نصر بعناد على الاستمرار في السير السريع للوصول ساعة ابكر الى الشام (دمشق) وكنا نشك في حسن نية الميجر يانك ونعتقد انه يريد بنصيحته هذه تأخيرنا حتى يتمكن الجيش الانكليزي من الدخول الى الشام قبل وصولنا اليها . وهكذا سرنا سيرا حثيثا على الرغم من كل مما عانيناه من مشقة وتعب وحرمان فوصلنا الى « الغوطة » وهنا استوقفت المفرزة ورأيت من واجبي ان اذكر اخواننا الذين استشهدوا في ميدان الشرف ، فوجهت هذه الكلمات الى الجنود والضباط .

« اخواني . ان شهداءنا الكرام الذين دفناهم في ساحة الوغى لا تدخل اجسادهم الشام معنا كما كانوا يتمنون (١) ، لكن ارواحهم

---

(١) وهذه اسماء بعض الشهداء :
القائد السيد رشيد علي « بغداد » ، القائد السيد طاهر ، « بغداد » الرئيس السيد بهجت صالح الكروي « بغداد » الملازم السيد توفيق الشهابي ، الملازم السيد طيب ، الملازم السيد هاشم الملازم السيد بدر الدين الخاني ، الملازم سعد الدين الصفدي ، الملازم مصباح البيروتي ، الملازم السيد سعيد اللاذقاني ، الملازم السيد عبد الجبار قره شعبان ، وكيل ضابط سعيد الطرابلسي ، وكيل ضابط صالح النابلسي . الملازم نزيه الشامي ، القامه جي السيد جميل . وكيل ضابط السيد احمد مصطفى الموصلي . وكيل ضابط احمد الرشاش

الطاهرة ترفرف الان فوق رؤوسنا وقد تحققت امانيها • فهنا في هذا المكان يجب ان تتذكر دماءهم الزكية التي سالت فمهدت لنا هذا السبيل• تتذكر مبادئهم الصادقة التي قدسوها وضحوا في سبيلها باعظم ثمن عندهم وهو الحياة • ان هذا المكان كعبة آمالهم ورغائبهم فنحن الذين كان لنا الحظ بأن نحمل اليه افكارهم وعواطفهم يجب ان نعتبره في حقيقة الحال مدفنهم الصحيح ومحط آمالهم الحقيقية • هنا يجب ان نذكر نفوسهم النبيلة ونقرأ على ارواحهم الطاهرة سورة الفاتحة » •

تقدمنا نحو الشام فوجدنا في طريقنا جمعا من وجهاء الشام جاء لاستقبالنا والترحيب بنا ، فواصلنا السير حتى دخلنا الشام فوجدنا فيها بحرا زاخرا من الجموع المستبشرة من الاهالي ، وقد دوت أصواتهم بالهتاف للعرب وجند العرب كقصف الرعد • دخلت دار الحكومة فوجدت نوري السعيد ، الذي كان قد وصل اليها قبلنا ومعه البدو ، وجدته متهيجا ، مضطربا ينتظر وصولنا • اخبرني بأن البدو شرعوا في النهب ، وانه يخشى ان تتوسع اعمالهم • فاتخذنا الترتيبات اللازمة • وزعنا الارهاط على المراكز المهمة في انحاء المدينة لحفظ الامن ، واوكلنا الى القائد حميد الشالجي ان يقوم بما يجب لردع البدو بعد ان اعطيناهم درسا قاسيا وانذرناهم ان يخرجوا حالا من المدينة • وعليه اصبحت الحالةهادئة ففرضنا نظام منع التجول في المدينة من بعد غروب الشمس •

البحـــث عـــن الهاشمـــي

اخبرنا ابراهيم حلمي العمر ، الصحفي العراقي المعروف ، بـــأن العقيد العراقي حليم بك والقائد توفيق برتو اللذين كانـــا في الجيش العثماني لا يزالان موجودين في الشام ويسكنان في دار قريبة منـــا . فذهبنا انا ونوري وجميل المدفعي لمواجهتهما بعد الغروب للاستفســـار منهما عن الحالة ، واخذ بعض المعلومات التي تفيدنا . وعندما وصلنـــا الى الدار كان الظلام قد اسدل ستاره تماما . فاردنا ان نمزح معهما . فطرق ابراهيم حلمي الباب ، واخبرهم بان ضباط الشريف يرغبون فـــي مقابلتهم . ولما فتحوا الباب . تقدمت انا متلثما وسألت حليم بك : هل انت حليم بك الاتحادي ؟ فاجاب خائفا مرتعدا . نعم انا حليم بك ولكني لست اتحاديا . ضحك نوري وجميل . ودخلنا الدار حيث كانا جالسين حول البركة يرفهان عن نفسيهما . وهنا اخبرهما نوري السعيد بـــأن ياسين الهاشمي وقع في اسر الجيش الانكليزي ، وان الجيش الانكليزي سيسلمه الينا . فانكر توفيق برتو الخبر وقال . ان ياسين لايزال في الشام وهو (توفيق برتو) يعرف محله . فاستصحبناه وذهبنا الى المحل الذي اخبرنا عنه فلم نجده ، وبعد ان اطمأن صاحب الدار الى حسن نيتنا اتى معنا الى محل آخر كان ياسين قد التجأ اليه ، وبعد جهـــود كثيرة اهتدينا الى المحل . طرقنا الباب ، ولما خرج صاحب الدار انكر وجود ياسين لديه انكارا قاطعا . فقلت له بالله عليك ادخل وقل لياسين ان علي جودت ونوري السعيد يريدان مقابلتك فأن وافق على مقابلتنا

اخبرنا والا قل لنا انه غير موجود . قال اني اقول لكم بانـــه ليس موجودا ، ولكن امتثالا لرغبتكم سافعل ذلك . ذهب الرجل وبعد برهة اتى معتذرا وهو يبتسم ، وطلب الينا الدخول فدخلنا وتصافحنا ولكننا لحظنا ان على وجهه خدوشا واثار جرح ثم علمنا انها نتيجة طلقة تلقاها من احد افراد البدو الذين كانوا ينهبون مخزن الحبوب في محطة السكك الحديدية على الطريق ، وذلك حين اراد ــ رحمه‌الله ــ ان يكفهم عنها، وعن تخريب المحطة . وقد تباحثنا معه واعطيناه بعض الايضاحات عن وضعنا فأبدى تحفظا بشأن البقاء معنا ، ولكن ما لبث بعدوصول الامير فيصل الى الشام ومقابلته اياه ان وافق على البقاء في الشام .

* * *

Hamad Khalifa

وصول الامير فيصل الى الشام (١)

وصل الامير فيصل الى دمشق في ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٨ فخرج لاستقباله الكبير والصغير من رجالها ونسائها ، ودخل الفيحاء دخول الظافر المنتصر ، مارا بين الجماهير المتزاحمة المتراصة ، الفرحة المستبشرة ، الهاتفة ، وما زال يسعى حتى بلغ ساحة البلدية (في المرجه) فوقف هناك متأملا في تلك البقعة الصغيرة التي نحر الطاغيه التركي فيها آخر ضحية على مذبح النهضة العربية . هناك نظر الامير فيصل الى مواضع المشانق التي علق عليها الطاغية جمال السفاح نخبة من رجال العرب فاشتد تأثره كثيرا ، ودمعت عيناه . فالخسارة التي منيت بها الامة العربية بفقد هؤلاء الصناديد كانت جسيمة ، وقد عز على الامير الثائر كونه لم يستطع تخليصهم من براثن ذلك الذئب الغدار .

اقمنا في الشام مدة قصيرة بغية منح الجنود والحيوانات في المفرزة قسطا من الراحة ، وللتموين ، ولتأمين الاستقرار والطمأنينة في البلد ، ثم تحركنا الى حمص بطريق « النبك » . اما الاحتفالات التي كانت تجري للمفرزة المنصورة في القرى التي كنا نمر بها فلا حاجة لوصفها لان الاهالي الذين كانوا قد ذاقوا من صنوف الذل والهوان اشكالا والوانا مدة السنوات الاربع الماضية وكاد اليأس يقضي على كل امل لهم في عودة الحياة الطبيعية والراحة الى وطنهم ، قد استقبلونا كشمس بزغت عليهم بغتة من خلال الدياجي المظلمة .

---

(١) نزل الامير فيصل ضيفا على بيت فوزي البكري رفيقه في الجهاد .

ثم سرنا في الغد الى قرية (الحسية) وفي اليوم التالي دخلنا « حمص » وكان الفرسان البريطانيون قد سبقونا اليها ، ومع هذا عندما شاهد الاهالي جنودنا انتعشت قلوبهم ، وهرعوا الى الترحيب بهم ، ونزلنا في الثكنة (القشلاق) الكبيرة ، واقمنا يومين ثم بارحنا « حمص » عصرا وبتنا في الطريق (الرستن) بالقرب من الجسر الذي كان الاتراك والالمان قد نسفوه من قبل • وفي الصباح الباكر عبرنا النهر في المخاضة على عمق متر واحد تقريبا ثم بلغنا مدينة (حما) قبل الزوال • وقبل الدخول اليها اقمنا في الضواحي رهطا من الرشاشة لمطاردة العدو فيما اذا وجدنا فلولا له في اطراف المدينة ، وبينما نحن كذلك اذ اقبل علينا بعض الرجال من « حماه » واخبرونا ان الاتراك في طريقهم الى الفرار • ثم دخلنا (حماه) ولا تسل عن سرور الاهالي بنا ومظاهرات الفرح العظيمة التي استقبلونا بها ، وكانت تلك اول ليلة ذاقوا فيها طعم السكينة والراحة • وبينما كنا في هذه المدينة اذا برسول يخبرنا بأن جماعة من الضباط العرب بينهم السادة : تحسين العسكري ، واخوه علي رضا العسكري ، ويوسف حنظل ، ومهدي الرحال ، ويوسف العزاوي ، ومحمد العصيمي النجدي ، الذي سهل لهم الهرب من حلب قد وصلوا الى قرية قريبة من « حماة » وهم يطلبون الالتحاق بنا • فارسلنا اليهم قافلة من المفرزة بقيادة احد الضباط لجلبهم ومن معهم ، ولما جاؤوا رحبنا بهم والتحقوا بالمفرزة واشتركوا في حركاتها •

وقد اصبت في تلك الاونة بمرض الانفلونزا الذي كان قد تفشى في تلك الاثناء فبقيت يومين في دار الوجيه النبيل السيد عبد القادر الكيلاني الذي بذل اقصى جهده لتأمين راحتي حتى شفيت والحمد لله

والتحقت بالمفرزة التي كانت في طريقها الى حلب والتقيت بنوري السعيد الذي كان قد التحق بنا من الشام ، في (خان تومان) وباشرت الحركات في اطراف حلب كما فصلها نوري السعيد في كراسته الخاصة «محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العراقي في الحجاز وسوريا» المطبوعة في بغداد سنة ١٩٤٧ الى ان اعلنت الهدنة .

* * *

في سورية

دخل الامير فيصل دمشق وشرع في تأسيس الحكم الوطني فكان هذا حدثا تاريخيا عظيما اعاد الى العرب حقا سليبا وحقق آمالهم في جزء مهم من وطنهم الاكبر ، وقد بادر سموه فعين علي رضا باشا الركابي حاكما عسكريا عاما لسوريا ، والامير عادل ارسلان معاونا له، وياسين الهاشمي رئيسا لاركان الجيش . وتم تعيين موظفين مدنيين للدوائر المختلفة ، كما عين شكري باشا الايوبي (١) حاكما عسكريا لولاية حلب بعد ان رجع من بيروت حيث كان قد ذهب اليها مع مفرزة من الجيش العربي ، بعد انسحاب الاتراك منها . اما انا فقد عينت حاكما عسكريا لمدينة حلب فسلمت قيادة المفرزة الشمالية الى قائد لواء الهجانة تحسين علي ، وعين لقيادة الدرك ، علي رضا العسكري ولقيادة الموقع حميد الشالجي ، كما عين موظفون مدنيون للادارة والمالية والصحة والبلدية . وفي هذه الاثناء كان الاديب الشهير والكاتب الالمعي المعروف السيد امين الغريب صاحب مجلة الحارس اللبنانية الذي ناوأ الادارة العثمانية خلال الحرب العامة الاولى قد رجع من منفاه في الاناضول ، الى حلب . وبما انه على جانب عظيم من الثقافة والعلم والادب ، وله اطلاع واسع في اللغات الانكليزية والفرنسية ، والمام لا بأس به في اللغة التركية ومقدرة فائقة في الترجمة من والى هذه اللغات الثلاث فقد

---

(١) كان شكري الايوبي رجلا سليم القلب ، حسن النية ، موصوفا بالشهامة والوطنية وكان الترك قد اضطهدوه وعذبوه عذابا اليما حتى انهم حرموه النوم مدة عشرة ايام لحمله على الادلاء بما يفيدهم ويوافق سياستهم فما اجدى ذلك نفعا .

انتهزنا الفرصة للاستفادة من مواهبه هذه فوافقت الحكومة المركزية في الشام على تعيينه سكرتيرا لحاكمية مدينة حلب ، فكان عونا لـي وللحكومة العربية على تمشية امور الادارة خلال الفترة التي قضيتها كحاكم عسكري في مدينة حلب •

سعت الادارة بكل ما لديها من وسائط وتدابير لتوطيد الامن والاستقرار في البلاد ، ولكن مع الاسف كانت تلك الادارة قذى في اعين الفرنسيين في هذه الفترة ، وكانت الدعاية الفرنسية والتحريضات المأجورة ضد الحكم الوطني قد بدأت ، تسندها بعض الجرائد المحلية التي تغذى باموال الافرنسيين ، وترافقها حركات استفزازية من قبل بعض افراد الجالية الارمنية ، التي كانت قد تجمعت في « حلب » بعد ان شتتها الحكومة العثمانية في اثناء الحرب • على ان الحكومة العربية بذلت اموالا وجهوداكبيرة لجمع هؤلاء المشردين ــ الذين يقدر عددهم بنحو عشرين الفا ــ وجلبهم وايوائهم ومعاونتهم • ولكن البعض منهم اغراهم الفرنسيون بواسطة رجالهم وبماكانوا يدفعون اليهم من مال ومساعدات ، للقيام ببعض الاستفزازات • كانت البعثة الافرنسية تسعى وتعمل بكل جد للاستفادة من هؤلاء البسطاء لايقاع حوادث دامية في سورية كي تبرهن للعالم ــ بحسب زعمها ــ على ان العرب لا يمكنهم ان يؤسسوا ادارة مستقلة تحمي العناصر المضطهدة وغير المسلمة في جو من العدالة • كما تريد ان تظهر للعالم ايضا أن العرب لا يستطيعون ان يحكموا انفسهم بانفسهم ، وذلك لخلق اسباب تبرر بقائها في سورية • ولهذا اصبحت تتحين الفرص للايقاع بالحكم الوطني •

وعلى اثر الخطاب الاستفزازي للمسيو بيشون ــ وزير خارجية

فرنسا حين ذاك ــ ضد العرب ، ارادت العناصر الوطنية العربية في حلب ان تظهر استيائها مما جاءفيه وتحتج عليه • فقررت ان تقوم بمظاهرة في داخل المدينة «حلب» وكان هذا القرار بموافقة مجلس ادارة الولاية ورئيسه المرحوم شكري الايوبي ، على ان تكون المظاهرة في يوم الجمعة (في سوق الجمعة) وقد انتهزت الجهة الفرنسية هذه الفرصة فدبرت مؤامرة للافساد ما بين الارمن والعرب ، لتبرهن على صحة ما تدعيه من ان العرب لا يمكنهم المحافظة على ارواح رعاياهم من غير المسلمين • وعندما بلغني خبر قرار المظاهرة وما يمكن ان ينتج عنها من محذور وبصفة كوني المسؤول عن الامن في مدينة حلب ، اقترحت على الحاكم العسكري شكري الايوبي ان يلغي قرار المظاهرة وان يمنعها ان امكن ، فلم يوافق ، فقدمت اليه مذكرة سردت فيها ما يمكن حدوثه ، وما قد ينتج من امور خطيرة نحن في غنى عنها ، وارسلت نسخة من المذكرة الى الشام فاسرعت الحكومة المركزية في الشام وكتبت الى الحاكم العسكري لولاية حلب ان يلغي القرار ويمنع المظاهرة ، ولكن الوقت كان قد فات اذ وصل امر الالغاء ليلة الجمعة ، وكان كل شيء قد تهيأ لها • وفي صباح يوم الجمعة بينما انا جالس في داري استقبل الزائرين كالعادة ، اذا بجرس التلفون يرن ، واذ بالباشا يخبرني بوقوع مذبحة بين الارمن والاهلين في سوق الجمعة ، ويرجوني ان اتخذ ما يلزم لوقف الفوضى وارجاع الامن الى نصابه • يشهد الله باني كظمت ــ جهد طاقتي ــ غيظي وما كان يجيش في صدري من عتاب • فلم اجب بسوى كلمة واحدة هي انني ساقوم بما يقتضي لتنفيذ اوامره •

لم يكن لدينا حينئذ من وسائط للنقل سوى الخيل والجمال •

تركت داري وامتطيت حصاني واسرعت الى مقر المفرزة (الجيش) لاستعين بها على تهدئة الحالة فوجدت قسما من الضباط وعددا قليلا من الجنود ، فبينت لهم خطورةالوضع ، وامرتهم بأن يأخذوا اسلحتهم ورشاشاتهم وعتادهم، ويذهبوا الى محل الحادث وقد اعطيتهم التعليمات وطلبت اليهم ان يطبقوها باسرع ما يمكن ومهما كلفهم الامر . ثم ذهبت من ورائهم بنفسي لاشرف على العملية فوجدت الشجعان من اهالي حلب في حالة دفاع ، فتدخل الجيش بسرعة فائقة ، وبعد ساعة تقريبا كان كل شيء قد انتهى ولكن مع الاسف بعد ان ترك في الميدان عددا من القتلى والجرحى يقدره البعض باكثر من مئة .

وعلى اثر هذه الحادثة اراد الفرنسيون التدخل بالقوة ، بحجة المحافظة على ارواح الاهالي وارجاع الامن الى نصابه ، فعقدوا اجتماعا مع القائد الانكليزي الجنرال « ماك اندرو » وهو رجل اسكتلندي نبيل ، ليقنعوه باتخاذ تدابير يخفون وراءها بعض النيات السيئة ، ويتخذوا اساليب غادرة لضرب الحكم الوطني . ولما شعرت بذلك اتصلت بالجنرال المذكور واقنعته بعدم جدوى ما يراد تطبيقه من قبل الفرنسيين . كما اوضحت له بأن ما يقصده الفرنسيون ليس الا اظهار سوء الحكم الوطني . وعليه فقد اتفقنا على ان تقوم الحكومة العربية باجراء التحقيق ، وان توقف الذين نسب اليهم اثارة الحركة والمظاهرة وتطبق العدالة بحقهم، فاضطرت الادارة لتوقيف بعض الذوات موقتا وهم من كبار الشخصيات في البلد ، وكان ذلك ضروريا لسد الطريق في وجه مقاصد الفرنسيين الغادرة ، وقد يدعي بأن هذه المحاكمات قد حكمت على بعض الابرياء ولكنها على كل حال قد انتهت بنتيجة حسنة والحمد لله .

السير مارك سايكس في حلب

بعد ان مرت فترة من الزمن على حادثة حلب ، قدم اليها السير « مارك سايكس » ، العضو البرلماني البريطاني ، ومنظم معاهدة سايكس ـ بيكو السرية المنعقدة بين الانكليز والفرنسيين لتقسيم البلاد العربية في الشرق الادنى بينهما . وقد جاء مدينة حلب معلنا زيارة الجنرال اللنبي ـ قائد جيوش الحلفاء في سورية وفلسطين ـ بعد ايام ، وحاثا على استقباله بالحفاوة التي تليق بمقامه . فتقرر في منهاج الاستقبال ان يصطف الجنود البريطانيون على قارعة الطريق الذي سيسلكه ، وان يصطف الجنود العرب بعدهم اي على مدخل « سراي » الحكومة .

كما تقرر ان تجرى تجربة عملية لهذا المنهاج قبل ان يصل الجنرال المذكور الى حلب . وفي اثناء هذا التطبيق العملي ، وحين كان احد الضباط الانكليز ، الذي يمثل دور الجنرال اللنبي يهم بالنزول عن ظهر حصانه ، صدحت الموسيقى العسكرية بحسب المنهاج ، فأجفل الحصان ووقع الضابط على الارض فأسرع السر مارك سايكس الذي كان يشرف بنفسه على تطبيق المنهاج ، يعلن ان هذا الحادث او الفصل لا يمكن ان يكون من المنهاج ، وانقذ بهذه النكتة الموقف الذي وقع فيه الضابط المشار اليه .

وصل الجنرال اللنبي بعد ايام قليلة الى حلب فاستقبل استقبالا

بالغ الحفاوة كما تقرر .

وقد حلت ذكرى وعد بلفور المشؤوم في تلك الاونة فقامت مظاهرة صاخبة احتجاجا على هذا الوعد البريطاني القاضي بمساعدة اليهود على ان يكون لهم وطنا قوميا في فلسطين فانتبه السر مارك سايكس للشعور العربي المتوقد غيرة وحماسة فاراد ان يصرف الناس عن التفكير في هذا الموضوع الحساس ، فاجتمع بلفيف من اهالي حلب وخطب فيهم مبينا لهم ان الترك لا يزالون على بعد مسافة قليلة منهم ، وان الاتراك لا يزالون اقوياء ، فعلى العرب ان يقووا انفسهم ، وان لا يفكروا في غير العدو القريب منهم ، واستطرد قائلا « كنت ولا ازال اصرح بوجوب تقوية العرب انفسهم ، واعدادهم للنضال امام اعدائهم ، سواء كان اعداؤهم الترك او اليهود او الانكليز او الفرنسيين » فكانت كلمة حق اراد بها باطلا .

وعلى اثر حادثة الارمن استدعي شكري الايوبي الى دمشق وتعين محله جعفر العسكري حاكما عسكريا لولاية حلب كما عين ناجي السويدي معاونا له .

حاكما عسكريا في البقاع

وبعد مدة قصيرة بدأت تحرشات الفرنسيين في « البقاع » وتألفت عصابات تعمل لمصلحة الانتداب الافرنسي . وفي هذه الاثناء كان الامير فيصل قد زار (حلب) فكلفني بان اكون حاكما عسكريا للبقاع للوقوف امام التحرشات . وبعد رجوعه الى دمشق ابلغتني الحكومة المركزية بالشام رغبة الامير فيصل هذه ، فذهبت حالا الى « البقاع » الذي كان يضم قائمقامية المعلقة ، وقائمقامية بعلبك ، وقائمقامية الزبداني ، على ان يكون المركز بعلبك . ونزلت ضيفا على صبحي بك حيدر قائمقام بعلبك .

بقيت ثلاثة ايام ادرس خلالها الوضع في المنطقة . تفقدت مواقع المعلقة ، وبعلبك ، والزبداني ، فوجدت من الانسب ان يكون المركز « المعلقة » لقربها من (زحله) وما جاورها من المحلات التي كانت

تحاك فيها الدسائس من قبل الفرنسيين واعوانهم ، فاستأجرت دارا في المعلقة قرب دار يوسف نمور (١) وسكنت فيها ولم اكد استقر في داري بل كنت اتجول على الدوام . كانت الحكومة قد جهزتني بسيارة صغيرة « فان » لاتنقل بواسطتها من مكان الى آخر . فكنت ساعة في بعلبك ، واخرى في « حوش حالة » ويوما في (بدنايل) واخر في (مجدل عنجر) ، وهكذا كنت في حركة دائمة استقي اخبار المنطقة ،

---

(١) احد وجهاء البقاع .

واطلع على الوضع فيها • وكنت اتلقى المساعدة من المواطنين الاحرار ، ولا سيما من آل حيدر الكرام في بعلبك او في اطرافها كقرية بدنايل وامثالها التي كانت لها ميزة خاصة في تلك الظروف • وكان تحت امري فوج فيه عدد كبير من ضباط وجنود المفرزة الشمالية جعلت مركزه المعلقة مع عدد من المدافع الجبلية عبئت في مواقع مناسبة للدفاع فيما اذا اقتضى الامر لذلك •

وفي ذات يوم وانا في المعلقة جاءني احد ضباط الاستخبارات الانكليز وكان مقره بعلبك وقال لي : ان الجنرال اللنبي يريد ان يقابلني في قرية جديدة ، احدى القرى في لبنان، في اليوم والساعة اللذين عينهما لي • فذهبت والمرافق العسكري الى المحل في اليوم والساعة المعينين فلم اجد الجنرال اللنبي هناك وانما وجدت مساعدهالجنرال «كونكريف» ذي الساعد المبتور ومعه عدد من كبار الضباط الانكليز والفرنسيين، وبعد الترحيب جلست معهم • ثم قالوا لي بواسطة احد المترجمين : ان (لويد جورج) و (كلمانصو) طلبا اليهم ان يبلغاني ان انسحب من المعلقة مع القوة الموجودة هناك لان تلك المنطقة تقع تحت ادارة القوات الفرنسية ، فقلت لهم ، اني ضابط عربي انتسب الى حكومة عربية مركزها الشام ، واني غير مستعد ان اتلقى امرا من غير حكومتي فأن كان هذا القرار معترف به من قبل حكومتي فهي التي يجب ان تبلغني اياه •

قالوا لي انهم يريدون ان يتصلوا بالحكومةالمركزية في دمشق ولكن خط البرق معطوب فلا يمكن الاتصال بها وهذا امر مستعجل يجب تنفيذه فورا • قلت : اذا كان الاتصال بواسطة البرق غير متيسر فارسال كتاب الى دمشق ممكن • وهنا قالوا اذا قررت السلطة الفرنسية

ان تنفذ هي الاوامر التي تلقتها فماذا تريد ان تعمله انت ؟

قلت سأقوم بواجبي اذا رأيت تجاوزا على ما انا موكل بالمحافظة عليه • ثم نهض الجنرال كونكريف وقال حسنا ، اذا اردنا ان نرسل كتابا الى دمشق فهل تتعهد بارساله ؟ • قلت لا اريد ان اتسلم الكتاب ولكن اذا اردتم ان ترسلوا كتابا مع رسول من قبلكم فانني اتعهد بايصاله الى دمشق سالما • ثم تركتهم وعدت الى المعلقة » واعطيت التعليمات الى الضابط المقيم ، بأن يؤمن ايصال الرسالة وحاملها الى دمشق • واردت ان اسبق الرسول الى الشام ، وقد ارخى الليل سدوله ، وكان البرد قارصا ، والطرق وعرة ، ومحفوفة بالمخاطر ، لوجود العصابات المبثوثة من قبل السلطة الفرنسية ، ولعدم وجود طرق معبدة للسيارات • كادت السيارة التي تقلني تنقلب بنا من وقت لاخر كما كان يطرأ عليها بعض الاحيان خلل فتقف ، لانها سيارة قديمة ومستعملة كثيرا • ومع هذا وصلت الى الشام قبل وصول حامل الرسالة اليها فاخبرت الحاكم العسكري العام علي رضا باشا الركابي بما جرى حيث اجتمعنا بحضور الامير زيد الذي كان نائبا عن الامير فيصل الموجود آنذاك في باريس لحضور مؤتمر الصلح • كما كان حاضرا الاجتماع عادل ارسلان معاون الحاكم العسكري ، وياسين الهاشمي ، وبعد ان سردت لهم تفاصيل مقابلتنا مع الجنرال كونكريف والضباط الفرنسيين بينت لهم اني مستعد لان ادافع عن موقعي ، وان لا اسلم بسهولة فلقيت منهم كل تشجيع ، ووعدوني بأنهم سيمدونني بكل ما لديهم من سلاح وقوة اذا اقتضى الامر • على انهم قالوا انهم سيدرسون القضية مفصلا ويبلغونني بقرارهم • فعدت حالا وفي الليلة

نفسها الى « البقاع » من دون ان اذوق طعم النوم ، او ينال جسمي بعض الراحة . ومع ان البرد كان شديدا وقارسا حتى يكاد يجمد دمي في عروقي فاني كنت اشعر في الوقت ذاته بالغبطة والامل والرجاء . وبعد بضعة ايام على ما اذكر فوجئت مع الاسف الشديد بخبر اختطاف المغفور له يسن الهاشمي من قبل الجيش الانكليزي في دمشق ، وارساله الى فلسطين ، فسارت مظاهرات وكانت احتجاجات في جميع انحاء سورية على هذا العمل الفظيع . ولكن ما هي قيمة المظاهرات والاحتجاجات اذا لم تكن وراءها قوة تسندها وتدعمها ؟ .

وبعد مضي بضعة ايام جاءني نوري السعيد يصحبه « الكولونيل كوس » القنصل الفرنسي المعروف الى المعلقة ، وابرزوا لي امرا من السلطة في الشام ترجوني فيه ان اسحب الفوج الى « الرياق » على ان ابقى ودائرة الحاكمية في « المعلقة » انتظارا لعودة الامير فيصل من باريس . وعليه ارسلت الفوج الى (الرياق) ولم يبق معي سوى بضعة جنود . وبعد بضعة ايام انتبهت صباحا لارى قوة من الجيش الفرنسي تحيط بداري ومصوبة رشاشاتها نحوها . فخرجت حالا ، وقابلت الضابط الفرنسي مستفسرا منه عن سبب هذه المفاجأة ، فقال لي انه قام بهذا بناء على ما تلقى من اوامر . فتركته وقلبي يكاد يتمزق من شدة الالم الذي كنت اشعر به من السلطة في الشام اذ جعلتني هي على هذا الوضع نتيجة امرها بسحب القوة من المعلقة ، وتركي مجردا لا استطيع الدفاع عن وضعي وكرامتي . اخذت حقائبي واستصحبت بعض الاشخاص تاركا المعلقة ، متجها نحو الرياق « حوش حاله » حيث يعسكر الفوج الذي انسحب من المعلقة . وفي الطريق صادفنا جماعة

راكبين في عربة وفي ايديهم آلات موسيقية يعزفون بها ويغنـــون ويرقصون • اوقفتهم مستفسرا عما لديهم فقال لي احدهم ان لديهــم ميتا دفنوه وها هم راجعين الى بيوتهم بعد الدفن • فهمت ما ارادوا بهذا الكلام مـــن شماته فأدبتهم بما يستحقون وحثثت الخطى نحــو الريـــاق •

ولما بلغت « الرياق » شرعت في مخابرة الحكومة في الشام ملحا عليها بامدادي بالجنود والضباط لتقوية مركزي في (الرياق) وبـدلا من ان القي المعاونة كنت اشعر مع الاسف بالمعاكسة الشديدة مــن قبل وزير الدفاع (مصطفى نعمت) حينذاك بعكس ما كنت القى من تشجيع من ياسين الهاشمي •

كان القصد مـــن طلبي الضباط ، ارسالهم الى القرى والقصبات الموالية للحكومة العربية لاستنهاض هممهم ومعاونتهم عند الحاجــة للوقوف تجاه تجاوزات العصابات الفرنسية واعوانها • فقد وصـــل الى الرياق بعض الضباط ، ولما كلفتهم بان يذهبوا الى بعض القـــرى للقيام بواجباتهم ابواذلك ، طالبين ان استخدمهم في (القلم) اي في الدائرة • فخاب ظني بهم ، واضطررت الى ان اشحنهم ثانية بالقطار ، واعيدهم الى الشام ، بعد ان يئست من امكان اثارة حميتهم للقيــام بالخدمة المطلوبة منهم •

وفي هذه الاثناء اتى نوري السعيد ومعه اسعد داغر وبرفقتهمــا الكولونيل كوس وبيدهم امر من الشام يطلبون فيه سحب الفــوج مـــن الرياق الى الوراء ، الى محل يبعد نحو عشرة كيلو مترات عـــن

محطة الرياق اي كما جرى في المعلقة •وعلى الرغم من احتجاجي على هذه الطريقة المزرية اصرت السلطة ولا سيما وزير الدفاع على تنفيذ القرارات فاضطررت ان اعطي امرا للفوج بالانسحاب الى المحل الذي عينه وزير الدفاع ، وهذا معناه افساح المجال لمجيء قوة فرنسية تطردنا من (الرياق) كما جرى في (المعلقة) • ولكنني في هذه المرة احتفظت بقوة قوامها اثنان وثلاثون جنديا مع رشاشتين ثقيلتين ، علاوة على ما يقرب من عشرة اشخاص من شجعان الحدباء (١) الذين كانوا معي منذ كنا في الحجاز ، وذلك باسم المحافظة على مقر الحاكم العسكري •

وفي صبيحة يوم من الايام اخبرت بوصول قوة مسلحة ليلا وهي بلباس مدني قوامها نحو مائتين وخمسين شخصا وبواسطة السكة الحديدية ، وقد تفرقوا في بعض البيوت في « حوش حالة » وفي الصباح تجمع قسم من هؤلاء وذهبوا الى السجن لاطلاق سراح بعض المسجونين الذين كانوا متهمين باطلاق الرصاص على معلم وطني وجرحه لانه كان يخطب في بعض القرى في (البقاع) ويحرض الناس ضد الافرنسيين • طلبت من احد الضباط ان يستعين ببعض الجنود لجلب واحد او اثنين من هؤلاء الاشخاص الذين كانوا قد وصلوا الى مقربة من السجن وهم يصخبون ويعربدون ، وبعد بضع دقائق اتاني الضابط ومعه شخص وقح للغاية • فسألته عن سبب ذهابه الى السجن فقال « ان حكومتنا الفرنسية الله ينصرها (كذا) قد اتت ولهذا لم يبق سبب لبقاء « هؤلاء المساجين في السجن » • وبينما كنت

(١) قاسم درويش وحمدي العلاف وابراهيم خليل واخوانهم .

احاسب الرجل على وقاحته وهجومه على السجن اذا باصحابه يهاجموننا باطلاق الرصاص ، ويهددوننا بالقتل اذا لم نترك الرجل والمساجين وقد جرح فعلا الضابط « رضا » واثنان من الجنود • وعليه تصدى لهم شجعاننا ولقنوهم درسا يستحقونه واسكتوهم هم وبنادقهم وفر من تمكن منهم من الفرار والتجأ اكثرهم الى المنازل في «حوش حالة » خوفا من رصاص الرشاش الذي كان يلاحقهم حتى على سطوح المنازل التي كانوا يفكرون بانهم سيكونون آمنين فيها • وبعد مدة قليلة ظهر ضابط انكليزي وبرفقته ضابط فرنسي وطلبا مقابلتي حيث ابلغاني رجاءهما الكف عن استعمال الرشاش • فاجبتهما اني لا اكف الا اذا انسحب هؤلاء الذين اتوا ليخلوا بالامن ، وانا المسؤول عن المحافظة عليه هنا • وفي خلال ساعة واحدة تقريبا كانت « حوش حالة » خالية من عصابة السوء •

ولم يترك الضابط الانكليزي الفرصة فدعاني الى الغذاء معه • قبلت الدعوة • وفي اثناء الوليمة قال لي بانه لا هو ولا الضابط الفرنسي كانا يعلمان بوجود رشاشات هنا ، وكلما كانا يعرفان ان الفوج والرشاشات كانت قد سحبت الى الوراء • ومن المضحك اني حينما كنت ذاهبا الى محل الضابط الانكليزي لتناول الغذاء ، وكان يسير ورائي بضعة جنود مدججين بالسلاح والقنابل اليدوية ، رآنا جندي مصري من الجنود الذين كان يستعملهم الانكليز للمحافظة على اكياس الارزاق المكدسة في الرياق (حوش حالة) وكان هذا الجندي يملأ السطل ماء من الحنفية فقال لنا بارك الله فيكم (اضربوا دول

كمان) !• يقصد الانكليز ••

وبناء على شكاية الضابط الفرنسي بعثت الحكومة المركزية في الشام هيئة تحقيق وبعد التحقيق اسدل الستار على الحادثة طبعا •

بقيت القى معاكسة شديدة ورفضا لكل ما كنت اطلبه من وزير الدفاع (مصطفى نعمت) حتى اصبحت مشلول الحركة في «الرياق» الى ان عاد الامير فيصل من اوروبا ، وبلغت تعييني وكيلا لمدير الامن العام ، وهي الوظيفة التي كان يشغلها جبرائيل حداد ، ثم عينت مديرا اصيلا • ولكنني لم استمر في هذه الوظيفة الا مدة قصيرة حيث كلفت بالذهاب الى بيروت « معتمدا عربيا » بدلا من احمد اللحام الذي كان قد اشغل منصب المعتمدية بعد المرحوم يوسف العظمة الذي تولى وزارة الدفاع في الحكومة السورية « ثم استشهد في حادثة ميسلون » يوم ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠

ذهبت الى بيروت فوجدت ان العلم العربي غير مرفوع فوق سارية المعتمدية ، فرفعته في اليوم الثاني • وقبل ان اتسلم زمام المعتمدية من سلفي تماما ، ذهبنا لحضور استعراض قوات الجنرال غورو في ساحة البرج حيث كان المعتمد العربي من جملة المدعوين ، وكان قد خصص لنا محل يشرف على الساحة • وفي اثناء الاستعراض بدأ احمد اللحام يسجل في مذكرته عدد القطعات وانواعها ، وبينما هو كذلك ظهر قوميسيرالشرطة فجأة ، وخطف المذكرة من يد احمد اللحام وذهب• فاصبحت في وضع حرج تأثرت لوقاحة الشرطي وغضبت لعمل اللحام

الذي لم يكن له لزوم (١) ولهذا طلبت الى احمد اللحام ان تترك المحل محتجين على التصرف الوقح .

ذهبنا توا الى دار الاعتماد العربي واتصلنا بالسلطة الفرنسية محتجين على عمل القومسير ، وطلبنا اعادة المفكرة حالا . وفعلا ارسلت المفكرة مع الاعتذار . سافر اللحام الى دمشق وبقيت في بيروت امارس اعمال المعتمدية لحين اعلان سورية استقلالها .

---

(١) احمد اللحام ضابط ركن والمفروض فيه ان يتمكن من تعداد القطعات وانواعها دون الاضطرار الى تسجيلها على ورقة وفي موقع الاستعراض . لان عملية احصاء القطعات وانواعها من ابسط الامور في الجندية .

اعلان استقلال سورية والعراق
في دمشق في ٨ اذار سنة ١٩٢٠

على اثر القرار الذي اتخذه الرئيس ويلسون ، رئيس الولايات المتحدة الاميركية بارسال لجنة خاصة (هي لجنة كراين) الى مدن الشرق الاوسط للتحقيق في رغبات الاهالي في نوع الحكم الذي يختارونه لبلادهم ، اجتمع المؤتمر السوري في ٨ ـ ٣ ـ ١٩٢٠ وقرر وضع اللجنة المقرر ارسالها الى الشرق الاوسط تجاه الامر الواقع وذلك باعلان استقلال سورية فورا .

اما العراقيون الذين كانوا انذاك في سورية ، وهم فريق من أعضاء « جمعية العهد » ومن الضباط الذين ساهموا في الثورة العربية الكبرى ، ومن منوري الجالية العراقية في دمشق ، فقد تداولوا فيما بينهم وقرروا اعلا ناستقلال العراق في عين اليوم الذي يعلن المؤتمر السوري فيه استقلال سورية . وهكذا فقد تلى السيد توفيق السويدي قرار المؤتمر العراقي من شرفة البلدية في المرجه .

ويسرني ان اذكر هنا ما جاء في القرارين السوري والعراقي انذاك عن اتحاد القطرين الشقيقين . ففي القرار السوري جاء : ـ

« ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك ، وكانت الاسباب التي يستند اليها في اعلان استقلال القطر السوري هي ذات الاسباب التي يستند اليها في استقلال القطر

العراقي ، وبما ان بين القطرين صلات وروابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وقومية تجعل كلا من القطرين لا يستغني عن الاخر فنحن نطلب استقلال القطر العراقي استقلالا تاما على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي واقتصادي •

وفي قرار المؤتمر العراقي جاء ما نصه :

« وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته ، اعلنا الان باجماع الاراء ، استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمال ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لا شائبة فيه • وايدنا استقلال سورية التام واعلنا اتحاد العراق معها اتحادا سياسيا واقتصاديا » (١) •

وقد حالت بعد ذلك الاوهام والمخاوف التي كانت تسيطر على عقول بعض حكام العرب دون تحقيق هذا الاتحاد علاوة على المطامع الاستعمارية ودسائسها •

والذي يحز في قلبي ويحزنني الان هو اهمال الاتحاد والاكتفاء بهتافات زائفة لا تسمن ولا تغني من جوع • وعلى الرغم من مرور نصف قرن على اهمال هذا الامر الحيوي ارى ان المصلحة لا تزال تقضي بوجوب تحقيقه بالشكل الذي يتناسب مع التطورات العالمية •

---

(١) وهذه بعض اسماء اعضاء المؤتمر العراقي الذين حضروا انذاك : مندوبو بغداد : جعفر العسكري ـ سعيد المدفعي ـ تحسين علي . اسماعيل نامق . سامي الاورفه لي . فرج عماره . ناجي السويدي . توفيق السويدي . يونس وهبي . حمدي صدر الدين احمد رفيق ـ نوري القاضي . رشيد الهاشمي . صبيح نجيب . محمد رضا الشبيبي ـ محمود اديب . عزت الكرخي . عبد اللطيف الفلاحي ـ توفيق الهاشمي ـ ومحمد البسام .

مندوبو الموصل : علي جودت ـ عبد الله علي الدليمي ـ جميل محمد (المدفعي) ـ مكي الشربتي ـ ابراهيم كمال ـ ثابت عبد النور ـ الحاج محمد خيري ـ (خيرو) .

بعد اعلان الاستقلال

وبعد مرور بضعة ايام على اعلان الاستقلال ، اتصلت ببعض الاخوان العراقيين في الشام وتداولنا في الوضع ، وقررنا ان نجتمع ونستعرض الحالة في سورية والعراق معا . كما قررنا مقابلة الملك فيصل وعرض حالة العراقيين ضباطا ومدنيين في سورية وكذلك حالة العراقيين في العراق بعد الاستقلال .

فذهب كاتب هذه السطور والسيدان جميل المدفعي وثابت عبد النور لمقابلة الملك للتبريك ، ولعرض حالتنا عليه ، ورغبتنا في مواصلة الكفاح لتحرير العراق بعد ان تحررت سورية ونالت استقلالها .

حظينا بمقابلة الملك ، وبعد كلمات التبريك والمجاملة قلت له :

جئناك يا سيدي لنفاتحك في امر هام بالنسبة لنا ولذلك نرجو ان تسمح لنا بأن نكلمك بصراحة حتى تطلع على افكارنا وأرائنا وان تحكم على ما قد تقترحه على جلالتك من امور نأمل ان يكون فيها الخير انشاء الله :

تعلم يا سيدي اننا التحقنا بالملك حسين في الحجاز حينما اعلن اهدافه النبيلة . التحقنا به على امل تخليص البلاد العربية من الحكم العثماني والحصول على استقلالها ، فحاربنا وضحينا بارواح اخواننا الذين استشهدوا في سبيل تلك الغاية النبيلة ، وقد وصلنا بفضل جهودكم ومساعداتكم الى سورية ، وكلنا امل ورجاء للحصول على

اهدافنا ومرامينا ، ولكن مع الاسف وجدنا بعد الهدنة ان الحلفاء الذين آزرناهم في احلك ايامهم قد تنكروا لنا وجزأوا بلادنا ، واقتسموها غنائم بينهم . فهذا لبنان اصبح تحت سيطرة الافرنسيين وفلسطين والعراق تحت سياط الانكليز . اما نحن فاصبحنا لا ملجأ لنا ولا مأوى ثم شرحت لجلالته كيفية اختطاف ياسين الهاشمي وتحديد حريته في « الرملة » واوضحت ما حصل لجميل المدفعي وابراهيم كمال اللذين ذهبا لرؤية اهلهما واقربائهما في العراق فاستدعاهما الحاكم العسكري، وامرهما بالخروج من العراق ، او سوقهما مخفورين الى الهند . كما اننا نحن العراقيين في سورية اصبحنا نشعر باننا غرباء غيرمرغوب فيهم، وذلك اثر الدعاية الافرنسية التي تعمل ضدنا ، ولهذه الاسباب قررنا نحن الضباط العراقيون ان نذهب الى « دير الزور » لمحاربة الانكليز الذين خانوا عهودهم للعرب ، فاما ان ننجح في مسعانا او نموت مرتاحي الضمير . فبدأ الملك يناقشني في بعض الصعوبات التي ستصادفنا ان اقدمنا على مثل هذا العمل وقال لي : ليس من السهل ونحن في هذا الضعف ان نقاتل دولة لها ممكناتها ووسائطها . وطلب الينا ان نتريث لكي لا نواجه عدوين قويين (يقصد الفرنسيين والانكليز) في آن واحد . ولما رأى اننا مصرون على رأينا ، ولا سيما بعد ان ألمحنا الى اننا نعرف كيف يمكننا الحصول على المال والسلاح الذي قد نحتاج اليه من الخارج ، حيث كان الاتراك الثائرون والروس مستعدين لان يمدوا اية حركة تقوم ضد الانكليز قال : انت تعرف يا جودت وضعي مع اخي عبد الله ، وانا لا يمكنني ان اتحداه وهو المرشح لعرش العراق ، وهذا لا يمنعني من ان اساعدكم اذا كان في امكاني مساعدتكم وانتم الذين حاربتم الى جانبنا في ادق الظروف

فما الذي تريدونه مني ؟

قلت لـه :

١ ـ اولا ان تسمح بأن يأتي الامير زيد معنا رمزا للثورة .

٢ ـ ان تمدنا بمبلغ من المال لننفقه باديء الامر على اعاشة الضباط والجنود الذين سيشتركون في هذا العمل .

٣ ـ ان تساعدنا على اخذ قسم من السلاح والعتاد الذي اتينا به معنا من الحجاز والمحفوظ الان في المخازن .

كانت هذه الطلبات هي التي كنا قررنا فيما بيننا ان نطلبها من الملك فكان جواب الملك فيصل :

١ ـ انه لا يوافق على ذهاب الامير زيد معنا لان هذا معناه اشهار الحرب على الانكليز وهو في وضع لا يمكنه من معاداتهم في الوقت الحاضر بسبب وضعه تجاه الفرنسيين .

٢ ـ في امكانه ان يدفع مبلغا من المال تتدبر به امورنا .

٣ ـ اما السلاح ؟ وهنا توقف قليلا وبدأ يفكر . فاردت ان اسهل الامر عليه فقلت له : لا بأس يا سيدي اما السلاح فنحن نغنيكم عن التفكير فيه وسنعمل ما في امكاننا للحصول على ما نحتاج اليه . وهنا اعترض الاخ جميل المدفعي على تساهلي في قضية السلاح وقال : نحن لا نستغني عن مساعدة سيدنا بالسلاح . فقلت : لا بأس اننا سوف نبحث في هذه القضية ولدي اقتراح نعرضه اخيرا على جلالة الملك . وبعد افتراقنا اقنعت جميلا بأن نصل من اقصر الطرق الى غايتنا وبأن

نفتح (الدبو) مخزن السلاح الذي هو بحراسة جنودنا ، ونأخذ منه ما نشاء من دون ان يشعر احدبذلك . واذا افتضح الامر فيما بعد فاننا نقول قد اخذناه لمقاصد وطنية واننا اخبرنا جلالة الملك بذلك وتنتهي المسألة . وعلى اثر ذلك اجتمعنا في دار المرحوم جعفر العسكري بمعظم الضباط العراقيين وبعض المدنيين ، الذين كانوا يومئذ في دمشق ، وفاتحناهم في الامر ، وشرحنا لهم ما آلت اليه حالتنا في سورية ، وما هي عليه اليوم حالة العراق ، وقررنا الذهاب الى « دير الزور » لمحاربة الانكليز فتحمس البعض للفكرة وطلب البعض الآخر التريث للاطلاع على رأي الامير عبد الله لانه ـ حسب زعمه ـ هو صاحب الشأن في هذه المسألة ، ومنهم من اراد ان يعرف مقدار المرتب الذي سيدفع الى من يريد الالتحاق بهذا العمل . ولم يتورع احدهم عن السؤال عن مرتبات قواد الحركة ! فاضطررت ان ابين الوضع الذي نحن فيه وخيانة الحلفاء الذين آزرناهم . كما بينت لهم عدم الفائدة من بقائنا في سورية بسبب عداء الفرنسيين واذنابهم لنا وكذلك الشأن في العراق وكيف هددوا بعض اخواننا الضباط الذين ذهبوا لرؤية اهلهم ، بالخروج من البلاد او النفي الى خارجها كما بينت لهم ايضا ان القضية تخصنا نحن اهل البلاد اصحاب الشأن الاول فيها ، ولهذه الاسباب قررنا ان نذهب ونحارب حتى الموت لاسترجاع حقوقنا . هذا هو القصد وليس هو موضوع مرتبات واعاشة . فمن يجد في نفسه رغبة في الالتحاق بنا فأهلا به وسهلا ومن لا يجد في نفسه الرغبة فهو حر في اتخاذ الطريق الذي يناسبه . وهنا شعرت بان الاكثرية قد استحسنت الرأي وباركته . وشرعنا في تنفيذ خطتنا فتسلمنا المبلغ الذي وعدنا به الملك فيصل وهو

ثلاثة الاف جنيه مصري ، وفتحنا مخزنا للاسلحة واخذنا مقدارا منه حملناه على عربات (برجقة) وكان الموكل باخذها وسوقها الضابط العراقي محمد رؤوف ،الشهواني ومعه السيد احمد الباججي الملقب بـ (احمد ابن عمتي) وانطلقنا الى حلب باسم الهيئة الوطنية (١) في طريقنا الى دير الزور وقد التحق بنا عدد من الضباط الذين كانوا معنا في الحجاز وغيرهم من الذين التحقوا بنا بعد الهدنة ، وأبدلنا الجنيهات المصرية في حلب بليرات ذهبية ، وسافرنا الى « دير الزور » وعند بلوغنا اياها وجدنا المرحوم مولود مخلص الذي كان حاكما عسكريا فيها من قبل حكومة الشام ، والذي كان يدير الحركات الوطنية هناك بكل اخلاص قد دب الخلاف بينه وبين رمضان شلاش رئيس عشيرة البوسراية ، الذي كان قد هاجم الانكليز في اطراف دير الزور بتحريض من السيد ياسين الهاشمي وقد تطور هذا الخلاف وكاد ان يصل الى درجة لا تحمد عقباها ، فبذلنا اقصى الجهد لاصلاح ذات البين فلم ننجح . فارتأينا ابعاد رمضان شلاش عن المنطقة اولا ولكنه كان مصرا على البقاء فيها ، ولا يريد الانفكاك عنها ، فاضطررنا الى الاستعانة بالملك فيصل ، واعلمناه بالوضع السائد في منطقة دير الزور ، والتمسنا من جلالته باسم المصلحة العامة ان يستدعي رمضان شلاش الى الشام حالا وان يبقيه فيها مدة مناسبة ان امكن ذلك . كما اقترحنا على جلالته ان يستدعي مولود مخلص الذي انجز من الاعمال الوطنية ما يشكر عليها ، وان يعين محله متصرفا مدنيا لتنظيم الادارة التي تحتاج اليها المنطقة فاجاب فيصل التماسنا فورا .

---

(١) الهيئة الوطنية المؤلفة من كاتب هذه المذكرات وتحت رياسته ومن عضوية جميل المدفعي وتحسين علي .

وبعد ذهاب رمضان شلاش بمدة قليلة وفي اثناء وجود مولود مخلص حاكما عسكريا لدير الزور ، طلب الحاكم العسكري البريطاني للفرات الاعلى الكولونيل « ليجمن » وفدا من حكومة دير الزور ليباحثه في موضوع الحدود بين العراق وسورية فتقرر ارسالي مع السيد تحسين علي للمفاوضة مع الحاكم المذكور .

ذهبنا الى قرية « عشاره » الواقعة على الحدود في جنوب « البوكمال » وعلى ساحل الفرات . اجتمعنا بالكولونيل (ليجمن) واتفقنا معه على ان يترك الانكليز ناحية « البوكمال » ويسحبوا قواهم منها ، وذلك لوجود عشائر العكيدات فيها وفي جنوبها تحاشيا من احداث قلاقل من قبلهم في منطقة والالتجاء الى عشيرتهم لدى الاخرى . ورجعنا الى « دير الزور » . وهكذا تقرر انسحاب الجيش الانكليزي من « البوكمال » في يوم معين على ان تستلم الحكومة العربية (الناحية) في اليوم ذاته . وقد ارسلنا سرية من الخيالة الموجودين في دير الزور لتكون هناك اثناء عملية التسليم والاخلاء . وحينما وصلت السرية الى جوار بلدة البوكمال ، استقبلها الاهلون بحفاوة بالغة وترحيب حار ، اعرابا عن اعتزازهم بقوة عربية تأتي لتسلم البلدة من ايدي الانكليز . ولكن (ليجمن) غاظه هذا الترحاب وتلك المظاهرة فبعث الينا يقول : انه لا يريد ان يغادر البلد اذا دخلت السرية على هذه الصورة . وفي هذه الاثناء كنت وصلت والسيد تحسين علي الى البوكمال وبعد الاطلاع على ما حصل ، ذهبنا توا الى ليجمن فاتفقنا بعد المداولة على ان تخرج الحامية الانكليزية اولا ثم تدخل القوة العربية وهكذا كان .

وبعد ان سافرت القوة الانكليزية من « البوكمال » متوجهة الى « عانة » قابلتها على الطريق عشائر العكيدات بقيادة زعيمها مشرف الدندل الذي كنا على تفاهم معه ـ وذلك على الضفة اليسرى من نهر الفرات بهجوم مفاجيء وبنيران حامية اجبرتها على السير ببطء ويقال انها كبدتها خسائر فادحة • وبعد تسلم المدينة رجعنا مع الاخ تحسين علي الى « دير الزور » حيث استقبلنا استقبالا فائقا من قبل الاهلين •

★★★

البـدء بالحركـة للثـورة

منذ وصولنا « الهيئة الوطنية » الى دير الزور ونحن نبذل جهودا متواصلة لتنظيم المتطوعين الذين سيعهد اليهم بشن الهجوم على المراكز الانكليزية في العراق ، واعداد ما يلزمهم لتحقيق مهمتهم • وبسبب اتصالنا السري بالعناصر الوطنية في الموصل ، وبرفع معنويات العشائر الموجودة في اطرافها ، ولوجود عشائر شمر والجبور وامثالهما من الموالين لنا ، ولوجود بعض الشخصيات المهمة المطلعة على المنطقة والامل المعقود عليها ، ورجاء الاستفادة من خبرتهما ووطنيتهما في تلعفر (١) قررنا ان يكون الهجوم الاول موجها اليها فباشرنا نعد عدتنا لهذا الغرض •

وقد رأينا الجواسيس الانكليز في « دير الزور » يسرحون ويمرحون وقد كثر عددهم ، وكنا نشعر بانهم في حركة دائمة ، ونشاط مستمر ، حريصين على ايصال اخبارنا وحركاتنا الى ضباط الاستخبارات الانكليز في الفرات ، لذلك ولاجل تضليل هؤلاء اظهرنا باننا نهيء انفسنا للهجوم على « عانة » وقد استأجرنا فعلا شخاتير (قوارب) ووضعنا فيها بعض الارزاق ، وقلنا لبعض الجنود والمتطوعين اننا قريبا نتحرك بالقوة بواسطة النهر نحو الجنوب ، وطلبنا ان يكتموا الامر حتى تفاجيء الانكليز بالحركة • كنا نشيع امثال هذه الاخبار

---

(١) امثال جميل خليل الذي كان ضابط درك في تلعفر وعضو جمعية العهدالعراقي في الموصل وكان اسمه المستعار (ابن الوليد) وقد حكمعليه بالاعدام اخيرا من قبل السلطات الانكليزية لكنه نجا منه .

ليتأكد الجواسيس من ان الحركة متجهة نحو الجنوب • هذا ولم نغفل عن اعداد « مطارات » الماء للجنود بواسطة السمكرية ومن السوق في « دير الزور » لانها كانت ضرورية لهم في الصحراء ، كما سعينا لاعداد ما يلزم لتجهيز المدفعين الموجودين في دير الزور • ووثقنا علاقاتنا بالشيخ عجيل الياور شيخ عشائر شمر والشيخ عاصي الفرحان زعيم العشائر الشمرية وقررنا الحركة • وبينما نحن على وشك الحركة نحو تلعفر اذا بخبر يأتي من الملك فيصل يطلب فيه حضوري الى « حلب » عاجلا وباسرع ما يمكن ، فتركت الاخ جميل المدفعي يتولى تنفيذ الخطة قبل ان يفتضح الامر • وقررت الشخوص الى حلب لمقابلة الملك فيصل على ان اعود حالا •

استأجرت سيارة لايصالي الى حلب ثم اعادتي الى « دير الزور » بسرعة ولكن السيارة لسوء الحظ ، كانت قديمة فتعطلت في الطريق ، واضطررت ان اقطع ما بقي من الطريق بعربة (برجقة) تارة وعلى ظهر الخيل تارة اخرى حتى وصلت الى « مسكنه » ، ومنها الى حلب حيث قابلت جلالة الملك فيصل •

سألني الملك عن احوالنا في دير الزور • فاجبته اننا بخير واننا متفائلون بالنتائج ونؤمل ان تكون خيرا ان شاء الله • قال لي : ان الانكليز يستاؤون كثيرا من وجودنا هناك ويهددونه بوخامة العاقبة اذا نحن لم نكف عن هذه الاعمال • فكررت لجلالته ما كنا عرضناه عليه في الشام قبل سفرنا الى « دير الزور » واكدت له اننا لا يمكن ان نتراجع مهما كلفنا الامر ، فطلب الي ان لا نستعمل المدافع على الاقل لان استعمال المدافع يدل على موافقة الحكومة السورية على هذه

الاعمال. فقلت له اننا سنبذل جهدنالنظهر ان لا دخل للحكومة السورية في الامر بل اننا ثائرون ندافع عن حقنا الصريح ، واما المدافع فسوف نكف عن استعمالها لقلة عتادها بطبيعة الحال . وفور انتهاء المقابلة رجعت الى دير الزور . وبعد مقابلتي هذه وجدت انه قد تم ضرب تلعفر وان القوة الضاربة قد عادت الى دير الزور .

وكنت طلبت الى السيد حميد الدبوني الذ يرافق الحملة الى تلعفر ان يزودني بما لديه من معلومات حول هذه الحملة ، كما طلبت ذلكمن السيد عبد المنعم الغلامي الذي كان يتصل اتصالا وثيقا بجمعية العهد والذي يعتني اعتناء فائقا بتسجيل جوادث الحركة الوطنية ان يزودني بتفصيلات عما لديه من المعلومات عن تلك الحركة . فجاءني من الاول ما يلي نصه :

عزيزي ابا نزار ،

كنت نشرت في الصحف المحلية وفي بعض المناسبات ، تفصيلات وافية عن حركات الحملة التي شنت على تلعفر اثناء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وبناء على رغبتكم فانني الخص تلك الحركات كما يلي :

وصلت الهيئة الوطنية برياسة السيد علي جودت وعضوية السيد جميل المدفعي والسيد تحسين علي الى دير الزور . وكانت دير الزور مقرا للحاكم العسكري السيد مولود مخلص الذي كان يقوم بالاشراف على الحركات الوطنية في اطرافها وبعد ان تسلمت الهيئة شؤون العمل بدأت بتشكيل مفرزة للقيام بحركات ضد الحكم البريطاني في العراق وبعد ان تم تشكيلها تحركت المفرزة بقيادة السيد جميل المدفعي وهي

عبارة عن اربع سرايا يقودها السيد محمود نديم السنوي والسيد محمود اديب والسيد سليم الجراح والسيد مصطفى شوقي (١) وفي كل سرية عدد من الضباط العراقيين الاحرار منهم السادة : محمد علي سعيد والحاج رؤوف الشهواني ومحمود الجراح وعبد الله صالح والسيد حسن وحمدي داود .

وكان عبد الحميد الدبوني المرافق للهيئة الوطنية يقوم بدور المرافق لقائد القوة السيد جميل المدفعي .

وبعد ان تركت القوة دير الزور نسب السادة : جميل المدفعي ومحمود نديم ومحمود اديب ان يكون الدبوني وسليم الجراح في مقدمة القوة بل ويسبقاها لمواجهة رؤساء وشيوخ العشائر للتمهيد ولبيان اسباب الحركة وعواملها الوطنية ، والحث على تأييدها والاشتراك بها وقد قاما بزيار الشيخ العاصي الفرحان رئيس عشائر شمر وشيخ مشايخها والشيخ مسلط رئيس عشائر الجبور والشيخ مشهل الفارس الجربا (شمر) كما انهما اتصلا بالشيخ عجيل الياور الذي كان قد طلب اليه الشيخ عاصي ان ينوب عنه في هذه الحملة . واتصلا ايضا برؤساء اخرين من طي وجبور وغيرهم . وكان قسم من عشائر الـ « عكيدات » يسير مع الحملة ايضا . وقد سارت الحملة عن طريق شمال سنجار متجهة نحو تلعفر وذلك تجنبا للاصطدام مع اليزيدية الذين كان يرأسهم حمو شيرو الموالي للانكليز .

وفي اثناء السير طلب السيد جميل المدفعي الى الضابط محمد علي

---

(١) ضابط كردي من شمال العراق .

سعيد ان يصحب معه الملازم عبد الله صالح وعددا من الفرسان والذهاب الى نصيبين للاجتماع بالرئيس قدري المستخدم في احدى القطعات التركية ودعوته للالتحاق بالثوار وجلبه معه ما يتيسر من سلاح وعتاد وادوية (١) • وقد تمكن محمد علي سعيد ورفاقه من تهريب السيد قدري مع عدد من البنادق وكمية من العتاد والادوية •

وعندما وصلت القوة الى موقع (خنيزيرة) شمال جبل سنجار تقرر ايفاد السيد الدبوني مع فارسين احدهما يمثل شمر والاخر الجبور الى تلعفر للاتصال بالاغوات واعوانهم للاشتراك بالحركة • وبما ان عبد الحميد الدبوني كان سابقا يعمل كحاكم سياسي بعنوان (وكيل الحكومة في تلعفر سنة١٩١٩) وكان متفاهما مع بعض الاغوات اصحاب الكلمة في تلعفر على مناوأة الانكليز فقد حصلت الموافقة على الاشتراك بالثورة في اول مقابلة معهم وعلى هذا الاساس بعث الدبوني من قرية « قبك » القريبة من تلعفر والتي كان قد وصل اليها مع رفيقيه ليلا ــ عدة رسائل الى رؤساء العشائر الموجودة في اطراف تلعفر اخبرهم فيها عن حملة الشريف ذاكرا لهم اسماء العشائر والرؤساء الكبار الذين انحازوا اليها للقيام بالثورة ضد الانكليز طالبا اليهم الاستيلاء على تلعفر قبل وصول حملة الشريف لكسب الشرف من قبل سكان المنطقة وعشائرها وتقديمها رمزا للولاء • ثم سافر الدبوني مع اربعة فرسان من اولاد عم السيد سلمان اغا « مختار قرية قبك » الى تلعفر وتمكن بواسطة اصدقائه من جمع رؤساء تلعفر الذين يعتمد على موآزرتهم واخبارهم بحملة الشريف فكان الاتفاق التام على تأييد

---

(١) السيد قدري هو صهر جميل المدفعي

الثورة حالا وانقاذ تلعفر من قبل ابنائها كما تقرر في هذا الاجتماع استدعاء قائد الدرك السيد جميل خليل والاتفاق معه لتجنب الاصطدام مع الدرك • وقبل القيام بالحركة من قبل السكان وبناء على ما طرق سمع بعض الرجال بأن الخبر قد وصل الى الحاكم السياسي البريطاني، اضطر السيد عبد الحميد الدبوني والسيد جميل خليل الى ترك تلعفر مع طلوع الشمس والذهاب الى قرية قبك مركز العشائر والسير من هناك نحو قرية تلعفر • سارت قوة العشائر واصطدمت مع الدرك وكانت رشاشتان واربعة جنود انكليز على سطح دار الحاكم السياسي تسند مقاومة الدرك • وبينما كان الملازم استيوارت الانكليزي يحث الدرك على مقاومة العشائر انتهز ضابط الدرك العربي (الموصلي) « محمد علي النعلبند » الفرصة واطلق النار على « استيوارت » فأرداه قتيلا فانهارت قوة الدرك والتحق السيد جميل خليل والملازم محمد علي بالحملة التي كانت في طريقها الى تلعفر • اما عبدالحميد الدبوني ورؤساء العشائر والاغوات فقد بقوا في تلعفر ثم التجأوا الى (تل وردان) القريبة من تلعفر ينتظرون وصول الحملة وقد وصلت جماعة من شمر ومعهم محمد علي سعيد وعبد الله الموصلي ومحمد علي مسطو السنجاري وتوجهوا جميعا الى تلعفر فقصد محمد علي سعيد توا دار الحاكم السياسي التي نصبت على سطحها رشاشتان فالقى عليها قنبلة يدوية قضت على من فيها • وبعد قليل وصل السيد جميل المدفعي وكافة الضباط وشخصيات اخرى منها السيد احمد الشربتي على رأس عشيرة البومتيوت والمحامي حسن الاطرقجي والسيد اسماعيل صفوت الذي كان مدير مدرسة في سنجار ، والحاج عبد الله الصائغ رئيس بلدية سنجار والسيد شريف العطار احد موظفي الحكومة

وكذلك رؤساء العشائر . وعند وصول الحملة ظهرت فجأة قوة من السيارات المصفحة حاملة الجنود قادمة من الموصل كانت متوجهة نحو تلعفر فاصطدمت بالثوار وابيدت . واستشهد في هذه المعارك الشيخ صالح بن الشيخ احمد رئيس عشائر الجحيش . مكثت القوة في تلعفر ثلاثة ايام ارسلت في خلالها مفرزتين احداهما بقيادة « محمود اديب » الى اطراف الموصل والاخرى بقيادة السيد جميل خليل الى الشرقاط وقامت هاتان المفرزتان بضرب بعض المواقع الانكليزية واحدثت فيها اضرارا بالغة . ثم توجهت القوة نحو الموصل وفي موقع ابي كدور وجدت نفسها امام قوة انكليزية كبيرة مكونة من بطرية مدافع وخيالة مع رشاشاتها تحميها عدة طيارات الامر الذي اضطر العشائر الى الابتعاد عن القوة ولم يبق بجانبها الا بعض الرؤساء منهم الشيخ عجيل الياور والشيخ مشهل الفارس الجربا والسيد عبد الله اغا وعبد الرحمن افندي من اغوات تلعفر ولذلك قررت الانسحاب الى دير الزور مؤمنة بانها قامت بقسط من واجباتها .

عبد الحميد الدبوني

وهذا نص كتاب السيد عبد المنعم الغلامي ردا على رسالتي عن تلك الحملة :

المجاهد العربي الكبير السيد علي جودت الايوبي المحترم

تحية عربية اسلامية خالصة ،

اما بعد • فقد تفضلتم وطلبتم الي ان ادون لكم تحقيقا تاريخيا واقعيا عن حركة تلعفر من بدء قيامها حتى نهايتها ، فنزولا عند طلبكم اعددت التحقيق التالي لخصته من كتابي « ثورتنا في شمال العراق » الجزء الثاني المخطوط •

واذا قدر لكم عملكم الجليل مقدما في اخراج (مذكراتكم) القيمة لجلاء صفحة هامة من تاريخ ثورتنا الكبرى وما عقبها من جهود وخدمات وتضحيات في سبيل القضية العربية وانتم من الرعيل الاول في مجالاتها ومن قادة الطليعة المجلين الخالدين فيها ارجو لكم دوام العز والاقبال ودمتم باحترام •

المخلص : عبد المنعم الغلامي التغلبي

٢٥ صفر الخير ١٣٨٦ ــ ١٥ ــ ٦ ــ ١٩٦٦ •

تشكيل حملة تلعفر

لما رأى المركز العام لجمعية العهد العراقي في دمشق الشام ان الظروف قد اصبحت في دير الزور لاتساعد السيد مولود مخلص على استمرار الحركات الثورية على جبهة الفرات جنوب دير الزور وفي ارض الجزيرة التي كان قد باشرها سلفه السيد رمضان شلاش ، قرر ايفاد هيئة الى دير الزور مؤلفة من السادة : علي جودت الايوبي، وجميل المدفعي ، وتحسين علي للعمل على ادامة الثورة وتوسيع نطاقها بالتعرض لتلعفر والموصل • خاصة وان شعبة جمعية العهد في الموصل كانت تطالب المركز العام للجمعية وشعبه في حلب ودير الزور بلزوم القيام بهذه الحركة بعد ان هيأت لها الرأي العام في الموصل واطرافها ، واستعدت هي بدورها الاستعداد اللازم للمشاركة فيها •

وحينما تحرك السيدان الايوبي والمدفعي من دمشق الى دير الزور اصطحبا معهما من (حلب) الحاج رؤوف الشهواني ــ وهو من مؤسسي « جمعية العلم » السرية في الموصل والتي انقلبت في ٢٤ مايس ١٩١٩ الى شعبة لجمعية العهد العراقي في دمشق ، واسمه المستعار (المغيرة) ــ وفي دير الزور جهز السيد علي جودت الايوبي حملة تلعفر بقيادة السيد جميل المدفعي ، وقوامها مائة وخمسون مجاهدا ثلثهم من الخيالة والباقون من المشاة •

وكان اكثرهم من الضباط والجنود العراقيين الذين تخلوا عن

وظائفهم في جيش الحكومة العربية في سوريا ، ومـن ضمنهم عـدد مـن الشبان الاحرار ضباط ومدنيين كانت شعبة « جمعية العهد » في الموصل قد اوفدتهم الى سوريا للاشتراك في الحركات الثورية فـي العراق او القيام بواجبات خاصة هناك .

واقفل السيد علي جودت الايوبي بعد تشكيل هذه الحملـة راجعا الى الشام ومعه الحاج رؤوف الشهواني للتزود بالاسـلحة .

وقد استلم الشهواني مائة بندقية مـن مدخر حكومة دمشق مـع عشرين صندوق واتى بها الى ديرالزور بينما كان قد سبقه فـي العودة اليها السيد علي جودت الايوبي بسيارة خاصة ومعه المقـدم الركن « عارف ادلب » .

الحركة في دير الزور

وقد سير علي جودت الايوبي فور وصوله دير الزور هذه الحملة الى تلعفر حيث وصلت « الفدغمي » الواقعة على نهر الخابور فـي يوم ٢٦ ايار ١٩٢٠ . وفي هذا المكان اتخذ السيد المدفعي السيد محمود السنوي معاونا له ، وقرر بالاتفاق مع ضباط الحملة تقسيم قوتهم الى اربع سرايا ، واطلقوا عليها اسم « عسكر الشريف » فتألفت السريـة الاولى بقيادة الرئيس فائق حسني ، ومعاونه الملازم مصطفى شوقـي وهما مـن اخواننا الاكراد العراقيين .

وتألفت السرية الثانية بقيادة الرئيس محمود اديب البغدادي ، والسرية الثالثة بقيادة الرئيس سليم الجراح الموصلي . واما السريـة

الرابعة فكانت بقيادة الملازم محمد علي الموصلي ــ وهو من اعضاء جمعية العهد في الموصل ــ واسمه المستعار « ذو الفقار » .

وعهد الى السيد قاسم درويش الموصلي ــ وهو من اعضاء جمعية العهد في الموصل ومن رسلها الى سوريا واسمه المستعار «شيبوب» ــ بحمل العلم العراقي .

ورافق هذه الحملة السيد عبد الحميد الديوني الموصلي الذي كان قد تخلى عن وظيفته في تلعفر (معاونية معاون الحاكم السياسي) فيها والتحق بدير الزور قبل هذه الحركة بعدة ايام .

ثم ان هذه القوة المجاهدة تحركت من (الفدغمى) بتشكيلاتها الانفة الذكر باتجاه « جبل سنجار » واجتازت من حوله ، وسارت على الطريق المؤدية الى مضارب (الشيخ العاصي) شيخ مشايخ شمر عند الحدود التركية وعلى مقربة من « نصيبين » ــ ولما وصلت مقر الشيخ العاصي مكثت عنده بضعة ايام حضر خلالها شيوخ العشائر المجاورة ، فعقد الضباط واياهم مؤتمرا بحثوا فيه شؤون التعرض لتلعفر ومشاركة العشائر معهم في هذا الشأن .

وقد ابدى بعض الشيوخ ترددا في باديء الامر ، ولكن الضباط افهموهم بان الحملة سائرة الى تلعفر والموصل سواء اشتركت العشائر معها ام لم تشترك ، وهنا نهض « الشيخ عجيل الياور » وكان يرئس اصغر عشيرة من شمر عددا انذاك ، وخاطب الشيوخ المترددين متحمسا وقال :

« ان هؤلاء الضباط الذين اتوا يستنجدونكم قد وضعوا دماءهم على اكفهم مع العلم ان لكل واحد منهم عائلة واولاد في العراق ، وهم مصرون دون تردد ان يسيروا الى الانكليز ويحملوا عليهم غير خائفين ولا وجلين ، وانا لا ارى من الشيمة ان تترددفي معاونتهم بل الشيمة تدعو الى اسعافهم وانجادهم والمحاربة في صفوفهم لتلخيص البلاد من ايدي الاعداء .

اما انا وعشيرتي فسترونا معهم منذ الغد ، فمن يود الاشتراك معنا فليشترك ، اما من لا يريد الاشتراك في هذه الحرب فهو حر في امره » .

ولقد اثرت كلماته هذه على الشيوخ المترددين ، فقوت منهم العزائم لا سيما وان « الشيخ العاصي » كان قد ابدى رغبته في تأييد الحركة واشتراك العشائر فيها .

وهكذا تم الاتفاق على ان يشترك الشيخ عجيل الياور بهذه الحركة بكل عشيرته ، ويشترك الرؤساء الاخرون مع جماعات لهم معينة من عشائرهم .

وعندئذ تحركت القوة الاساسية مع العشائر المنضمة اليها من مضارب الشيخ العاصي باتجاه تلعفر .

وكان على رأس تلك العشائر الشيخ عجيل الياور ، والشيخ مشعل الفارس ، والشيخ بنيان الشلال من شيوخ شمر ، والشيخ مبرد السوكي من رؤساء عشيرة عبدة ، والشيخ مسلط الملحم رئيس عشائر الجبور

في تلك المنطقة ، والشيخ علي السلطان من رؤساء الجبور في لواء دير الزور ، وساروا حثيثا حتى وصلوا موقع « الخنيزيرة » وهي غير خنيزيرة الجرناق .

هذا وان القيادة العامة في هذه الحملة كانت في جميع مراحل حركتها على اتصال مع السيد جميل محمد ال خليل افندي آمر الدرك في تلعفر والذي كان يعرف « بالخيال » وهو من اعضاء جمعية العهد في الموصل واسمه المستعار « ابن الوليد » . وفي موقع (الخنزيرة) انتدب السيد جميل المدفعي السيد عبد الحميد الدبوني لاستطلاع الحالة في تلعفر بوصفه عليما باحوالها بحكم وظيفته السابقة فيها . وقد سافر الدبوني متنكرا الى تلعفر ومعه اثنان من البدو ، فوصلها ليلة اليوم الثاني من حزيران ١٩٢٠ الموافق ١٤ رمضان ١٣٣٨ ونزل في دار السيد عبد الله اغا ال وهب اغا واعلمه بوصول « عسكر الشريف » الى (الخنزيرة) ، فاستدعى عبد الله اغا هذا الى داره بعض رؤساء تلعفر ، فحضر منهم كل من : عبد الرحمن افندي ال عثمان افندي ، والحاج علي اغا عبد الكريم اغا رئيس عشيرة « البودولة » وهو من منتسبي جمعية العهد في الموصل واسمه المستعار « ابو الهيجاء » والحاج يوسف افندي بن عزيز اغا ، وولده ابراهيم اغا ، والحاج محمد سعيد افندي بن الحاج محمد افندي عالم تلعفر ، والسيد محمد كلش اغا ال سيد ابراهيم اغا ، وولده السيد علي خان اغا ، واسماعيل اغا ، والحاج خلف اغا ، وحسن اغا بن خضر اغا ، والسيد رضا اغا سيد حسن ، والسيد عبد المطلب اغا وغيرهم ، كما حضر هذا الاجتماع السيد جميل محمد ال خليل افندي آمر قوة

الدرك ، فجرت مداولات بين المجتمعين تقرر فيها اعلان الثورة بقيادة السيد جميل محمد آل خليل افندي قبل وصول قوة المدفعي الى تلعفر ، ثم تفرقوا استعدادا للعمل • ولقد ذهب جميل محمد آل خليل افندي بعد انفضاض الاجتماع الى (دائرة الدرك) واخبر معاونه الملازم محمد علي الحاج حسين الموصلي بالامر •

ومحمد علي هذا هو من اعضاء جمعية العهد في الموصل واسمه المستعار (اليماني) ـ ثم اخذه الى دار السيد عبد الرحمن افندي وتداول الجميع في ترتيبات الثورة وتحديد ميعادها •

وفي الوقت الذي كان فيه السيد جميل محمد منهمكا في وضع الخطة للثورة ، بلغه ان كلا من السيد عبد المطلب اغا ال سيد وهب اغا ، وابراهيم اغا ابن الحاج يونس افندي وهما ممن حضر الاجتماع في دار السيد عبد الله اغا ال وهب اغا قد اخبرا معاون الحاكم لسياسي في تلعفر واسمه (الكابتن بارلو) بمقررات الاجتماع المذكور ، وبذلك تحرج موقف المؤتمرون لا سيما السيد جميل محمد آمر الدرك والسيد عبد الحميد الدبوني ، فلم يسعهما الا ان يتركا تلعفر قبل بزوغ الشمس الى قرية (قبق) التي تبعد عن تلعفر زهاء عشرين كيلو مترا حيث كانت جماعات من عشائر المنطقة التي تناهى اليها خبر حملة « عسكر الشريف » الى تلعفر قد تجمعت فيها •

وقد عقد كل من السيد جميل محمد والسيد عبد الحميد الدبوني جلسة مع رؤساء تلك العشائر وهم : صالح احمد الخضير ، ومحمد احمد الخضير ، وسلمو الخلف العوجان ، وابراهيم الملا يوسف

وهم من رؤساء قبيلة الجحيش •

وسليمان اغا بن احمد اغا السعدون رئيس عشيرة الكركرية ، والحاج عبد القادر اغا من رؤساء الكركرية ، وابنه محمد اغا وهو من منتسبي جمعية العهد في الموصل واسمه المستعار « ابو الهزيل » وخش بن حديد ، وحسن خضر عرعوري من رؤساء قبيلة طي ، وشاهر بن داغر رئيس عشيرة الجبور من منطقة زمار • والحاج عبد العيزز اغا بن عمر المصطى رئيس عشيرة (الحسنان) من قرية « تل ابي ظاهر » واخرون لم اقف على اسمائهم — تقرر فيها الزحف على تلعفر وتحريرها قبل ان تصل اليها قوة المدفعي المتقدمة مع العشائر الاخرى من « الخنيزيرة » اما (الكابتن بارلو) معاون الحاكم السياسي في تلعفر الذي وصلته اخبار متضاربة عن حركة العشائر وعن تجمعاتها في قرية (قبق) فاراد ان يستطلع الاحوال بنفسه ، فامتطى حصانه بعد ظهر ذلك اليوم الثاني من حزيران ١٩٢٠ واخذ معه احد افراد الدرك المدعو (احمد اليوسف) ولقبه (بورزان) وسارا باتجاه « قبق » حيث وصلاها مساء ووجدا نفسيهما امام جمع من العشائر فلاذا بالفرار ، فلحق بهما بعضهم للقبض عليهما ، ولكن الكابتن (بارلو) تمكن من التسلل بين الوديان بعد ان ترك حصانه بينما قبض على الدركي (بورزان) وجيء به الى (قبق) فابقي على حياته •

محمد علي الحاج حسين يقتل قائد الدرك الانكليزي •

ولنعد الى ما كان من تلعفر فان « الكابتن ستيوارت » ضابط الدرك الذي اصبح بعد خروج (الكابتن بارلو) المسؤول الاول عن

الحالة فيها اراد ان يتداول بشأن الموقف مع السيد محمد علي الحاج حسين ، فطلب حضوره اليه في صباح اليوم الثالث من حزيران ، واذ لم يلب محمد علي هذا الطلب فان الكابتن ستيوارت ذهب بنفسه الى محل قيادة محمد علي في ثكنة الشرطة •

وكان السيد محمد علي الذي تلقى رسالة من السيد جميل محمد يشعره فيها بالبدء في الحركة نحو تلعفر مع العشائر قد صعد الى سطح الثكنة يستطلع في الافق وينظر الى ضواحي المدينة ، فصعد الكابتن ستيوارت ذلك وحاول اطلاق الرصاص على السيد محمد علي ولكن محمد علي كان اسرع منه باطلاق الرصاص عليه من مسدسه فارداه قتيلا •

وبهذه الحالة انحاز الى جانب السيد محمد علي بعض افراد الدرك واخذوا يطلقون النار على دار الضباط حيث تحصن فيها ثلاثة من الانكليز وهم : عريف رشاش ، وكاتب الطابعة المستر لولو ، والعريف ووكر ، وعندهم رشاش كبير كانوا قد نصبوه فوق البناية واقاموا لهم فيها حصارا منيعا من اكياس مملوءة بالتراب ما جعلهم في مأمن من الرصاص الذي انهال عليهم من رجال الدرك ومن اهالي تلعفر الذين اعلنوا تأييدهم لحركة الضابط محمد علي الحاج حسين •

وهكذا اصبح هذا الرجل الشجاع بطل الموقف في تلعفر ، وبقي بانتظار وصول السيد جميل محمد ال خليل افندي والعشائر التي معه في غاية التلهف ، وظل النهار كله في هذا الانتظار وغابت الشمس ولم

ير للمجاهدين اثــرا .

واحس محمد علي بتغير افكار افراد الدرك نحوه وانهم ينوون القبض عليه كرهينة يبقى بايديهم ريثما ينجلي الموقف ، فترك تلعفــر مضطرا الى مسافة بضعة كيلو مترات منها ، وكمن بين الوديان وبقي هناك الى طلوع شمس اليوم الرابع مـن حزيران ١٩٢٠

وبعد قليل وجد الحشود العشائرية المجاهدة التي كانت قـد تحركت مـن (قبق) تتقدم وقد انقسمت الى قسمين : قسم يقـوده السيد جميل محمد ، والقسم الاخر بقيادة السيد عبدالحميد الدبوني ، فانضم محمد علي الحاج حسين الى القسم الذي يقوده جميل محمد ، وتقدم معه لاحتلال تلعفر والسيطرة على القلعة .

والقلعة ، هي الموقع المرتفع مـن المدينة تقوم عليها دوائـر الحكومة وترابط فيها الحامية الانكليزية التي كانت تتكون مـن سبعين دركيا عراقيا وثلاثة من الانكليز وهم الذين اشرنا اليهم آنفـا والى تحصنهم فوق سطح بناية دار الضباط ، وحين دخول السيد جميل محمد والسيد عبد الحميد الدبوني ومـن معهما من العشائر الى تلعفر اخذ الرشاش الانكليزي المقام فوق سطح الثكنة يصليهم بناره ، غير ان المنعطفات والاماكن التي سلكوها لاحتلال القلعة حمتهم من تلـك النيران وتمكنوا مـن الوصول اليها سالمين ، هذا وان السيد عبـد الحميد الدبوني كان قد وقف بعد احتلال البلدة موقفا على غاية مـن الحزم والروية للمحافظة على الخزينة في دار الحكومة ، اذ كانت نية اهالي تلعفر وبعض العشائر متجهة اليها فاقنعهم بلزوم الابقاء عليهـا

ريثما يصل قائد الحملة السيد جميل المدفعي وينظر هو في شأنها ، واقام على حراستها اناسا يثق بهم ، وهكذا كف الناس عنها .

ولقد حاول المجاهدون الاستيلاء على دار الضباط مرارا ولكنهم كانوا يرتدون عنها بسبب رصاص الرشاش الذي يطلقه عليهم المتحصنون فوق سطحها ، واذ ذاك تحمس الشيخ صالح احمد الخضير احد رؤساء عشيرة الجحيش وكان شهما فشهر خنجره واقسم اما ان يموت او ان يستولي على هذه الدار ، وتقدم بكل جرأة نحوها على الرغم من تحذير الناس له وتسلق درج البناية صاعدا ، ولما لمحه الانكليز المتحصنون اطلقوا عليه الرصاص فخر قتيلا ، فكان رحمه الله اول قتيل من المجاهدين في هذه الحركة وفي سبيل العمل على استقلال العراق .

وبقي اولئك الانكليز الثلاثة متحصنين في مكانهم لا يجسر احد من التقرب اليهم ، وترك امرهم ريثما يحضر السيد جميل المدفعي .

ولما كان الثوار في تلعفر يتحدثون آسفين عن شهادة الشيخ صالح احمد الخضير ويطرون شجاعته اذا وافاهم نبأ مقتل الكابتن بارلو معاون الحاكم السياسي في تلعفر الذي كان قد ذهب الى (قبق) للاستطلاع .

ومحصل خبر مقتله هو انه عندما فر من (قبق) على الصورة التي اشرنا اليها آنفا شاهده بعض الثوار من رجال عشيرة (الكركرية) ومعهم خليل بن عاشور ، ويوسف بن الحاج حسن وهما من اهل تلعفر فقبضوا عليه وساروا به اسيرا . فرأى من بعد سيارة كشف انكليزية،

ففر مـن ايدي آسريه وهرول بسرعة باتجاه السيارة المذكورة ، فصوب خليل بن عاشور بندقيته واصلاه بنيرانها فقتله .

تحرج الموقف في تلعفر

ثم ان المجاهدين ظلوا يرقبون بين آونة واخرى وصول القـوة الاساسية (عسكر الشريف) التي يقودها السيد المدفعي الى تلعفر ، وانقضى بعض الوقت واخذ النهار يقترب من الظهر ، ولكنهم لـم يجدوا لها اثرا ، فاصابهم شيء مـن القلق وكثر اللغط من جراء ذلك بين الاهالي وفيهم كثير مـن الانهزاميين ، فادرك السيد جميل محمد ال خليل افندي ورفيقه السيد محمد علي الحاج حسين ان الموقـف قد تحرج بالنسبة اليهما ، فتركا تلعفر الى جهة ما ريثما تصل تلـك القوة ، وبعد خروجهما بمدة قصيرة وجد السيد الدبوني ما يدعـو الى خروجه مـن البلدة هو ايضا فتركها الى مكان بعيد ومكث ينتظر القـوة المذكورة .

اما القوة هذه فقد كانت تسير ببطء ، الا انه لما وافتها الانبـاء عـن الاعمال الموفقة في تلعفر ، ووصلتها ايضا اخبار تحرج الموقـف بالنسبة الى دعاة الثورة بسبب تأخر وصولها اليها ، قرر القائد جميـل المدفعي والضباط الذين في رفقته ارسال بعض الضباط والجنـود الخيالة على عجل الى البلدة لتطمين الاهالي واعلامهم بقرب وصول هذه القوة الى بلدتهم . ولقد سار نحو تلعفر اولئك الضباط والجنود الخيالـة وهـم :

المقدم محمود السنوي ، والرئيس سليم الجـراح ، والرئيس محمود اديب والملازم فائق حسني ، والسيد قاسم درويش والسيد ابراهيم خليل التوتنجي ، فوجدوا بطريقهم السيد عبد الحميد الدبوني فسار معهم ودخلوا تلعفر بالبستهم العسكرية .

وكان نهار ٤ حزيران ١٩٢٠ قد انتصف ، ثم صعدوا الى القلعة تحف بهم الجماهير يراقبون اتجاه طريق الموصل .

الفتك بقافلة من السيارات الانكليزية :

وما انقضت ساعة حتى شاهدوا من وراء الافق قافلة من السيارات الانكليزية تتقدم نحو المدينة فتأهبوا لها واستعدوا لمقاتلتها ، وقام فريق من المجاهدين بوضع الاحجار في الطريق الداخلية التي ستسلكها تلك السيارات للصعود الى القلعة .

والطريق هذه يقطعها نهر صغير وهي ضيقة لا تساعد على مرور اكثر من سيارة واحدة .

ثم ان السيد سليم الجراح ذهب في الحال الى ملاقاة المدفعي الذي كانت قوته قد اخذت تظهر شيئا فشيئا ، وعندما قابله اخبره بامر تلك السيارات وطلب اليه تخصيص جماعة من المجاهدين للتصدي لها وقطع الطريق عليها ، فتقدم لهذا الغرض الشيخ مسلط الملحم على رأس فريق من عشيرته ومعه السيد سليم الجراح ، غير ان تلك السيارات كانت قد سبقتهم الى تلعفر واخذت تجتاز الطريق الضيقة المؤدية الى القلعة ، وعندما حاولت عبور النهر الصغير قابلها المجاهدون

المرابطون في القلعة بوابل من الرصاص فاصابوا المرمى علـــى اول سيارة واحدثوا فيها العطب فتوقفت في مكانها ووقفت وراءها السيارات الاخرى تباعا حيث لم تتمكن من الاستدارة والرجوع الى الوراء ٠

وكانت ثماني سيارات اثنتان منها مدرعة والبواقي من حاملات الجنود والذخيرة ، فهجم عليها المجاهدون من كل صوب وقتلوا ركاب سبع سيارات وعددهم عشرون نصفهم من الانكليز والنصف الاخر من الهنود ٠

اما السيارة الثامنة وهي احدى المدرعتين وفيها عشرة من الانكليز من مختلف الرتب العسكرية فقد استطاعت ان تلوذ بالفرار حيث كانت بعيدة عن تلك الطريق الضيقة فلحقت بها خيالة المجاهدين واخــذوا يطاردونها ، واذ ذاك شوهدت طيارة انكليزية تحوم فوق تلعفر ثم تحط في مكان قريب منها ، فاتجهت اليها السيارة المدرعة للاحتماء بهـــا ، ولكن المجاهدين حالوا بينها وبين الوصول الى الطيارة ، وتقدم فريــق منهم الى الطيارة نفسها لتحطيمها والفتك بركابها ولكنها بادرتهـــم بنيرانها واستأنفت طيرانها ٠

اما السيارة المدرعة فقد غاصت في التراب وتوقفت عن الســير فهاجمهابعض المجاهدين ، وطفر احد افراد العشائر من فوق فرسه على ظهرها وهو « فراج الغشام » مـــن قبيلة الصايح ، من الاسلم ، مـــن فخذ الميتع وقتل عددا من ركابها ،فرماه الاخرون الموجودون بالسيارة بالرصاص ، فكسرت رجله وسقط على الارض ، فحمله رفاقه بعد ان اجهزوا على السيارة وقتلوا من كان قد بقي على الحياة من ركابها ٠

وقد نقل هادي الزبيدي وهو من حلفاء الاسلم (فراج الغشام) المذكور الى بيته في ناحية من نواحي سنجار وعني بامره وعالجه الى ان شفي الا انه اصيب بالعرج وهو لا يزال على قيد الحياة ويقيم في (نجد) حاليـــا •

وكان السيد جميل المدفعي قد دخل مع قوته النظامية تلعفر اثناء مطاردة السيارة المدرعة ومعه كل من السيدين جميل محمد ، ومحمد علي الحاج حسين ، فارتقى مع بعض الضباط القلعة واخذ يراقـــب مطاردة المجاهدين للسيارة المذكورة ، ثم تقرر تصفية الحساب مـــع الانكليز الثلاثة المتحصنين فوق سطح بناية دار الضباط فتوجه اليهم السيد محمد علي سعيد ، ولدى وصوله الدار المذكورة القى قنبلــة يدوية على سطحها ادت الى قتل اولئك الانكليز ، ثم صعد فـــــوق البناية واستولى على الرشاشة واودعها المقر ، وبذلك ثأر للشيخ صالح احمد الخضير الذي كان قد استشهد على يد هؤلاء الانكليز •

وقد امر السيد المدفعي برفع العلم العربي على دار الحكومـــة ، فرفعه السيد قاسم درويش ، كما امر بأن تسلم الخزينة الانكليزية التي كانت تحت الحراسة الى كل مـــن السيدين محمود السنوي ، ومحمود اديب ، فتسلماها وعهدا بها الى السيد قاسم درويس ، وكان مقدارها كما أعلمني قاسم درويش ثمانين الف روبية وخمســا وتسعـــين ليرة ذهبية ، وكانت الروبيات ضمـــن اربعين كيسا يحتوي كل كيس على الفي روبية • وعلى اثر ذلك توجه قسم مـــن خيالة الشيخ عجيل الياور برئاسة الشيخ بنيان الشلال وبقيادة السيد فائق حسني ومعه عـــدد مـــن الضباط والجنود الى طريق الشرقاط ـ الموصل لضرب القوافـــل

العسكرية الانكليزية وقطع الطريق عليها .

وفي الوقت ذاته كانت بعض العشائر التي لم تدخل تحت ضبط قيادة حملة تلعفر قد عبرت عن جهات (زمار) وقرية (اسكى موصل) وغيرها من الاماكن التي تقع على ساحل دجلة الايمن الى ساحله الايسر حيث شنت غاراتها على اطراف (القوش) و (الشيخان) حتى ان بعض طلائعها وصلت الى نواحي دهوك .

وفي هذه الفترة التحق بالمجاهدين في تلعفر السيد محمد صدقي سليمان ضابط الدرك في (عين غزال) وهو من اعضاء جمعية العهد في الموصل واسمه المستعار (المأمون) والسيد احمد بك رؤف الشربتي احد ملاكي القرية المذكورة ، ووكيله المحامي السيد حسن الاطراقجي ومعهم عدد من افراد الدرك ولفيف من عشيرة (البوامتيوت) كما التحق بهم من سنجار الحاج عبد الله الصائغ رئيس بلدية سنجار ، والسيد اسماعيل صفوت المعلم الاول لمدرسة سنجار وهو من منتسبي جمعية العهد في الموصل واسمه المستعار (يشجب) ، ومحمد علي بن مصطو ، ورشيد حرية ضابط الدرك .

حركة المجاهدين من تلعفر الى الموصل :

وبعد ان مكث المجاهدون في تلعفر ثلاثة ايام تحركوا نحو الموصل ، فسارت امامهم طليعة قوامها عدد من افراد الدرك الذي كان موجودا في تلعفر برئاسة السيد جميل محمد ومعه السيد محمد علي

الحاج حسين .

اما القوة الاساسية بقيادة السيد المدفعي فقد كانت تسير وراء تلك الطليعة، فبلغت قرية (تويم) على مسيرة اربع ساعات من تلعفر وباتت ليلتها فيها ، وفي صباح يوم الاربعاء ٨ حزيران ١٩٢٠ تحركت من (تويم) ووصلت بعد مسيرة ساعة ونصف الساعة قرية (ابي اكدور) التي تبعد عن الموصل حوالي (٥٠) كيلو مترا ، على حين كان الاتفاق قد تم نتيجة للمخابرة الجارية بين السيد جميل المدفعي وجمعية العهد في الموصل ان يكون وصول هذه القوة الى ضواحي الموصل في منتصف ليلة الاربعاء المذكورة حيث توقد الجمعية نيران الثورة التي استعدت لها وتضرب المواقع الانكليزية من الداخل ، وبذلك تصبح قوات العدو بين نارين : نار قوات المجاهدين الزاحفة ، ونار الثوار في الموصل .

وقد مكن هذا التأخر والبطء في الحركة في تلعفر السلطات العسكرية الانكليزية من انجاز استعداداتها اللازمة ، فاتمت حفر الخنادق في الجهات الغربية من الموصل ووضعت حولها الاسلاك الشائكة ونصبت المدافع في الاماكن المهمة .

وفي ذات الوقت وجهت رتلا من قواتها مؤلفا من (١٥٠) من الخيالة ونحو (٥٠٠) جندي من المشاة بقيادة (الكابتن ساريل) الى (جبلة السحاجي) المتفرعة من (جبلة العطشانة) الكائنة غربي الموصل ، واتخذت القيادة البريطانية من هذا المكان مركزا لحركاتها الحربية .

هزيمة العشائر وتراجع القوة النظامية :

وكانت العشائر والثوار من اهل تلعفر قد عقبوا الطريق المؤدية الى الموصل ، وانتشروا في جبهة طويلة عريضة حتى الموقع المسمى (الثلاثات) وهي تلال تقع على يمين القادم من تلعفر الى الموصل •

اما الانكليز فقد اتخذوا من موقع (جبلة السحاجي) قاعدة لحركاتهم العسكرية فقد افرزوا من قوتهم التي اشرنا اليها رعيلين من الخيالة بقيادة (الكابتن كاون) وهم نحو ثمانين خيالا وارسلوها مع مدفعين باتجاه تقدم العشائر للاستطلاع والمشاغلة •

ولما اصبحت هذه الخيالة على مقربة من موقع « الثلاثات » اطلقت العشائر الرصاص عليها فقابلوهم بفتح نيران المدفعية والرشاشات فما كان من هذه الجماعات والكتل العشائرية الا ان تنهزم من الميدان وفي مقدمتها اهالي تلعفر الذين كان بعضهم يصيحون اثناء فرارهم بلغتهم التركية (قاجه قاجه) اي (انهزم انهزم) •

وقد سقط من ابناء العشائر ثلاثة وهم : خضر بن محمد الكعفري ، وجمعة بن عفر ، وعباس بن يوسف وهما من عشيرة (البومتيوت) •

اما القوة النظامية في (ابي اكدور) ومعها كبار رؤساء العشائر فانها لما وجدت هزيمة العشائر وسمعت طلقات المدافع عادت ادراجها الى قرية (تويم) قبل ان ترى العدو او يراها ، وقبل ان تجرب حظها في قتاله •• وقد شوهدت طيارتان انكليزيتان تحومان حول المنطقة

في ارتفاع عال اثناء العمليات الحربية •

واما خيالة الانكليز فلم تعقب العشائر ولم تلاحق القوة النظامية ظنا منها ان فرار العشائر وتفرقهم في اتجاهات مختلفة ما هو مكيدة من مكائد الحرب ، الغاية منها استدراج الخيالة الانكليز لتنقض عليهم وتطوقهم من جميع الاطراف • وهكذا عادت القوة النظامية الى قرية تويم بسلام ••

وفي هذه الاثناء وصلت (تويم) مفرزة من عشائر شمر التي كانت قد اغارت على (القيادة) كما سبقت الاشارة اليه ومعها البغال التي اخذتها من القافلة الانكليزية هناك ، ومن فورها تركت (تويم) الى مناطقها الاساسية ، في حين ان قوة المدفعي انتظرت في (تويم) الطليعة الكشافة التي سبق ان تقدمتها منذ البداية بقيادة السيد جميل محمد ، وعندما رجعت تلك الطليعة الى القرية المذكورة توجهت القوة بكاملها الى قرية (الشيخ ابراهيم) حيث وصلتها في منتصف النهار وتناولت فيها طعام الغداء ، ثم تحركت يمينا باستقامة تلعفر وقضت ليلتها في العراء بمكان لا يبعد كثيرا عن تلعفر ومن هناك ارسلت مفرزة الى البلدة من بينها السيد عبد الحميد الدبوني والسيد قاسم درويش لانزال (العلم العربي) عن دار الحكومة وحرق مركز القيادة الانكليزية والسيارات التي كانت قد عطلت من قبل •وبعد ان قامت المفرزة بمهمتها التي كانت قد واصلت سيرها نحو (البديع) ومنها تحركت الى (الفدغمى) حيث التقت بالسيد حسن فهمي ومعه (فصيل مدفعي) جاء به من دير الزور ، وهو الفصيل الذي كان قد امتنع والي دير الزور عن ارساله مع قوة المدفعي اول الامر ، فارجعته هذه القوة معها

الــى ديــر الزور •

الانكليز يحتلون تلعفر ثانية :

ولما ادركت القيادة الانكليزية ان هزيمة العشائر وتراجع القــوة النظامية انما هي حقيقة واقعة عززت خيالتها بقوة من المشاة وامرتهم بالتقدم نحو تلعفر عن طريق قرية (ابي مارية) وقد وصلتها مســاء وباتت ليلتها فيها •

وفي صباح اليوم العاشر من حزيران ١٩٢٠ تحركت منها الى تلعفر واحتلتها قبل ان ينتصف النهار •

ولم تجد قوة الاحتلال هذه في تلعفر غير رجلين هما عباس بــن يوسف وعبد الله علو ، لان الثوار مــن اهالي تلعفر كانوا قد اسرعوا اليها بعد هزيمتهم المنوه عنها آنفا واخذوا عائلاتهم وحيواناتهم ومــا استطاعوا حمله مــن اموالهم وخرجوا منها باتجاه الحدود التركية •

وقد باشرت القوة الانكليزية التي اعادت احتلال تلعفر بتلــك السهولة غير المتوقعة بحرق بيادر الحنطة والشعير ، كما احرقت الشيء الكثير مما وجدته سن اثاث ومتاع ، والقت في نيران بيادر الحبوب الملتهبة اسيرها عبد الله علو وهو حي، وكان يبلغ مــن العمر اكثر من سبعين سنة حتى التهمته النيران ، كما قتلت اسيرها الثاني عباس بــن يوسف رميا بالرصاص •

ثم عمدت الى هدم اكثر من خمسة عشر بيتا لاكابر اهل المدينة

بالمدافع والمفرقعات ، واخذت الطيارات الانكليزية تغير كل يوم مـرة او مرتين على العشائر واهل تلعفر الذين كانوا قد تركوا منازلهـــم وتوجهوا الى الحدود التركية للاحتماء بها • وقد قتل في احدى هـذه الغارات على قرية « قصر سريح » الواقعة الى الغرب من قرية (حكنه) الياس بن سليمان الكركري •

وفي غارة اخرى على قرية (عسيلة) غرب (عين زالة) قتـــل رجل وامرأة مـن عشيرة الجحيش •

وقتل بفعل هذه الطيارات ايضا الحاج عبد القادر اغا الكركري والد محمد اغا الكركري على مقربة من قرية (جلبارات) •

وبذلك يكون مجموع مـن قتل من الثواروالاهالي منذ الحركة تلعفر عشرة اشخاص كما يظهر من سياق البحث •

وبعد مرور اربعة ايام على هذه الغارات الجوية على القـــرى والعشائر المتفرقة ، اخذت الطيارات ترمي مناشير الامـان وتدعـو العشائر الى الرجوع الى اماكنهم ، فكانوا يعودون اليها بالتدريـج ، ولم يتخلف منهم الا بعض المشايخ والرؤساء فبقوا بعيدين عن متناول يد السلطات الانكليزية الى اعلان العفو العام في العراق •

ومنهم مـن بقي بعيدا عن موطنه الى ما بعد قيام الحكم الوطني، ومنهم مـن لم يشملهم العفو ولـن يسمح لهم بالعودة الى الموصل حتى النهاية مثل المحكوم عليهما بالاعدام ، المجاهد السيد محمد جميل ال خليل افندي والمجاهد السيد محمد علي الحاج حسين فالتحقـا

بقوات التحرير التركية وقاتلا بصفوفها قتال الابطال ، وتدرجا بالمناصب العسكرية هناك حتى بلغ كل منهما درجة زعيم • فاما الاول وهو السيد جميل محمد فقد توفي في ازمير بعد احالته على التقاعد قبل عدة سنوات •

اعادة الكرة على الانكليز :

بعد ان انسحب المجاهدون من تلعفر الى ديرالزور على الصورة التي بيناها اصاب رجال جمعية العهد في الموصل صدمة عنيفة ، ودب اليأس الى نفوس الكثير من ابناء البلاد من المستعمرين الانكليز وقد استغل عملاء الاستعمار واذنابه هذا الحادث فراحوا يعلنون بان الانكليز اقوياء وان العرب ضعفاء ليس لهم ما يؤهلهم الى مقاومة بريطانيا والحصول على الاستقلال ، وما رجال حركة تلعفر الا افراد قلائل غرروا بالعشائر وفي اهل تلعفر فخدعوهم وحملوهم على القيام بتلك الحركة الطائشة التي اضرت بهم وجعلتهم عرضة الى نقمة الانكليز •

وازاء هذه الاقاويل المضللة اخذت جمعية العهد في الموصل تصدر البيانات الى ابناء الشعب لرفع معنوياتهم ، وتعلن لهم بان تلك الحركة ما هي الا مقدمة لحركات مماثلةاخرى حتى يتم النصر وتحصل البلاد على امانيها في الحرية والاستقلال • وكتبت في الوقت نفسه كتابا الى رجال الحركة الثورية في دير الزور في ٢ شوال ١٣٣٨ الموافق ١٩حزيران ١٩٢٠ تحثهم فيه على استئناف العمل ومعاودة الكرة على الانكليز بالتعرض على طريق الموصل ـ بغداد ، وعدم تركهم

يخلدون الى الراحة ، ولارجاع الافكار الى غليانها ضد المستعمر .

وكان السيد علي جودت الايوبي بدوره يحمل نفس هذه الفكرة، كما انها لقيت قبولا حسنا وترحيبا حارا من نخبة متحمسة من المجاهدين وفي مقدمتهم السيد جميل محمد ال خليل افندي ، فقدم نفسه للاضطلاع بها ، فجهزه الايوبي بقوة تحت امرته قوامها نحو مائة خيال بكامل معداتهم الحربية الخفيفة بما فيها رشاشات ثلاثة وهي التي كان المجاهدون قد استولوا عليها في تلعفر لغزو الشرقاط او اي نقطة للانكليز ما بين بغداد والموصل .

وكان من بين رجال هذه القوة الحاج رؤف الشهواني ، والسيد محمد علي الحاج حسين ، وداود سلمان الجنابي ، وحمدي البيطر ، ومحمد علي الحجازي ، وخلف التل الاردني ، والشيخ ياسين الزبيدي ، وسلطان وعبد الله الجبوريان ، وجماعة من (البواسعيد) من عشيرة (العبيد) منهم « كليب » واخوه الاكبر وقد فاتني اسمه ، وهم من جهات (سامراء) وكانوا قد نكبوا من قبل المحتلين فنزحوا الى الخابور ، ورجال الدرك الذين كانوا مع السيد جميل محمد من تلعفر من موصليين وسنجاريين .

ولقد تحركت هذه القوة من دير الزور في ١ تموز ١٩٢٠ فاتت مضارب (مسلط الملحم) في الاراضي التركية وكان غائبا عنها وقريبه (الشيخ سطام) يقوم مقامه فزودهم بما امكن وانضم اليهم في الطريق ثلاثة من عشيرة (الصليب) وجماعة من عشيرة (الصايح) مخالفين بذلك غيرهم من البدو الذين اعتذروا عن الانضمام الى المجاهدين ،

لان من عاداتهم الكف عن الغزو في شهر تموز تشاؤما .

وقبل ان يصلوا الحدود العراقية كان كل شيء من امور المعيشة لدى المجاهدين قد نفد ، فأخذ رجال (الصليب) الثلاثة يصطادون الغزلان ويأتون بها اليهم ليأكلوها . وعلى هذه الصورة اجتازوا الحدود العراقية واستقروا في وادي (عين الشبابيط) وهنا علموا بوجود اغنام في المنطقة تعود لارزاق معسكرات الانكليز ، فانبثت جماعة من المجاهدين للتحري عنها ، ولم يمض وقت طويل الا وتواردت نحو آمر المقر الحاج رؤف الشهواني قطعان الاغنام ومعها رعاتها ، فاستجوبهم عن عائدية تلك الاغنام ، فتأكد له انها تعود الى الاهلين وليس للانكليز علاقة بها ، فتركهم وشأنهم ، واذ علم السيد جميل محمد آل خليل افندي بتسريح هذه الاغنام لام الحاج رؤوف الشهواني ، ولما بين له السبب شكره .

وفي (عين الشبابيط) شكل المجاهدون من بينهم ثلاث مفارز استطلاعية لكشف الخط الحديدي بين بيجي والشرقاط .

وكان جميل محمد والحاج رؤوف الشهواني مع المفرزة الاولى لكشف الخط بين (بيجي) و (الشريسية) .

والمفرزة الثانية برئاسة محمد علي الحاج حسين لكشف الخط في طريق « عين الدبس » .

والثالثة لكشف طريق الشرقاط ومعها داود سلمان الجنابي ، والشيخ ياسين الزبيدي .

وبعد ان قامت المفارز المذكورة بواجباتها اجتمع المجاهدون للنظر في الخبر الذي وصلهم من ان الانكليز سيوجهون من الشرقاط الى الموصل مجموعة من سيارات الحمل (لوريات) فقرروا مباغتتها (بوادي الجرناف) •

وقد وصل المجاهدون هذا المكان في فجر يوم ٢٠ تموز ١٩٢٠ واخذوا يرقبون قدوم السيارات المذكورة ، وما كان اشد دهشتهم حينما وجدوا قوة انكليزية تتجه نحوهم بدلا من سيارات الحمل ، وهي مكونة من اربع سيارات مسلحة ورتل يربو عدد افراده بنحو الف من المشاة والخيالة ، ومع ذلك فقد اتفق المجاهدون على منازلة هذه القوة ، فجعلوا قسما من خيالتهم تحمي مؤخرتهم ، واشتبكوا معها بمعركة حامية دامت الى ما بعد العصر •

وحينما اصبح المجاهدون بمتناول يد تلك القوة المتفوقة عليهم بالعدد والعدد طفروا من امامها ، فحمتهم المؤخرة وانسحبوا حتى اصبحوا على مقربة من (عين جدالة) مقابل قرية (نجمة) ، وكان على مقربة منها تلال ، فصمموا على القتال في هذا المكان حتى الموت ، واذ ذاك وضع آمر الرشاشات السيد داود الجنابي الرشاشات الثلاثة التي بحيازته على احد التلين ، فاخذت تصلي بنيرانها القوة الانكليزية الجانبية نارا وهي لا تبعد عن المجاهدين اكثر من سبعمائة ياردة ، فاحدثت ارتباكا بين صفوف القوة الانكليزية بكاملها واخذت تتراجع الى الوراء •

وقد اعتبر المجاهدون ذلك فرصة ثمينة فراحوا يعقبون تلك القوة

المتراجعة ويطلقون عليها الرصاص حتى ابتعدت عنهم كثيرا ، فأخذ المجاهدون يسترجعون الاحمال التي كانوا قد فقدوها في المعركة الاولى منها كيسان من العتاد وبعض الخيام ، وجمعوا ما كان قد تركته القوة الانكليزية في تراجعها ، وظفروا بسيف خيال اخذه جميل محمد للذكرى .

فاما الخسائر التي لحقت الجانب الانكليزي بالارواح في هذه المعارك فلم نقف على مقدارها الا ان بعضهم اكد لنا بانها كانت شيئا يذكر .

واما المجاهدون فلم يلحقهم من الخسائر سوى اصابة واحدة بحصان واحد ، وانسحب المجاهدون بعد مغيب الشمس الى (عين جدالة) وقبل ان يتناولوا طعامهم فيها ، وجدوا توالي من عتاد التنوير والمخابرة نحوهم مما جعل الظلام نهارا ، ولكنهم لم يعبأوا بذلك انما اخذوا طعامهم وخلدوا الى الراحة ، وفي الصباح الباكر اقفلوا راجعين الى دير الزور ، ولما وصلوها علموا باحتلال فرنسا لسوريا ، فاسقط في ايديهم وسائر اخوانهم المجاهدين الموجودين في دير الزور المهددة هي ايضا بالاحتلال الفرنسي .

ولنترك الكلام هنا الى السيد علي جودت الايوبي الذي كان المسئول الاول عن مصير العراقيين في ديرالزور ، وعن الوسائل التي اتخذها لضمان ادامة معيشتهم الى ان رحلوا من المدينة وتفرقوا في البلاد كالاردن وتركية كما وصل بعضهم الى العراق .

ومن الجدير بالذكر ان الثورات في الجزيرة لم تكن قاصرة على

هاتين الحركتين نقصد بهما حركة تلعفر وحركة الجرناف انما كانت حركات سابقة لتينك الحركتين ولحركات اخرى لاحقة تركت الامن مضطربا في منطقة الجزيرة الى بضعة اشهر اخرى والحقت أضرارا كثيرة باموال الانكليز وارواحهم مما سيجده القاريء مفصلا من الجزء الثاني من كتابنا المخطوط (ثورتنا في شمال العراق) وسنقوم بطبعه قريبا بتوفيق الله .

عبد المنعم الغلامي التغلبي

***

الاستمرار على الهجمات ضد الانكليز ، وتشجيع الثوار وسوقهم الى الفتك بهم اينما وجدوهم

وبعد عودة الحملة من تلعفر الى دير الزور ، سافر المدفعي الى الشام وبقي هناك . كما ذهب اليها السيد تحسين علي الذي كان يدير الحركات في جهة « البوكمال » بناء على استدعائه من قبل وزير الدفاع السوري المرحوم يوسف العظمة ليكون على رأس اللواء الذي كان يقوده قبلا في اطراف حلب ، وذلك على اثر تأزم الحالة مع الافرنسيين . وبقيت انا وسائر الضباط والجنود في دير الزور والبوكمال نبذل ما في وسعنا لمقاومة الانكليز. ففي اطراف «البوكمال» كانت العصابات بمعاونة عشائر العكيدات تقض مضاجع الانكليز كما كانت تشن هجومها عليهم في اطراف راوة وعنه بين حين وآخر . فضلا عن تحريضها الاهالي وبث الدعاية بينهم وتبشيرهم بقرب وصول جيش الشريف ، وحثهم على الثورة لتخليص العراق من حكم الانكليز. وحيث ان ما لدينا من سلاح وعتاد كان يكاد ينفذ فقد اوفدنا السيد محمود نديم السنوي الى قائد موقع أورفه التركي ، « مكرم بك » وغيره مزودا برسائل نطلب فيها ان يمدونا بما يتوافر لديهم من سلاح وعتاد لقتال العدو المشترك ، وقد عاد محمود نديم ومعه كمية من السلاح والعتاد والقنابل اليدوية محملة على الجمال .

وهذا نص كتاب قائد موقع اورفه اكرم بك :

هو

دیرزورده :

قوای ملیه عربیه رئیسی قائممقام علی جودت بکه

٧ تموز ٣٣٦ تاریخلی مخالصتنامه‌لرینی آلدم. حقمده‌کی حسیات نجیبانه‌لرینه بالخاصه
تشکر ایدرم. قوی انفقه‌مزی بر آن زیاده توحید کوستردیکم ولکن بر حول وجه
اتحاد ایتدیکم حالده بلا ضایعات قرار موجب تأثرم اولشدر. موما الیه بو
احمقتنز ماده‌لرك غایهٔ مشترکه‌یه تأثیراتی جلب ایتمیدر. لکن بعض عجم میلیزدلر
منطقه‌مزده بعض لونا بیرق ایاغلاندلر یاپمق ایستیورلر. بوکی احواله مانع اولمکه
چالیشیرم. حلب فرانسزلر طرفندن اشغالی بزی پك متأثر ایتدی.
شامده بولنان ایکی فرقه قدر فرانسز قوتیله ایکی محاربه ایدیورز.
بو قطعا تملکه آنچه قیونلی دهلی فرانسزلری طرده باعاجله حوادث آخیره تماس
چالیشیور. سوریه اشغالنده عرب حکومت رسمیه و ملیه‌لرینك نه کبی تدابیر
اتخاذ ایدیلدیکنه و سائره‌یه دائر یونبارچی امیر افندی یازدیغم مکتوب بعض
استفهامات بولنمز. ایجاب ایدرسه او مکتوب اوقونورسه ذات عالیکزك
ده موافقتکزی فکرکزك و ملیه‌لری ادامه ایدرسه ذواتك انتخابنك
سرعت اشعارینی و احترامانمك قبولنی رجا ایدرم. ١٠ تموز ٣٣٦

اکرم

وفيما يلي الترجمة العربية لهذه الوثيقة التركية

الى رئيس القوات الوطنية في دير الزور

القائم مقام علي جودت بك

استلمت كتابكم المؤرخ في ٣ تموز ١٣٣٦ (٣ تموز ١٩٢٠) واشكركم جزيلا على شعوركم النبيل بحقي • لقد تأثرت لفرار السيد قدري دون استئذان وعلى الرغم من انه كان موضع ثقتي وتوجهاتي ومع هذا ومن الطبيعي ان لا تؤثر مثل هذه الامور التافهة على الغاية المشتركة •

ان بعض الوطنيين قليلي الخبرة بدأوا يبثون بعض الدعايات السيئة في المنطقة فأرجو ان تحولوا دون ذلك •

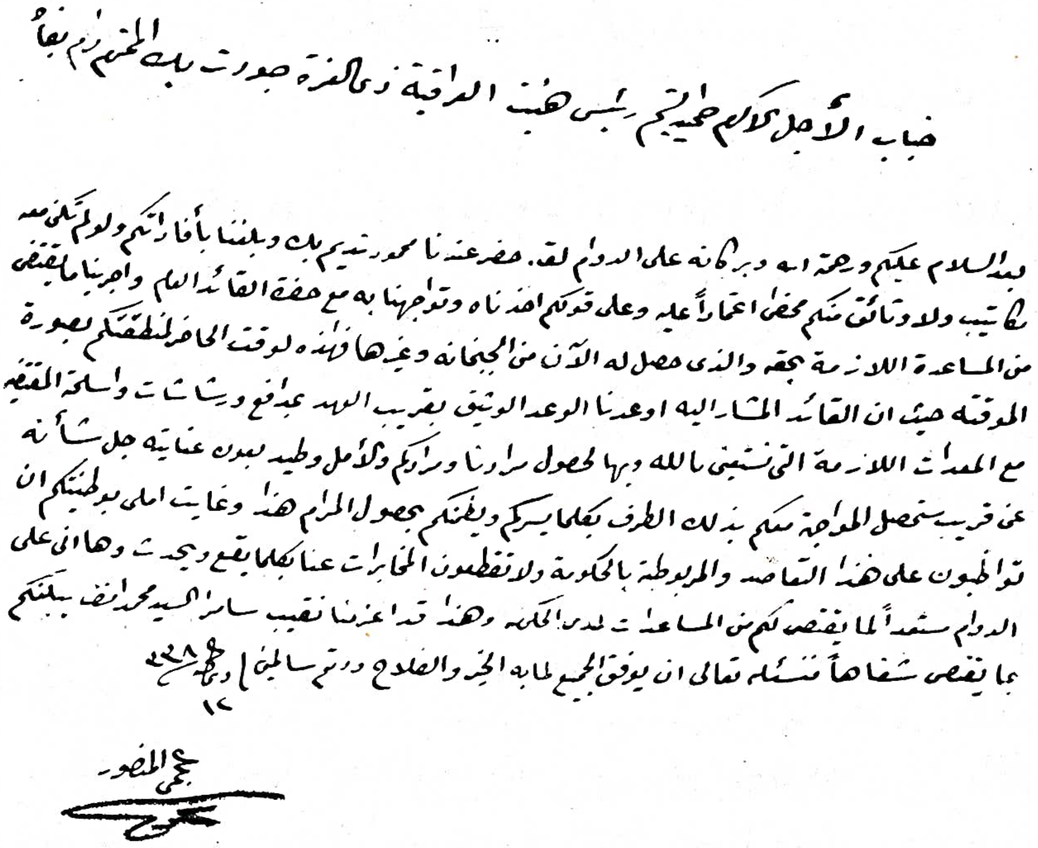
لقد تأثرنا كثيرا لاحتلال حلب من قبل الفرنسيين ونحن الآن امام فرقتين افرنسيتين ما نزال منهمكين في القتال معهما وانا مع قطعاتي ابذل قصارى جهدي لطرد الفرنسيين من « راقجه قونيلى » وللاتصال بالخيالة في « باب » •

اوضحت في كتابي الى اليوزباشي امين افندي عن التدابير وغيرها من الامور التي ستتخذ من قبل الحكومة العربية الرسمية في حالة الاستيلاء على سورية •

ارجوكم وارجو الذوات الذين يديرون معكم الحركات الوطنية ان تسارعوا باعلان افكاركم عن تلك المواد اذا اقتضى الحال وارجو قبول احتراماتي • ٣ تموز ٣٣٦ (تموز ٩٢٠)

ــ اكرم ــ

وهذه رسالة في الموضوع من عجمي باشا السعدون :



جناب الأجل الأكرم حميد بك [illegible] رئيس هيئة الرابطة العراقية في [illegible] حضرة بك المحترم دام بقاه

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام لقد حضر عندنا محمود رشيد بك وبلغنا بافادتكم ولو لم يكن معه مكاتيب ولا وثائق منكم محضاً اعتماداً عليه وعلى قولكم اخذناه وتوجهنا به مع حضرة القائد المعلم واجرينا ما يقتضي من المساعدة اللازمة بحقه والذي حصل له الآن من الجبخانه وغيرها فهذه لوقت الحاضر لتطمينكم بصورة الموقته حيث ان القائد المشار اليه اوعدنا الوعد الوثيق بقريب العهد عن دفع رشاشات واسلحة المقتضيه مع المعدات اللازمة التي نستعين بالله وبها لحصول مرادنا ومرادكم والأمل وطيد بعون عنايته جل شأنه عن قريب ستحصل المواجهة منكم بذلك الطرف بكلما يسركم ويطمنكم بحصول المرام هذا وغاية املي بوطنيتكم ان تواظبون على هذا المقاصد والمربوطة بالحكومة ولا تقطعون المخابرات عنا بكلما يقع ويحدث وها اني على الدوام مستعداً لما يقتضي لكم من المساعدات لدى الحكومة وهذا قد اعزمنا نقيب سادة السيد محمد افندي يبلغكم بما يقتضي شفاهاً نسئله تعالى ان يوفق الجميع لما به الخير والفلاح ودمتم سالمين [illegible]

١٢

عجمي المنصور

وهكذا تمكنا مــن تجهيز بعض الرجال وارسالهم الى الحدود العراقية . كما اننا جهزنا الشيخ « فهد البطيخ » رئيس عشيرة (شمر طوقة) بما يحتاج اليه من بعران وسلاح وعتاد فذهب الــى اطراف « سامراء » وهاجم قافلة كبيرة للانكليز فقضى عليها كلها ، واستولى على ما كانت تحمله من مؤن وعلى ما لديها من بغال ووزعها على جماعته الذيــن شاركوه في هذه الغزوة .

وفي هذه الاثناء كانت اخبار الثورة في العراق تصل الينا بانتظام فتشرح صدورنا ، وتزيدنا قوة وايمانا بنجاح قضيتنا .

وبهذه المناسبة اود ان انشر رسالة كانت وردتني في ذلك الحين

من ياسين الهاشمي معتمد جمعية العهد في دمشق وهذا نصها :

اخي عمر جودت

اطلب ان تنهض تشرف الآن يجب عليك ان تقوم بالامور

الآتية ١- ايصال الضباط الذين لازم لهم الى المركز

٢- تأسيس بريد مع الموصل وبغداد

٣- تأمين المخابرة مع المنتفق

٤- انبائنا عن كل خبر يأتيكم منها.

اما الاعمال الثورية فكيف منعم عن عصابتين واحدة في

جهة الموصل والثانية في جهة بغداد

يجب ان تعلم ان النهضة العسكرية في بغداد تأسست كما نروم

ووردت اخبار عديدة عن اعمال متفرقة في القسم الاوسط

وكلها تدل على ان الدولة عازمة على تأييد نفوذهم بحد السيف

نحن نروم ان تكون الحركات كلها سلمية ولكن هذا الامر لا يمكن ان يحصل اذا كانت

السلطة المحتلة لم تذعن الى

وأنا في الجرائد نسمع الاخبار عن بيانات الحكومة البريطانية في الدولة

وفهمنا ان هذه التي مع الاوقات اسرع حتى من ادارة مصر . ومن جملتها

انهم سيعودون الى السر بيكو كي ننفذ الوعد الذي قطعوه. ١٩١٨

ومع ذلك ان الحزب الذي يطالب الجلاء الى [illegible] فهو يخشى

ولهذا الامل ان يكون اقوى في المستقبل خصوصا اذا كانت الحركة الثورية في المنطقة

تتشجع ويجب ان لا تهمل هذه المنطقة الى التشجيع

وعليه يا جودت ان تكتب عدة كتب الى بغداد والانحاء في هذا المآل وتسلم

مع المشايخ في المطالبة بحقوقه الاوليه الى ان تقرر المؤتمر الزاة وان سيفدوا
هذا المؤتمر بضابط بقدمونها الى زوات المختلفه .
جودت احافظ ما عندك من الدراهم والقيلى بصورة الجاب الذي سيمت اباها
جميل . اذا امكن اشتروا لنا بمقدار الف ورقة ستين وافرنه عندك
وافرنا حتى شعت حمد لنسلمهم الى الشام و نخص الحج للامور واخرى
اذا رأيت الاعطان معدوم من شراء السمن
سعيد المدفعي يود الذهاب الى بغداد ان شئتم نعم وسهل سفره ولكن
بصورة رخصه لان الحالة تدعو الى الاقتصاد وعباره عن مصروف الطريق
فقط . سنرسل لك عدة كتب اخرى مع من تعتمد عليهم اسرع
ما يسالهم الى القطر واذا ذهب سعيد اعطه الكتاب الملفوف
واذا ما ذهب وجدت من تعتمد عليه سلمه هذا الكتاب د بغداد محمد جعفر)
(٠-١)

هذا رمزك

الكتب الذي تصلك من اقطارها

كانت المبالغ التي حصلت عليها الهيئة الوطنية التي مارست ادارة الحركات التحررية في اطراف دير الزور وتلعفر عبارة عن ثلاثـة الاف جنيه من الملك فيصل وذلك في بدء الحركة كما بيناه قبلا . وحوالي (ثمانين الف ربيه) اي ما يعادل الخمسة الاف جنيه التي صودرت من الانكليز في تلعفر . وقد اكتفت الهيئة بهذه المبالغ ولم تحتج الـــى المزيد من المال والحمد لله .

اما الصرف فكان يجري تحت اشراف الهيئة وتسجل مفرداته في دفتر خاص من قبل المحاسب محمود الجراح مع اخبار مركز الجمعية للمعلومات • وكان من الضرورة صرف بعض المبالغ على تجهيز العصابات ، ورؤساء العشائر تشجيعا لهم لمساندة الحركة الوطنية ، هذا علاوة على اعاشة الجنود والضباط الذين اشتركوا في الحركات التحررية وعلى اعاشة السرية الخياله التي تقدمت الى جهة البوكمال وعانه ، ولوازمها وذلك خلال مدة الحركات الثورية • ويسرني ان اذكر ان بعض الضباط الذين التحقوا بالهيئة وقاموا بخدمات جليله ابوا ان يقبضوا دراهم بل اكتفو بالصرف من جيبهم الخاص على معيشتهم وحاجاتهم في اكثر الاوقات •

ومن جهة اخرى كانت الاخبار السيئة عن الوضع المتردي في سوريا ترد علينا فتقلق بالنا وقد كتبت الى قائد الفرقة الثالثة في حلب محمد اسماعيل الطباخ ارجوه ان يخبرني عن الوضع فوردني هذا الجواب وهأنذا انقله حرفيا ليطلع القاريء الكريم على ما كان يجري في سوريا حينئذ •

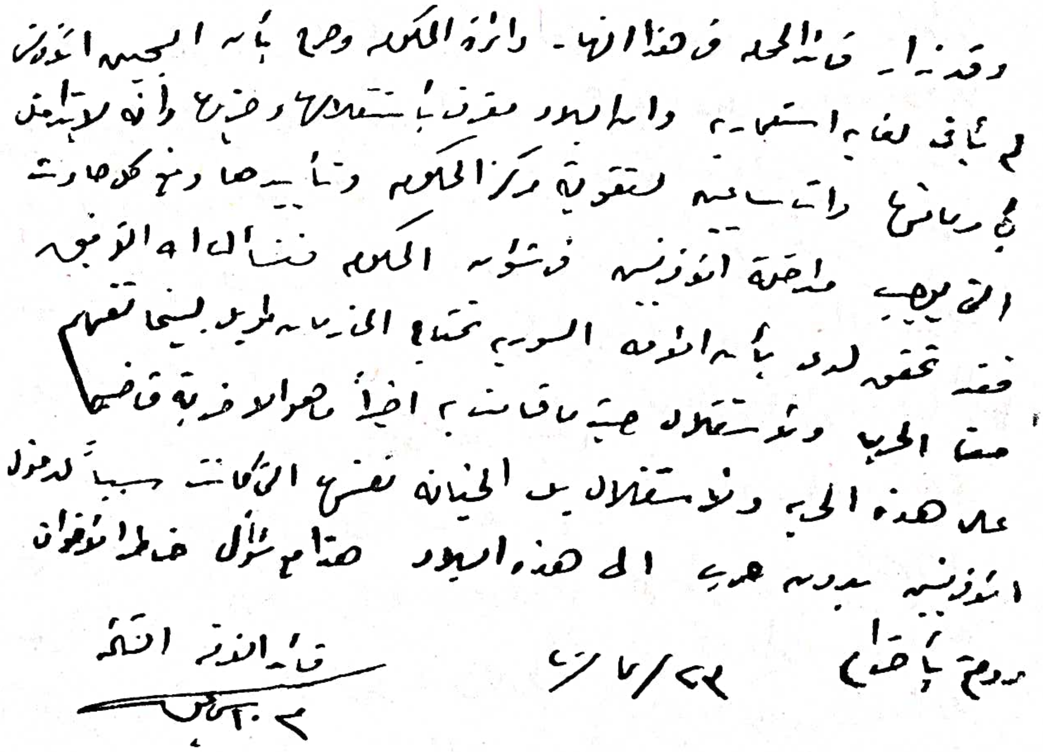
حضرة الأخ علي جودت بك المحترم

أخذت كتابكم وقرأته بمزيد السرور لما فيه من الحماس والتشوق للجهاد
الوطني في استقلال البلاد ومحافظة الحرية ولكن مع الأسف لما ثبت
لسوريا في مقاومة حلب أن الأهالي وأكثر الشبان لا يستطيعون ولا يأملون
لهم فكما أنهم حكم الله به كانوا سبباً لنشر الفوضى في العرب فقد بدأوا الآن
في التعرض على الفقراء ونهبهم وفي بعض الأوقات هاجموا مراكز الحكومة وحرقوا
أوراقها ودفاترها كما قد علمتم بالبعد وشاهدتم من الحوادث طرفنا وأعمال الحكم

تشكرون على شعوركم :

لابد اطلعتم على الخلاف الذي حصل بين حكومة الشام والدخل وما جرى بينهم
من المفاوضات وأن الجنرال غورو طلب من الحكومة قبول شرائط تقبله مبدأ
كما طلب احتلال الأقضية وقبول النقد السوري مبدئياً وحل الجيش ...
ومن جملتها طلب وإلغاء المؤتمر السوري وما يشبه من هذه الشرائط
وقد تفاوضت الحكومة مع المؤتمر في أمر قبول الشرائط وأما الحرب فهذه الآن
كما شرعت بإخلاء القطعات وإلحاق معداتها وتركت على كل فقدان الشرائط
كما قررنا الدفاع ولكن وإذ الحكم المركزي سلفنا بأن الشرائط قبلت
مع بعض تعديلات وعليه يجب تسريح الجنود وتوقيف ...

المنطرحين واعادة الثقة للجماهير ولعل التشكيلات السرية وعلاقة
هذا الأمر فقد باشرنا بتسليح المواد ومن جملة احتلال من اجل [illegible]
بشكل لا يكون اقل من افقه الاردنيين بشيء من الاوراد الداخلية تلك كانت [illegible]
وفيه في هذه التنظيمات ادوار بنائية من وسائل معروفة في ركن بأن
الاردنيين خائفو الجمهور وتقدم على اشكال من الحكم [illegible] وقت
المفارقة وتجنبنا [illegible] الاستقلال لذلك بعد ما خف الجو وفرقنا الجمع
مع كل فخر باشرت من هذه الدقيقة بجمع ما يحتاج اليه للقوة واذ فرحا لي
بيانا بأسماء ونهضت من الذين لا علاقة لهم في البلاد و [illegible] عمل
قد هجموا على الملك و [illegible] الاسلحة والسلاح و [illegible] الاردنيين
وتسند [illegible] على البرلمان في الحال [illegible] على القوة المرجوة لذا [illegible]
وتشاورت الى انعقاد البلاد [illegible] قال [illegible]
الى هواية [illegible] عليه وفي هذه الاثناء [illegible] اميركي
من البلاد العام [illegible] الشعب وتأمرنا بأن نستعد للدفاع عن
[illegible] و [illegible] وتزيد على ذلك بأن يجد
[illegible] قطعاً للحالة التي [illegible]
معارضة من قوات الاردنيين المجاورة لنا [illegible] الحقيقي [illegible]
[illegible] التلك وعدم [illegible] القادة [illegible]
انهم فقد فهم [illegible] الاردني الى اخذ [illegible] حسب [illegible] الوقت
بالمقاومة مع [illegible] الاحوال [illegible] الشعب [illegible]
و [illegible] تقبله [illegible] الاردنية [illegible] في البلاد
[illegible] واستقلت الملك [illegible] الاوراد



وقد [illegible] قائد الحملة في هذه الانحاء [illegible] الحكومة [illegible] بان الجيش الانكليزي

لم يأت لغاية استملاك [illegible] وان البلاد مقترنة باستقلال وحرية وانه لا [illegible]

في [illegible] وارشادات لتقوية مركز الحكومة وتأييدها [illegible]

[illegible] الانكليز [illegible] الحكومة [illegible]

فقد تحقق لدي بان الامة السورية تحتاج الى [illegible]

منذ الحرب [illegible] اخذ [illegible]

على هذه الحرب [illegible] الخيانة [illegible]

الانكليز [illegible] الى هذه البلاد [illegible]

[illegible] ٢٢/١/[illegible]

وهكذا فقد اخذ الفرنسيون يختلقون الاسباب لتقويض حكومة فيصل في سوريا ، حتى تمكنوا منها في ٢٥ تموز ١٩٢٠ حين زحف الجنرال غورو على الشام واستولى عليها بعد واقعة ميسلون التي استشهد فيها البطل النبيل وزير الدفاع المرحوم يوسف العظمة فاضطر الملك فيصل وحاشيته وجماعة من مؤيديه الى مغادرتها الى درعا ومنها الى ايطاليا فاوروبا ، الامر الذي اشغل بالنا وجعلنا نفكر في مصيرنا ومصير اخواننا ، اذ لا وجود لدولة عربية تحمينا ، ولا نستطيع الذهاب الى تركيا لاننا حاربناها • وها نحن الان اعداء الافرنسيين والانكليز معا • ومع هذا كله فاننا لم نيأس بل كنا نؤمن بان الله معنا •

كان متصرف دير الزور مصطفى باشا القنواتي رجلا متقدما في السن ، حسن النية ، مخلصا في عمله ، مؤديا لواجباته ، وقد حنكته

ويتلقى اوامره من المفتش الاداري مباشرة كأنه لا وجـود للمتصرف فيها • وقد لفت نظري انه قدم الي بعض الاوراق والعرائض وكان قد قدمها الى المفتش الاداري قبل ان اطلع انا عليها ، مع انها كانت معنونة الى المتصرف • فاستدعيته وسألته عن السبب ؟ فقال ان هذه الطريقة كانت متبعة في زمن (اخوك) (يقصد سلفـي المتصرف السابق) • فنبهته الى عدم جواز الاستمرار على هذا الاسلوب وامرته ان يقدم

اصحاب المصالح ان له قضية في دائرة المحاسبة قد مضت عليها مدة طويلة من دون ان تنجز مع انها لا تستوجب مثل هذا التأخير • وقال لي انه من اهالي اللواء ويسكن خارج البصرة وهذا ما يجعله يتكبد نفقات كثيرة ، وقد راجع المأمور المختص وما يزال يراجعه ، والمأمور المذكور يماطله ولكنه في الوقت نفسه يقول له انه مستعد ان يقضي حاجته بسرعة اذا دفع له مائتي روبية • وبعد ان ناقشت الرجل واتهمته بنية الانتقام من الموظف ، اكد لي ادعاءه بايمان غليظة ، فأعطيته ورقة من فئة خمس روبيات بعد ان وضعت عليها علامة خاصة ، وطلبت اليه ان يدسها بين المئتي روبية التي سيقدمها الى الموظف على ان يكون الاعطاء في الوقت الذي اكون فيه في مقامي الرسمي • فأتاني يوما واخبرني بانه اعطى الموظف الدراهم المعينة ، فذهبت بنفسي حالا الى المحل الذي اشار اليه الرجل فلم اجد الموظف ، وبعد البحث عنه احضرته الى غرفة مأمور الخزينة حيث ادعى الرجل انه سلمه المبلغ فيها • سألته عن المبلغ فأنكر ، وامرت ان يبحث في جيوبه فلم نعثر على شيء فخطر على بالي ان الرجل المدعي كذاب • وبينما كنت أؤنبه وهو يحلف ايمانا بانه صادق ، وانه اعطاه الدراهم في المحل الذي نحن فيه واذا بمأمور الخزينة يومي الي بانه شاهد هذا الرجل يدفع الى الموظف مبلغا لا يعرف مقداره وان هذا الموظف اعطى المبلغ المذكور رجلا آخر كان حاضرا وهو فلان فأحضرت الرجل الثالث فورا فأنكر ، ولكن عندما فتشنا جيوبه وجدنا المئتي روبية وبينها تلك الخمس روبيات المعلمة من قبلي فأحلته حالا على المحكمة ، وهناك اعترف بجريته وحكم عليه بالسجن مع غرامة مناسبة فلم اسمع بعد هذه الحادثة مدة بقائي في البصرة عن اي مأمور جرؤ على اخذ الرشوة صغيرة كانت او كبيرة •

تعاطي الافيـون في البصرة

كانت في البصرة محلات خاصة يتعاطى روادها الافيون ، وكانت تلك المحلات مرخصة من قبل الادارة المحلية وبتشجيع من مدير الكمرك الانجليزي « المستر كوبر » فقررت الغاءها ومنع تعاطي الافيون فيها ، ولكن مدير الكمرك المذكور كان يصر على بقائها بحجة ان هناك حمالين ايرانيين مدمنين على تعاطي الافيون ، وان منعه عنهم يعـرض صحتهم للاذى ، وفي الوقت نفسه تخسر الحكومة واردات الكمرك التي تأتي منه ، وتفقد الرقابة على الوارد من الافيون الى البصرة . وكان يدعي كذلك بان هذه الطريقة هي احسن الطرق للحد من استعمال الافيـون وكأني به لم يكتف بتخدير الشعب بواسطة الجهل ؛ وانمـا اراد ان يخدره باستعمال الافيون ايضا . وكان جدال عنيف بيني وبينه ، وكانت شكاوى ومخابرات بيننا وبين وزارتي الداخلية والمالية ، وكل منا يدافع عن وجهة نظره في هذه القضية حتى انتهت بالنجاح وموافقة الوزارتين على اغلاق المقاهي التي كانت بؤرة لتعاطي الافيون وذلك بعد ان برهنت للوزارات المختصة على انني قمت بالعمل ذاته في كربلاء من دون ضجة، وتكللت اعمالي بالنجاح ولم يكـن هناك مفتش اداري او مدير كمرك انكليزي .

كانت الامراض المستوطنة ، ومن جلمتها الملاريا ، تفتك في الاهلين فتكا ذريعا في جميع انحاء اللواء فأخذت تخف بالتدريج بفضل التدابير الصحية الدائمة التي اتخذناها .

وقد زارنا مرض الكوليرا مرة خلال مدة بقائي هناك ، ولكن الهمة التي بذلت للحد من توسعه كانت تستوجب الغبطة .

وكانت اسراب الجراد تغزو البصرة من وقت الى آخر ، وتسبب للمحصولات اضرارا . فبلغني ذات يوم ان الجراد في الصحراء يزحف نحو البصرة وهو على وشك ان يغزوها ويكبدها اضرارا جسيمة ، فابرقت الى الدوائر المختصة في بغداد ان تسرع بارسال الموظفين والوسائل اللازمة لمكافحة اسراب الجراد في محلها قبل ان تبدأ بالطيران نحو البصرة وبينت الاضرار البليغة التي قد تنتج عن هذا الغزو اذا لم تدارك الامر قبل فوات الوقت ، وكررت الطلب مرتين وثلاثا فلم افلح ، وبعد ان باشرت اسراب الجراد تهاجم نخيل البصرة ومزروعاتها وتلتهمها التهاما ، تلقيت برقية من دائرة الزراعة تطلب الي فيها ان اتخذ التدابير السريعة لمكافحة الجراد قبل دخوله الى البصرة ، وانها اي دائرة الزراعة مرسلة الينا الموظفين والوسائط اللازمة التي طلبناها . فابرقت الى الدائرة جوابا على برقيتها . ان اسراب الجراد دخلت حدود البصرة بدون باسبورت « جواز السفر » وان دائرة الامن مع الاسف لم تقو على صدها وايقافها خارج الحدود .

اشتراكي في وزارة نوري السعيد الاولى

استقالت وزارة ناجي السويدي في ٩ آذار ١٩٣٠ بعد ان اصطدمت بدار الانتداب البريطاني لاسباب اهمها في الظاهر تخفيض عدد الموظفين البريطانيين والاستغناء عن بعضهم لانتفاء الحاجة اليهم،وقد كان بينهم من لا يستفاد من اختصاصه او معلوماته فضلا عن بعض العراقيل التي كان يضعها لتحول دون سير امور الدولة ، وابهاظه الخزينة بمبالغ كثيرة ترهق كاهلها على الرغم مما كانت عليه الدولة العراقية من ضيق ذات اليد وحاجتها الملحة الى تمويل مشاريعها الضرورية • وقد عهد الملك الى نوري السعيد في تأليف وزارة جديدة تخلف الوزارة المستقيلة فألفها في ٢٣ آذار ١٩٣٠ • وكان رئيس الوزراء قد فاتحني في ان اشاركه المسؤولية على اساس عقد معاهدة تضمن استقلال البلاد التام وعلى ان تتعهد الحكومة البريطانية بالسعي لدى عصبة الامم لادخال العراق عضوا فيها وعلى ان اتقلد وزارة الداخلية ، وان يكون جميل المدفعي وزيرا للمالية ، وجعفر العسكري وزيرا للدفاع وجمال بابان وزيرا للعدلية ، وجميل الراوي وزيرا للمواصلات والاشغال ، وعبد الحسين الجلبي وزيرا للمعارف • ولكن جميل المدفعي اعتذر عن قبول منصب وزارة المالية لاسباب شرحها لي ولرئيس الوزراء فكانت وزارة المالية بمصاعبها الجمة في تلك الظروف الحرجة من نصيبي •

بين لنا رئيس الوزراء منهاجه الوزاري واكد لنا ان المعاهدة المنوي عقدها ستساعدنا على الدخول في عصبة الامم بلا قيد او شرط ،

وعلى اساس الاستقلال التام ، كما انها تنظم علاقاتنا المالية والاقتصادية والسياسية بالحكومة البريطانية بصورة خالية من كل شائبة ، وعلى ان تكون تلك العلاقات مبنية على اساس المنافع المتبادلة فسررنا بتلك البيانات وبمنهاج الوزارة ورحنا نعمل بهمة ونشاط •

كان الوضع المالي سيئا للغاية ، وقد اخذ بخناق الدولة • ولذلك رأينا من الضروري استخدام خبير مالي يدرس الحالة المالية في العراق ، ويساعد الحكومة على ايجاد الطرق اللازمة لتحسين الوضع المذكور فقرر مجلس الوزراء استقدام (السر هيلتن ينغ) الخبير المالي البريطاني الشهير • فلما وصل الى بغداد اتصل بكبار رجال الدولة والموظفين الماليين ، وزار بعض الالوية العراقية المنتجة كلواء ديالي ، ولواء الحلة ، واطلع على موارد الدولة الرئيسية ودرس الوضع الاقتصادي من جميع نواحيه ، ثم قدم تقريره الذي ظهر انه لم يشخص فيه الداء الذي كانت تشكو منه مالية العراق • والحقيقة كان عبثا الاعتماد على خبير اجنبي لمعالجة مثل هذه الامور المهمة في مدة قصيرة استنادا الى خبرته التي حصل عليها في محيط غير المحيط الذي انتدب لمعالجة اموره • ومع هذا فان الحكومة قامت بتدابير مؤقتة عالجت بموجبها الوضع على قدر ما كانت تسمح به الظروف •

ثم باشرت الوزارة في درس مواد مسودة المعاهدة التي كانت قد اعدت من قبل ، فكانت الاجتماعات متوالية لبحث موادها مادة فمادة ، وقد اقترح رئيس الوزراء في بادىء الامر ان يأتي بالمواد منفردة لتدقيقها وتصديقها حتى يتم تدقيق جميع المواد ، ثم تقدم الى المجلس النيابي للبت فيها ، ولكننا بينا له خطأ هذه الطريقة ، فأذعن الرجل وقدم الى اعضاء الوزارة مسودة اللائحة بأكملها طالبا منهم الاحتفاظ

بسريتها وعدم البوح بها لئلا تقع بايدي المعارضين فيقوموا بـدورهم بالدعاية ضدها ، ويحاولوا تضليل الرأي العام الذي لم يكن مقـدرا وضع العراق الحقيقي « وما هو عليه من ضعف بالنسبة الى الـدولة المنتدبة » ولما تقتضيه مصلحة البلاد مـن معالجة الامـور بالحكمة والروية • وقد جرى تعديل بعض موادها في اثناء المذاكرة كما بقيت بعض المواد التي تخص السكك الحديدية والميناء وغيرها معلقة •

وفي ٢٤ حزيران ١٩٣٠ قرر مجلس الـوزراء ايفاد رئيس مجلس الوزراء الى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية حول حسم القضايـا المالية المعلقة ومفاوضة شركة النفط لتعديل امتيازها الذي كانت الوزارة تعتقد انه كان مجحفا بحقوق العراق • وكنت بينت في مجلس الوزراء وجهة نظري في القضايا المالية المعلقة ، وقلت انني غير مستعد لقبول اي حل غير ذلك •

ذهب رئيس الوزراء الى لندن وبعد مدة قصيرة وهو ما يزال في لندن ، ذكرت بعض الصحف البريطانية ان رئيس الوزراء العراقـي نوري السعيد قد وقع على الاتفاقية المالية في لندن ، فاستغربت هـذا التصرف ، وانتظرت عودة رئيس الوزراء الى بغداد ، فلما وصل اليها واجتمع مجلس الوزراء بينت لاعضائه ان ما قام به الرئيس كان خلافا لما قد قرره المجلس فيما يخص الاتفاقية المالية • وبعد المناقشة فـي الموضوع لم اقتنع بصحة ما قام به الرئيس نوري من تصرف ، فقدمت استقالتي من منصب وزارة المالية في ٩ ايلول ١٩٣٠ فقبلت استقالتـي وهذا نصها • ـــ

الى اعتاب نائب الملك صاحب الجلالة الملك علي المعظم (١)

---

(١) كان نائب الملك ، الملك علي شقيق الملك فيصل الاول .

لم اقدم على تولي اعباء المسؤولية الا بعد ان تيقنت من التصريحات الخطيرة التي فاه بها آنئذ فخامة رئيس الوزراء نوري السعيد ، من اننا نتمسكن في المرحلة الخطيرة التي كانت تجتازها البلاد ، على اثر استقالة مجلس الوزراء السابق ، من نيل حقوق كانت ولم تزل الرمز الحقيقي لمطالب البلاد ، تلك المطالب التي نودي بها في ازمنة مختلفة ، والتي منها تعديل المعاهدة الحالية وملحقاتها . والان وبعدما تأكدت ان المعاهدة المنوي عقدها مع بريطانيا العظمى وما تحتويه من المواد لا يتفق مع ما اتفقنا عليه من مبادىء عند تأليف الوزارة ولا اعتقد ايضا انها تؤمن ولو جزءا قليلا مما تصبو اليه البلاد ، وبما انني شديد الرغبة في ان لا اعيق اي عمل يعتقد زملائي الوزراء انه مفيد للبلاد ويتعهدون بتنفيذه ، فلي الشرف ان اتقدم بكتابي هذا راجيا اعفائي من المسؤولية واني لجلالتكم من اخلص المخلصين .

بغداد في ٩ ايلول ١٩٣٠

علي جودت

وزير المالية

ثم بوشر في الانتخابات للمجلس النيابي . وعلى الرغم من قرار بعض المعارضين للمعاهدة، مقاطعة هذه الانتخابات فقد قررت خوض المعركة كما شاركني في هذا القرار كل من السادة ياسين الهاشمي ، ورشيد عالي الكيلاني ، وناجي السويدي ، فرشحت نفسي للنيابة عن لواء الموصل ، وطلبت الى اخواني ان يسندوني هناك بصورة جدية . ومع علمي باني سأنجح من دون شك في ترشيحي عن مدينة الموصل نفسها ، فان اكثرية الاصوات في جميع اللواء قد لا تتوفر لان لواء الموصل يضم تسعة اقضية ، وهذه الاقضية لا بد من ان تتأثر كثيرا بنفوذ

الحكومة ، فتركت رئيس الوزراء وادارة لـواء الموصـل منهمكين في مقاومتي هناك واتجهت نحو لواء بغداد •وقبل موعد الانتخابات بيوم واحد ، ذهبت بنفسي الـى قضاء المحمـودية ، واجتمعت بالمنتخبين الثانويين ، وبرؤساء العشائر ، وبالقائمقام ،وكلمت كـلا منهم بمـا يناسب ، ثم عدت الى بغداد واخبرت اخـواني بما رأيته مـن حسن الترحيب من المنتخبين الثانويين ، ومن رؤساء العشائر ، وما وعدوني به من تأييد ثم ذهبت فورا (بعد ان اطمأننت الى وضع قضاء الكاظمية ومؤازرته لي ولاخواني) الى سامرا ، فالدور ، فتكريت ، وقد رافقني في هذه الرحلة صديقي المرحوم مولود مخلص وكنت اجتمع في كل محل اقصده برؤساء البلديات والمنتخبين الثانويين ورؤساء العشائر •

وعند رجوعي ليلا من تكريت بلغني ان رئيس الوزراء كان قـد طلب من قائمقام سامراء محمود نديم السنوي ان يلاقيه في نقطـة معينة بين بغداد وسامراء ، فأسرعت بـدوري الـى مقابلة القائمقام فأخبرني بان رئيس الوزراء اوصاه بان يحول دون نجاحي في الانتخابات لان معنى هذا النجاح ان الاهالي لا يوافقون علـى المعاهدة التـي استقال وزير المالية من اجلها •

وفي صباح اليوم التالي ظهرت نتيجة الانتخابات فكنت ناجحـا فيها عن لواء بغداد • وكذلك فزت باكثرية ساحقة في مدينة الموصل كما كنت اتوقع • وفي ٨ اذار سنة ١٩٣١ وعند اجتماع المجلس النيابـي الجديد وبعد ان فضحت المعارضة مساويء المعاهدة المقترحة ، وابدت رأيها صراحة في ضرورة رفضها كما هـو مدون في محاضر الجلسـات للمجلس المذكور ، قـدمنا انا ، ورشيد عالـي الكيلانـي ، وياسين الهاشمي ، استقالتنا من المجلس النيابي •

حـزب الاخـــاء

تأسس حزب الاخاء معارضا لسياسة نوري السعيد ، وللمعاهدة التي ابرمها ، وكان المرحوم ياسين الهاشمي معتمدا للحزب وكنت سكرتيرا له .

بقيت في حزب الاخاء وفي صفوف المعارضة حتى تألفت وزارة رشيد عالي الكيلاني في ٢٠ مارس ١٩٣٣ فعرضت علي رئاسة الديوان الملكي فرفضت قبول هذا المنصب محتجا على قرارات بعض زعماء الحزب وتصرفاتهم عند تأليف الوزارة مما ينافي الانضباط الحزبي ، واسمعت معتمد الحزب المرحوم ياسين الهاشمي ــ مع الاسف الشديد ــ كلاما قاسيا في انتقادي تلك التصرفات التي رأيتها غير لائقة آنذاك . وحدث في اليوم التالي ان استدعاني الملك فيصل وكان قد بلغه نبأ رفضي لهذه الوظيفة المهمة مع السكرتارية الخاصة لصاحب الجلالة . ولما مثلت بين يديه ، وجدت الهاشمي حاضرا فسألنا الملك عما جرى ؟ فأعرب الهاشمي لجلالته عن شديد المه من قسوة كلامي له امس ، ومما قاله ان ما جرى في تأليف الوزارة بما في ذلك ترشيحي لرئاسة الديوان وبدون اخذ رأيي كان بموافقة جلالته ورغبته وعندما اكد جلالة الملك رغبته في ترشيحي لرئاسة الديوان ، اعترفت بانني كنت منفعلا جدا حينما كلمت الهاشمي امس وتأسفت على ذلك . فقال الهاشمي مخاطبا الملك . سيدي هذا يكفيني ، فتصافحنا وتصالحنا ، وامرني الملك ان اذهب الى الديوان واباشر وظيفتي الجديدة : رئيس الديوان الملكي والسكرتير الخاص للملك ــ وهكذا كان الملك الربان الحكيم يدير الامور بصبر ورحابة صدر ، ويصلح بين رجاله ويوحد قلوبهم .

رئاسة الديوان

بعد تسلمي رئاسة الديوان الملكي ببضعة ايام ، اراد جلالة الملك ان يسافر الى الموصل لتفقد احوالها ، وزيارة الاثار القديمة فيها وفي اطرافها ، كخرائب نينوى ، ونمرود ، وخرساباد ، وكانت ثم بعثة امريكية تجري حفريات فيها ، وكذلك مدينة الحضر في الصحراء غربي مدينة الموصل • وكان جلالته قد امر ان يكون بمعيته ولي عهده الامير غازي ، ووزير الداخلية حكمت سليمان ، وكاتب هذه السطور مع بعض الشخصيات الاخرى ممن يمكن الاستفادة من معلوماتهم حول المنطقة التي سيزورها • فكان الاستقبال لجلالته في الطريق وفي الموصل وفي الاماكن التي مر بها عظيما رائعا • وكان هو يستقبل الوفود ببشاشة واغتباط ، ويسأل عن احوالهم وحاجاتهم ومطالبهم الضرورية ، ويطلب اليهم تعاونهم مع الحكومة لبناء الدولة الفتية ، وتعزيز قوتها ومكانتها بين الدول • كانت سفرة ممتعة جدا اطلع جلالته خلالها ومن معه على امور كثيرة تخص لواء الموصل ولا سيما قضية الآثوريين التي كانت قد بدأت تلوح في الافق ، والتي كانت السلطة الفرنسية المنتدبة في سوريه تؤجج نيرانها لتظهر للملا ان الدولة العراقية التي دخلت عصبة الامم كدولة مستقلة لا تراعي في ادارتها حقوق الاقليات • ولذلك كان ينصح الموظفين الاداريين ويوصيهم بأن ينتبهوا لهذه الامور وان تتسع صدورهم وتطول اناتهم في معاملة الاقليات سواء كانوا آثوريين او غيرهم ، وان لا يتركوا

مجالا لذوي الاهواء لخلق اسباب الدعاية ضد الادارة العراقية • وقد ذهب الى زيارة مضارب شمر ونزل ضيفا على المرحوم الشيخ عجيل الياور وشجع قبائله على الاستيطان وممارسة الزراعة ، وترك الغزوات بصورة مطلقة •

كان الملك فيصل الاول ملكا ديمقراطيا بمعنى الكلمة • يملك ولا يحكم ، واذكر انه في اثناء هذه السفرة قد ابدى رغبته في ترشيح شخص معين ليكون معاونا لرئيس الديوان ، وامرني ان ارشحه لهذه الوظيفة عند عودتي الى بغداد ، ولما رأيت ان تعيين هذا الرجل مخالف للمصلحة العامة وقد يسبب تقولات كثيرة وقد لاتوافق الحكومة على تعينه في مركز حساس كهذا ، ترددت قليلا في اجابة الامر ، ولكني لم افه بكلمة واحدة تدل على انني سانجز ما أمرني به فانتبه لذلك وقال لي « اني وعدته بذلك » • ولما عدنا الى بغداد وكرر الامر بينت لجلالته اسباب ترددي وقلت له قد لا توافق الوزارة على التعيين فنكون قد احدثنا مشكلة نحن في غنى عنها ، واقترحت على جلالته ان يعين الرجل في وظيفة اخرى لا يقل مرتبها عن مرتب معاون رئيس الديوان وقد يتمكن المذكور في الحين ذاته من ممارسة عمله الذي كان يؤديه حينئذ وليس في ذلك صعوبة • ولكن جلالته لم يقتنع بكلامي رغم اخلاص نيتي فيما قصدته ، وحرصي على اجتناب ما يمكن ان يروجه ذوو الاهواء من الشائعات ، ومايتبع ذلك من القيل والقال • وكتب بخط يده سطورا يملي فيها ارادته ، وبعث بها الي • ومع ذلك فانني لم اعجل في اعداد كتاب الترشيح ، فبادر جلالته بعد مدة قصيرة الى ارسال قصاصة اخرى اكد فيها الاولى وهذا نصها

وبخط يده الكريمة .

عزيزي جودت

اخجلتني اولاً يا اخي بأن سبقتني فكتبت واهديت لي ديوانك

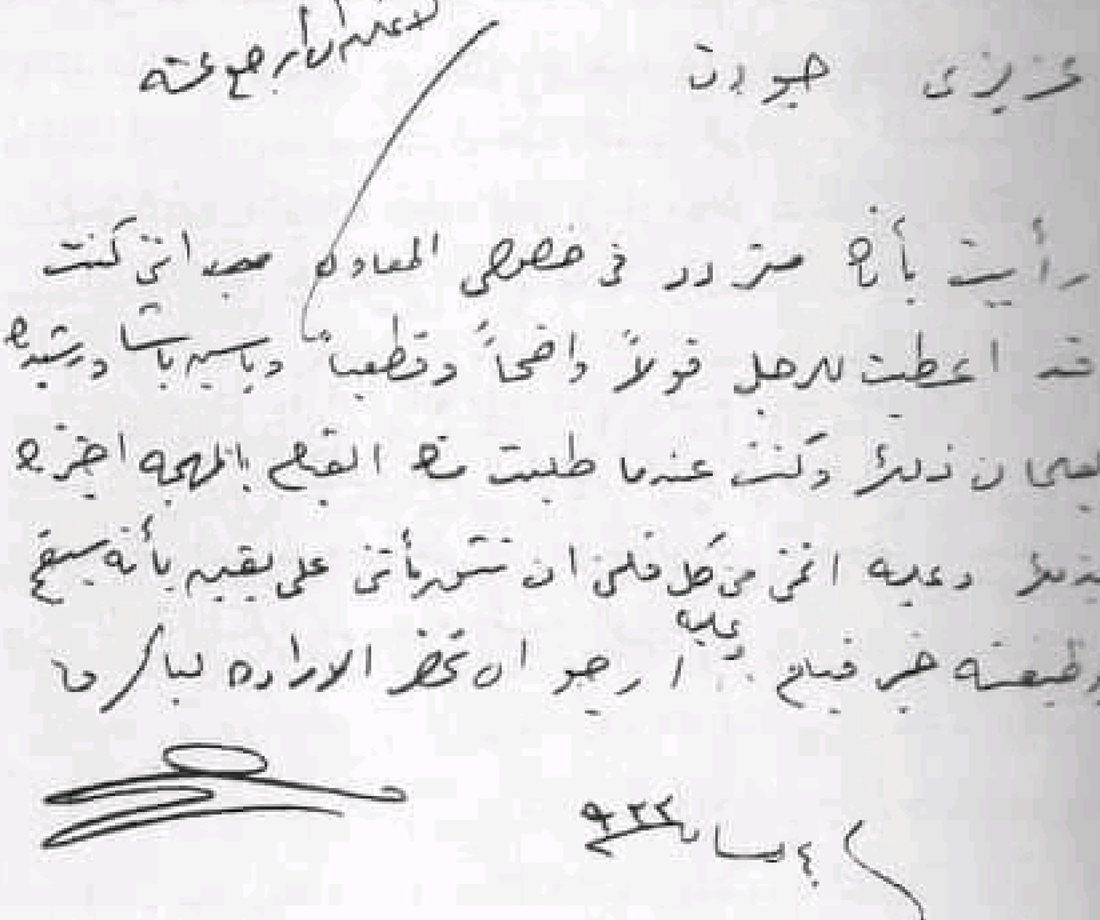
والآن بعد ان افتكرت رأيت انه من المستحيل على ان اجزيك حق ودك ولكن

[illegible] اعطيته فلذا سآخذ بنظر الاعتبار كلما ابديته

، فحسبه السيف العذل [illegible] واعطيت الوعد

ودمت الكريم قريب الاهل عبد العزيز

[illegible]


لتشكيل الارادة مستعجلة

عزيزي حيدر

رأيت بأنك مترددا في خصوص المعاملة مع اني كنت
قد اعطيت للرجل قولاً واضحاً وقطعياً ولياسين باشا ويشهد
[illegible] ان ذلك ولكن عندما طلبت منه القبول بالمهمة اخبرني
بعذر وعليه [illegible] ان [illegible] على تلقيبه بأنه سيتبع
بوظيفته غير قليل ارجو ان تخط الارادة عليه باكرا

[illegible] ٩٢٢

وعليه ونزولا عند امر جلالته كتبت كتاب الترشيح ولكني أرفقته بكتاب استقالتي من رئاسة الديوان . وفي هذه الاثناء قابلني صديقي محمد زكي (المحامي) وزير العدلية انذاك ، ولما علم بالامر ذهب حالا الى ياسين الهاشمي واخبره بما شاهده وسمعه ، فانتبه الهاشمي لمايمكن ان يحدث من رد الفعل في هذه القضية فطلب الى المرحوم رستم حيدر وزكي المحامي ان يذهبا حالا الى (الملك علي) شقيق الملك فيصل وان يرجواه التوسط لدى الملك لاعادة النظر في طلبه لانه ليس من المصلحة اصرار جلالته على هذا الطلب فذهب الملك علي حالا ورجا اخاه ان

يعدل عن هذا التعيين فاستجاب له الملك الحكيم ، واستدعاني وأبلغني انه قد عدل عن ترشيح المذكور لذلك المنصب فشكرت لجلالته ذلك واكدت له انني انما تصرفت في هذه القضية حرصا على المصلحة العامة ، واخلاصا لجلالته ، وانه ليس لي اي غرض شخصي ولا اكن عداء للرجل الذي لم تكن لي به أية علاقة ، رسمية كانت او شخصية.

وبهذه المناسبة اذكر ان وزير المالية رستم حيدر حجز مرة على محصولات المزرعة الملكية في (الحارثية) لتأخر الخزينة الخاصة عن تسديد الضرائب المفروضة على المزرعة المذكورة ، فاستدعي الملك وزير المالية وشكره على عمله وقيامه بالواجب .

زيارة الملك فيصل لملك بريطانيا

كان من المقرر ان اذهب بمعية الملك فيصل ، في اثناء زيارته الرسمية لبريطانيا ، وكانت الاستعدادات قد اتخذت على هذا الاساس واعدت لي ولاعضاء الوفد الالبسة الرسمية التي تقضي الاصول بأن نرتديها ، ولكن حدث في آخر الوقت ، وقبل سفر جلالته ، ان اخبرني بانه سيضطر الى تركي في بغداد لاكون بجانب الامير غازي الذي سيكون نائبا عنه • وكان ينوي قبلا ان يجعل اخاه الملك عليا ، نائبا عن الملك ولكن عليا اصر على الذهاب الى اوروبا ايضا فاصبح ضروريا ان يكون ولده غازي نائبا عنه وان اكون انا الى جانبه وفي معيته حتى رجوع جلالته من الزيارة •

وقبل سفر الملك استدعى جلالته الامير غازيا والقى عليه في حضوري نصائح ملؤها الاخلاص والشعور بالواجب المقدس نحو البلاد ، واوصاني بان اكون الى جانبه دائما وان ارشده الى طرق الصواب ، وان اقرب اليه المخلصين من رجال البلاد ليطلع على آرائهم ويستفيد من مشورتهم ، وان اخبر جلالته من وقت الى آخر بالاحداث والنتائج • ثم التفت الى الامير مؤكدا عليه ان يصغي الى نصائحي ، وان يستشيرني في الصغيرة والكبيرة قبل قيامه بأي عمل •

وقد رأيت بعد سفر الملك ان من واجبي ابعاد بعض الاشخاص الذين كانوا في معية الامير ، والذين كانوا منهمكين في تعاطي المشروبات الروحية بصورة مفرطة • وبما ان الامير غازي كان شابا في مقتبل العمر ، وعليه واجبات مقدسة هي غاية في الاهمية بالنسبة الى

وضعه تجاه امته ، فكان عليه ان يمارس الرياضة البدنية ليحافظ على صحته ونشاطه الضرورين للقيام بالعمل المنوط به ، كما يجب ان يتجنب معاشرة رفقاء السوء الذين كانوا مستعدين لاغرائه بما لا يليق بمقامه من سلوك . فاصلحت ساحة التنس التي كان والده قد أمر بتمهيدها ، ثم أهملت اخيرا . كما طلبت الى وزارة الاشغال ان تساعد على انشاء ملعب (سكواش) في ساحة حديقة البلاط وهي لعبة مرهقة كما يعرفها لاعبوها وشجعته كذلك على لعبة (البولو) .

وفي الصيف بنينا له ما يسمى (جرداغ) على ساحل دجلة امام البلاط وكان لديه زورق بخاري سريع ، فاخذ يستعمله للتزلق على الماء اي (ووتر سكي) وهي رياضة مسلية ومنشطة جدا للجسم ولا سيما في موسم الصيف وكان من شأن هذا كله ان يساعد على سلامة اخلاقه ، وصحته ، وتفكيره ، ويحول دون الالتجاء الى الملذات التافهة التي قد تلهيه عن واجباته الاساسية . وهكذا كان يأتي صباح كل يوم الى البلاط ويستقبل في الوقت المعين الزائرين من الرجال والمراجعين من وزراء ، وموظفين ، واجانب من السلك الخارجي كما كان يفعل والده . وكنت احضر الجلسات التي يستقبل فيها السفراء والوزراء المفوضين لاساعده في اثناء المقابلة ، واطلع على ما يدور من كلام بينهم ، هذا اذا لم يحضر وزير الخارجية او وكيله في اثناء المقابلة . وكنت اقدم تقريرا مفصلا عما يجري في البلاط الى الملك فيصل ، وكنت اجده مرتاحا الى خطتنا التي مشينا عليها في غيابه . وقد شكر لي جهدي فور رجوعه من زيارة ملك بريطانيا على اثر حادثة الاثوريين، وبين سروره مما لاحظه في اخلاق الامير غازي وتصرفاته من تطور ولا سيما انهماكه في الرياضة واقباله على ممارسة اعماله الرسمية بشغف.

الوضـع المالـي للملك فيصـل

كان الملك فيصل الاول يرزح تحت اثقال الديون المتراكمة عليه ، ومعظمها كان مدينا به للبنك العثماني ، وذلك بسبب ما كان يبذله من مساعدات لبعض المحتاجين ، وما يتبـرع بـه للمؤسسات الخيرية والحكومية مـن جيبه الخاص • ولم يكن في مقدور الحكومة آنذاك ان تقدم اليه شيئا ، لعجز ماليتها هي • اما هو فكان ينفق بوصفه ملكا عربيا ومؤسس دولة عربية حديثة توجب تقاليدها السخاء على الرغـم من كونه مرهقا بالديون ، ولم يكن في الامكان الحيلولة دون استمرار هذا الانفاق وتراكم الديون في زمن الملك فيصل ، ولذلك بذلنا جهودا خاصة لتقليل النفقات ، وسد بعض تلك الديون في ايام الامير غازي خلال ولايته الملك • وبهذه المناسبة اذكر ان بعض الدجالين الذيـن كانوا يحومون حول (الملك علي) شقيق الملك فيصل كانوا يوهمون جلالته بأن الاهالي في سورية يرغبون في ترشيحه ملكا على سورية ، وان الفكرة جاهزة ولم تكن لتحتاج الا الى مبلغا من المال لاخراجها الى حيز الوجود • ولم يكن يجرؤ على ردهم ، كما انه لم يكن يتمكن من مساعدتهم لضيق ذات يده فيقع في حيرة •

وحدث ذات مرة ان زار البلاط محاولا الحصول على موافقة الملك غازي على ان يرهن خاتما من الماس كان يقتنيه ، لدى البنك العثماني لقاء ثمانية الاف (جنيه) باون انكليزي يستقرضها من البنك بكفالة (الخزينة الخاصة) ولما كنت مطلعا على الاعباء الثقيلة التي كانت تنوء بها الخزينة الخاصة ، فقد رجوت الملك ان لا يقبل هذا التعهد • ممـا ادى الى تأثر « الملك علي » مني في ذلك الحين •

حادثــــة الاثوريـــين

الاثوريون فريق من النساطرة الذين كانوا قبل الحرب العالميـة الاولى يقطنون الاراضي التركية المجاورة للحدود الشمالية من العراق، وكان الانكليز وحلفاؤهم قد شجعوهم على مقاتلة الاتراك ومقاومتهم اثناء الحرب العالمية الاولى على ان يؤمنوا لهم كيانا خاصا بعد الحرب فيما اذا نجح الحلفاء . وقد ثارت هذه العشائر على الاتراك ، وتكبدت اضرارا بالغة وضحايا كثيرة لان الاتراك فتكوا بها فتكاذريعا ومزقوها اربا وشتتوا شملها . ورأت بريطانيا ان تكافيء هذه الطائفة على ما قامت به مـن اعمال في اثناء محنتها ، فقررت اسكانها العراق ، في المناطق الكردية الشبيهة بالاراضي التي كانت تسكنها في الدولة العثمانية. وبما ان بريطانيا كانت الدولة المنتدبة على العراق وكـان العراق ملزمـا بمسايرتها ولا يملك قوة تقف امام رغباتها فقد وافق على مجيء عشرات الالوف من هؤلاء التيارين كلاجئين الى العراق بغية السكن فيه . ولم تبخل الحكومة العراقية عليهم بالمساعدة ، واعطائهم الاراضي للسكن ، والمعونات المالية لمعيشتهم ، وفتح المدارس لاولادهم وغير ذلك مـن عون فعلي . ولكن ، مع الاسف كان الحرص والطمع في نفوس بعض رجالهم الدينيين يفعلان فعلهما من جهة ، وايـادي رجـال الانتداب الفرنسي الشريرة في سورية تحركهم من وراء الحدود ،وتحثهم علـى المطالبة بالاستقلال ، وتأسيس كيان لهم في قطعة معينة من شمال العراق من جهة اخرى . اضف الى هذا ما كانوا يعاملون به من دلال ودعم

وتشجيع من قبل سلطة الانتداب البريطانية في العراق مما جعلهم يندفعون في غرورهم ويتقدمون بمطالب غير معقولة . وكلما سايرتهم الحكومة العراقية وطلبت اليهم ان يكونوا مواطنين صالحين ، لهم ما للعراقيين من حقوق ، وعليهم ما على غيرهم من واجبات ، اشتطوا في تجاوزاتهم وغرورهم . وقد اخبرني متصرف الموصل ذات مرة بانه تلقى من بعض الضباط العراقيين الموجودين في الموصل شكاوي تتلخص في ان جيرانهم الاثوريين كانوا يتعمدون مضايقتهم برمي الحجارة ليلا على بيوتهم ، وكان هذا العدوان يتكرر من وقت لاخر ، فاستدعى المتصرف رئيسهم الى المتصرفية ، ونصحه بان يشدد على جماعته ليتجنبوا اعمالا صبيانية كهذه لئلا تكون العاقبة وخيمة لا سمح الله ، فاجابه الرئيس الاثوري اننا معشر « الاثوريين » اذا اردنا ان نرمي فلا نرمي بالحجارة . وهذا ما يدل على غرورهم وطيشهم .

وقد عالجت الحكومة العراقية حماقاتهم بصبر واناة ، ولكنهم ظلوا يلحون في مطالبهم ومضايقاتهم . وكان القائم باعمال السفارة البريطانية يؤم البلاط الملكي حينا بعد حين ، ويقابل نائب الملك الامير الشاب غازي ، ويحثه على توصية الحكومة بوجوب تجنب المصادمة مع الاثوريين ، والتساهل معهم ، ومهادنتهم قدر الامكان وكنت دائما احضر تلك المقابلات بصفتي رئيسا للديوان الملكي . واذكر ذات مرة ان القائم بالاعمال قال للامير غازي ان هؤلاء القوم محاربون من الدرجة الاولى ولهذا يجب ان لا تصطدم الحكومة بهم ، وكنت بدوري انقل ملخص تلك المقابلات للحكومة ، هذا اذا لم يكن احد الوزراء حاضرا ، وكانت البرقيات التي تأتي من الملك ، وهو خارج

العراق ، توصي الحكومات بأن تتجنب الاصطدام مع هؤلاء خشية سوء التفسير في الخارج ، واحتمال بث دعاية سيئة ضد الحكومة العراقية التي لم يمض على دخولها عصبة الامم كدولة مستقلة الا مدة قصيرة وكنت ابعث بالتقارير الى الملك شارحا له خطة الحكومة واجراءاتها الحكيمة الصائبة في معالجة القضية مبينا له الحقيقة بتفاصيلها كما حرصت على ان اتقي ما قد يصل اليه من انباء كاذبة من ذوي الاغراض الشخصية • (١)

Hamad Khalifa

---

(١) ومما اتذكره في هذه الفترة اي بعد رجوع الملك فيصل الى العراق بمناسبة حادثة الاثوريين ، اسر لي جلالته انه نجح في مسعاه لدى الحكومة البريطانية في ضم شرقي الاردن الى العراق فسررت لهذا الخبر ولكنني قلت لجلالته « والملك عبد الله ؟ » قال لي . ما معناه انه يعتقد بأن في الامكان تذليل ما يحول دون ذلك من المشكلات .

تطـور القضية الاثوريـة

كانت الحكومة العراقية ، بناءعلى قرار عصبة الامم قد استقدمت الميجر طومسن الخبير الانكليزي للاشتغال في قضية الاسكـان التي اصبحت جد معقدة في عام ١٩٣٣ م وقـد وصل الخبير الى بغـداد ، وقابل وزير الداخلية يومئذ حكمت سليمان وبعض المسؤولين ، وكذلك مستشار الداخلية ومعاونيه • ثم ذهب الى الموصل وما لبث أن باشر عمله فيها واذابه يجد بطريرك التيارين ال « مـــار شمعون » وبعض الرجال من اعوانه ، وعمته (سرمة) يحرضون التيارين (الاثوريين) على القيام بتمرد ضد الدولة العراقية ، والمطالبة بمنحه (المار شمعون) سلطة زمنية وتشريعية . وكان المستشار الانكليزي في وزارة الداخلية والضباط الانكليز في القوة الجوية البريطانية يصرحون بأنهم نصحوا المتهوسين بأن يكفوا عـن الاستفزازات والمشاغبات ، وان يساعدوا الخبير الذي جاء الى العراق لمساعدتهم وتسهيل اسكانهم ضمن القوانين والانظمة العراقية • ولكنهم لم يذعنوا للنصائح بل تمادوا في غيهـم وعرقلة مساعي الخبير • وبناء علـى اقتراح المستشار الانكليزي فـي وزارة الداخلية ، والقائد العام للقوة الجوية البريطانية ، فقد جلب المار شمعون الى بغداد وأمر ان لا يغادرها قبل ان يوقع كتابا يتعهد فيـه بأن لا يأتي عملا من شأنه عرقلة مشروع الاسكان ، وان يكف عـن ادعائه بالسلطة الزمنية ، وان يكون مخلصا لجلالة الملك وحكومتـه العراقية • ولكن المار شمعون رفض التوقيع ، مدعيا ان السلطة الزمنية

هي من حقه الشرعي وانها سلطة لا يحق لاحد ان يسلبه اياهـــا الا شعبه (التيارى) كما رفض أن يقر باخلاصه للملك والحكومة الا اذا تأكد من ان مسألة الاسكان قد سويت بحسب مشيئته ، وانالحكومة العراقية تعترف بحرية شعبه في ممارسة التقاليد (التيارية) باجمعها •

جرى هذا كله على الرغم من ان الحكومة العراقية كانت قـــد خصصت له مرتبا مناسبا يعتاش منه ، ومنحته اراضي يستغلها وخولته السلطة الدينية كبقية الرؤساء الدينيين للطوائف الاخرى ، وبينما كانت تجرى المذاكرات معه (مـــار شمعون) في بغـداد استدعى الخبير الانكليزي في « دهوك » احد رؤساء التيارين المدعو (ياقوبـن ملك اسماعيل) (١) لاخذ رأيه في قضايا الاسكان فحضر ياقو الى مقـر الحكومة ومعه عشرون مسلحا فلم يقبله القائممقام ولا الخبير علـى هذه الصورة • فرجع وجمع مائتي مسلح من التيارين متحديا الحكومة ومهددا للأمن •فجهزت الحكومة قوة بعثت بها الى محل التجمع لالقاء القبض على ياقو واعوانه • فتوسط المفتش الاداري المستر ستافورد في أمره ، وتبرع بأن يذهب هو بنفسه ويأتي به من دون سفك دماء • وفعلا اتى به الى الموصل واحضره امام المتصرف الذي كلفه بأن يتعهد بالمحافظة على السكينة ، وعدم الاخلال بالامن ، فابى ذلك قائلا انه لم يحضر لهذه الغاية . وعليه قررت الحكومة انتتخذ الاجراءات القانونية ضد ناكري الجميل المتمردين ، الذين آوتهم وانعمت عليهم • ولما شعر هؤلاء بالخطر المحدق بهم طلبوا الهجرة الى الاراضي السورية •فذهب منهم ما يقارب من (١٥٠٠) مسلح . ولكن بعد بقائهم مدة وجيزة في

(١) ملك معناه الرئيس في عرف التيارين

تلك الاراضي طلبوا الرجوع الى العراق مظهرين ندمهم فوافقت الحكومة على ذلك على شرط ان يسلموا سلاحهم .

وفي هذه الاثناء كان الملك فيصل قد اضطر للعودة الى بغداد قبل انقضاء المدة المقررة لبقائه في الخارج (١) .

واراد الملك فيصل الذهاب الى «الموصل» للاشراف بنفسه على قمع الحركة التي كان يعتقد اعتقادا جازما بأنها مدبره من قبل السلطة الفرنسية في سورية ، ولكن الحكومة القائمةحالت دون ذهابه خشية اهتياج الرأي العام والعشائر المجاورة لمساكن الاثوريين واستفحال الامور استفحالا قد يؤدي الى ما يتنافى ومصلحة الدولة العراقية .

فعدل عن الذهاب ، وقام الجيش بعملية القمع ، وحرصت السلطة المحلية والاهالي وفي مقدمتهم قائمقام العمادية آنذاك ماجد مصطفى، وشيخ مشايخ شمر عجيل الياور الذين اسهموا في اخماد الفتنة وتضييق نطاقها . وعلى كل فقد تبدلت الاوضاع الان واصبحوا من المواطنين العراقيين لهم ما للعراقيين الاصليين من الحقوق والامتيازات ، وهم ينعمون في بحبوحة من العيش يغبطون عليها بالنسبة الى غيرهم .

---

(١) اود ان اسجل هنا ان الملك فيصل اظهر عدم ارتياحه لعودة المتمردين حينما اخبره وزير الداخلية حكمت سليمان بموافقة الحكومة على عودتهم .

وبدلا من ان يعودوا ويسلموا سلاحهم فقد ارتكبوا اعمالا وحشية دلت على ضعة في النفس ، وضحالة في التفكير ، وذلك بهجومهم الوحشي على فصيل من الجيش كان موجودا على مقربة من محل عبورهم من نهر دجلة .

رئاسة الوزارة الاولى

على اثر وفاة باني كيان العراق الحديث ومجدد نهضته ، الملك فيصل الاول في ليلة الثامن من شهر ايلول سنة ١٩٣٣ ، طلبت الوزارة القائمة حينذاك ــ وهي الوزارة الكيلانية ــ حل المجلس النيابي القائم، واجراء انتخابات نيابية جديدة • فرأى الملك غازي ان يجري بعض الاستشارات مع لفيف من رجال السياسة قبل البت في هذا الطلب • ونظرا للنصائح التي قدمت اليه من قبل بعض الرجال البارزين ، اقتنع جلالته بضرورة تأجيل النظر في أمر حل المجلس ، الى وقت آخر • وذلك تجنبا لما يحتمل وقوعه من امور قد تعكر صفو الامن والهدوء والسكينة ، وهي الامور التي كان العراق يحتاج اليها في تلك الفترة الدقيقة التي نشطت فيها الدعايات المغرضة خارج العراق على اثر قمع حركة الاثوريين المعلومة • وهي الحادثة التي وقعت قبل وفاة الملك بخمسة اسابيع فقط • ومع ذلك ، وعلى الرغم من الملاحظات والاسباب التي شرحها الملك لرجال الوزارة القائمة في هذا الشأن ، ولا سيما بعد ان تأكد لديه ان المجلس النيابي لم يظهر منه ما يدل على عدم تأييده للوزارة القائمة ، فقد أصر رئيس الوزراء على الاستقالة •

وعليه ، عهد الملك الى السيد جميل المدفعي بتأليف وزارة جديدة، فتألفت «الوزارة المدفعية الاولى »، وتلتها وزارته الثانية التي اضطرت الى الاستقالة تحت ضغط المعارضة الشديد ، واحداثها القلاقل والفتن في داخل البلاد بتحريك رؤساء العشائر وعقد المؤتمرات معهم ، وبث

روح التمرد فيهم ، واغرائهم بالمنافع الشخصية ، وحملهم على الاتصال بضباط الجيش ، ودعوتهم للاشتراك في المؤتمرات ، وذلك اسلوب لا تزال الاقطار العربية الحديثة العهد بالاستقلال تعاني نتائجه الخطرة ، فضلا عن زج طلاب الحقوق وغيرهم من التلاميذ البسطاء في أتون السياسة ، الامر الذي جعل الحكومات العراقية منذ ذلك الحين ،هدفا للانتفاضات المتوالية التي تهدد الاستقرار والطمأنينة التي هي في اشد الحاجة اليهما لكونها دولة فتية ناشئة .

استقالت الوزارة المدفعية في الوقت الذي كانت تسعى فيه بكل جد لاستكمال اسباب الرفاه والسعادة للبلاد بقدر ممكناتها ومواردها المعروفة المحدودة . وكلفت بتأليف الوزارة الجديدة والاضطلاع باعباء المسؤولية .

وعلى الرغم من ردائة الجو المفعم بالدعايات المغرضة ، والحملات القاسية التي كان يشنهابعض المغرضين ، وعلمي بالمشاكل التي سأتعرض اليها والتي علي أن اتحملها ، لم اشأ الا النزول عند رغبة الملك الشاب. فقبلت الاضطلاع بمهام المسؤولية متوكلا على الله القدير .

وهكذا تألفت وزارتي الاولى في ٢٧ آب سنة ١٩٣٤ .

على النحو الآتي . —

علي جودت — رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للداخلية بالوكالة.

نورى السعيد — وزيرا للخارجية .

يوسف غنيمة — وزيرا للمالية .

جميل المدفعي — وزيرا للدفاع .

جمال بابان ــ وزيرا للعدلية •

ارشد العمري ــ وزيرا للاقتصاد والمواصلات •

عبد الحسين الجلبي ــ وزيرا للمعارف .

وخلال المدة القصيرة التي زاولت الوزارة فيها اعمالها قامت ببعض مشاريع ، رأيت ان اذكر بعضها ليطلع القارىء عليها •

١ ــ وافق مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٦ ايلول ١٩٣٤ على مقاولة (مشروع سدة الكوت) الذي طال الاخذ والردحوله مدة طويلة فشرع فيتنفيذه حالا اي بعد عشرة ايام من تأليف الوزارة•

٢ ــ منحت الحكومة وزارة المعارف مخصصات اضافية لفتح (٨٢) اثنين وثمانون مدرسة اولية في العراق علاوة على ما خصص للمعارف في الميزانية العامة لسنة ١٩٣٤ المالية (١) •

٣ ــ قرر مجلس الوزراء في جلسته ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٤ الموافقة على القيام بمشروعي جدول الاسحاقي وجدول الحويجة وهما مشروعان لهما أهميتهما وفوائدهما القصوى التي تهدف الى خطة سليمة بعيدةالمدى والمبنى ،عميقة الغور ،لعمران تلك المناطق الحساسة، وتطوير الوضع السياسي والاجتماعي لسكانها • ولو ان الحكومات المتعاقبة استمرت على تطبيق الخطة التي رسمت لتلك المشاريع لكانت الفوائد جليلة جدا •

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية . الجزء الرابع « ص٣٠ » مع العلم ان الواردات العامة للدولة لم تتجاوز اربعة ملايين دينار في تلك السنة .

٤ ــ كانت بعض الشركات الانكليزية تستغل نفوذ السلطــة المسيطرة على الحكومة العراقية في زمن الانتداب لتستفيد ماليا مــن خزينة الدولة ، ومن مرتبات بعض الموظفين العراقيين • اذ كانت تربط الموظفين الماليين بكفالة نقدية قبل ان يباشروا مهام وظائفهم . وكــانت « شركة فاولر » الانكليزية تكفل مــوظفي الدولة لقاء اجــور مرهقة على انها (الشركة) ترجع الى الحكومة العراقية وخزينتها عنــدمــا تصطدم بعقبة اثناء تنفيذ كفالتها •

ولما كانت الحكومة هي الضامنة في النتيجة ، فقد رأت الوزارة ان تضمن هي الموظفين الذين كانوا يدفعون الاجور الى الشركة الاجنبية ، فوضعت « قانون صندوق ضمان الموظفين » لضمان اموال الدولــة من السرقة والتلاعب •

٥ ــ كانت العلاقات بين العائلتين الهاشمية والسعودية على غير ما يرام ، وكان بعض الشخصيات الشريرة التي تريد ان تنتفع من وراء تلك الخلافات ، تزيد هــذه العلاقات سوءا واضطرابا • وكنا وبعض المخلصين من رجال العراق نحترق اسى على تلك الحالة ، وتتمنى لــو امكنا ازالة رواسب النفرة من قلوب العائلتين ، ووضع حد لتلك الامور المضرة بمصلحة البلدين •

فانتهزت الفرصة عندما تقلدت المسؤولية فكتبت الى صديــقي السيد حافظ وهبه وزير المملكة السعودية في لندن ، رسالة شخصية اوضحت فيها رأيي وما انا عازم عليه من اقامة علاقة اخوية مع الحكومة السعودية وانهاء ما كان سائدا من علاقات التوتر بين العائلتين • ورجوته

ان يمهد السبيل لذلك • وفي الـوقت عينه شرعت وزارتـي في وضع لائحة معاهدة اخوة بين العـراق والمملكة السعودية علـى ان تنضم (اليمن) اليها في الوقت المناسب .

وبعد مدة قصيرة مر الشيخ حافظ وهبه ببغداد في طريقه الـى المملكة السعودية فاطلع على وجهة نظري المستندة الى حسن النية والخير للبلدين خاصة وللبلاد العربية عامة • فاستحسن الفكرة وذهب الـى الرياض مزودا بنسخة من اللائحة ، وعرضها علـى العاهل السعودي الملك عبد العزيز ، فوافق جلالته عليها مبدئيا ، وقد اخبرني السيد حافظ بذلك بالكتاب التالي •

الرياض
في ٢٨ شوال ١٣٥٣

عزيزي علي جودت بك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وبعـد فاني ارجـو للاخ الكريم الصحة والعافية والتوفيق في قضية العـراق مع ايـران • وان العرب ليشاطرون العراق في قضيتهم ويعتبرون قضية العراق مـن قضاياهم (١) •

اشكر الاخ على ما لقيته منه من رعاية اثناء اقامتي في بغداد وقد احببت ان يكون كتابي متضمنا الشكر والامل بالوصول الى اتفاقية صداقة واخوة وتحالف بين البلدين الشقيقين •

---

(١) كانت الخلافات قائمة بيننا وبين الجارة ايران حول الحدود في نواحي شط العرب

يسرني ان اخبركم ان جلالة الملك عبد العزيز قد وافق على الاسس التي تضمنها مشروعكم الذي استلمته منكم في بغداد . وقد ارسلت الى نوري باشا (٢) رأينا مفصلا ، ومنه سترون ان وجهة النظر متقابلة جدا ولم يبق الا الخطوة الباقية ، وهي ارسال بعثة من قبلكم للحجاز لاتمام المشروع كما اتفقنا عليه . ولعل مارس القادم يكون يوما مشهودا للعرب يوضع فيه الاساس للاتحاد . حقق الله الآمال .

هذا وتقبلوا فائق الاحترام .

المخلص
حافظ وهبه

وقد حد ثان استقالت وزارتي قبل ابرام المشروغ فتولت عملية الابرام « الوزارة الهاشمية الثانية » مما سرني وشرح صدري .

كما اوفدت وزارة حكمت سليمان التي تلت الوزارة الهاشمية الى اليمن وفدا برئاسة جميل المدفعي لتحقيق هذه الغاية في اليمن .

فكانت هذه الجهود بداية الجهود الرسمية لاقامة تحالف عربي بين الدول العربية المستقلة .

٦ ـ اسست الوزارة صناديق للتوفير في دوائر البريد بموجب قانون خاص يخول الدوائر المذكور في الالوية والاقضية قبول ودائع الناس في صناديق التوفير لقاء فائدة سنوية . وكانت الغاية من تشريع هذا القانون تعويد الشعب على التوفير والادخار .

٧ ـ كانت قد اثيرت قضية الحدود بين العراق وجارته ايران وهي

(٢) بصفته وزيرا للخارجية

قضية قديمة ومزمنة فاضطرت الحكومة لمراجعة عصبة الامم لحسم الخلاف مستندة في ذلك الى المعاهدة الدولية المعقودة بين الحكومتين العثمانية والايرانية ، تلك المعاهدة الصريحة التي تخول العراق حق السيطرة على « شط العرب » كاملا وعلى سواحله داخل الحدود العراقية . وبينما كان الوفد العراقي يسعى جاهدا لتثبيت حق بلاده في العصبة الامية ، كانت المؤامرات ضد الوزارة تحاك في بغداد ، ولاسيما في محلة الصليخ وفي بيت السيد رشيد عالي الكيلاني من غير ان يحسب الحساب لما قد ينجم عن ذلك من آثار مضرة بصالح العراق .

٨ ــ كانت الآثار القديمة في العراق ، او بالاحرى الثروة العلمية الدفينة في جوفه ، تنهب علنا على عهد الدولة العثمانية . فلما جاء الانتداب كان ضغثا على اباله . فقد وردت هيئات مختلفة للتنقيب عن الآثار القديمة المطمورة في مختلف انحاء العراق . وكانت تلك الاثار الفريدة تنهب في السر وفي العلن . اذ كانت السلطة المنتدبة قد وضعت نظاما خولت بموجبه المدير العام للاثار القديمة ان يعير اية قطعة من الآثار متى شاء والى من يشاء في خارج العراق .

كما ان السلطة المذكورة كانت قد اسندت المديرية العامة للاثار القديمة، الى اختصاصي اجنبي، كان همه الوحيد العمل على اخراج ما يمكن اخراجه من تلك الآثار القيمة الى خارج العراق ، حيث تنتفع منه المتاحف الاجنبية . وكان مع الاسف يخرج الكثير منها ولا تعود ثانية . والحكومة العراقية لا تعرف عن مصيرها شيئا، واذا اعيدت فقد لا تكون النسخة الاصلية .

وهكذا كان يبقى الاصل في خارج العراق ٠

ولاجل ان نحول دون تسرب هذه الآثار النفيسة الغالية الى الخارج رأينا من الضرورة ايداعها الى يد وطنية سليمة تغار على المحافظة عليها ، وعليه قرر مجلس الوزراء تعيين الاستاذ ساطع الحصري مديرا عاما للاثار القديمة بالاضافة الى وظيفته كرئيس كلية الحقوق ٠ فاستطعنا ان نقف امام تسربها الى الخارج بصورة رسمية ٠

★★★

وعلى اثر استقالة وزارتي رأيت ان اخلد الى الراحة والاستجمام فترة كافية فتنقلت مع عائلتي بين لبنان وفلسطين ، ثم الساحل البريطاني وبينما كنا هناك صدرت ارادة ملكية بتعييني وزيرا مفوضا للعراق في لندن ، حيث بقيت فترة وقع خلالها انقلاب بكر صدقي المعروف ، ثم ارتأت وزارة حكمت سليمان ان تنقلني من لندن وزيرا مفوضا في باريس ٠ وعلى اثر مصرع بكر صدقي وسقوط وزارة حكمت سليمان ، وتشكيل وزارة جميل المدفعي ، كنت قد ضقت بالغربة فعدت الى بغداد وهناك عرض علي صديقي المرحوم جميل المدفعي ان اشترك في وزارته او اتولى منصبا آخر اذا شئت ، غير انني رجوته اعفائي من الاضطلاع بأية مسؤولية ، معربا عن شكري له ، ورغبتي في الراحة ٠ وهكذا قدمت استقالتي من منصب وزير مفوض في باريس وبقيت معتكفا بعيدا عن اية مسؤولية رسمية حتى عام ١٩٣٩ ٠

وصاية الامير عبد الاله على عرش العراق

على اثر مقتل الملك غازي في حادثة اصطدام سيارته بعمود كهربائي ، عقد في البلاط الملكي اجتماع خاص للبحث في امر الوصاية على الملك الطفل « فيصل الثاني » • واذكر ممن كان قد حضر هذا الاجتماع : رئيسا مجلسي الاعيان والنواب ، ومن الوزراء نوري السعيد (رئيس الوزراء) ورستم حيدر ورئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني ومن رؤساء الوزراء السابقين جميل المدفعي وكاتب هذه السطور •

اقترح رئيس الوزراء نوري السعيد ان يكون الوصي احد افراد العائلة الهاشمية ، فعقبه رستم حيدر قائلا ان الملك كان قبل وفاته قد اوصى زوجته الملكة عالية بأن يكون الامير عبد الاله وصيا على فيصل في حالة اصابته بمكروه ما • فاعترضت على وصاية عبد الاله وبينت للحاضرين : انه ليس من الحكمة ، ولا من المصلحة ، ان يكون رجل بمثل هذا العمر وقلة التجربة ، ولا سيما في مثل تلك الظروف ــ وصيا على الملك مدة طويلة قد تقع خلالها ازمات واحداث خطيرة تستوجب معالجتها جمع زعماء البلاد ، وترؤسهم من قبله والتحدث اليهم فيما تقتضيه مصلحة البلاد • ولذا رجحت ان يعهد بهذه المهمة الخطيرة الى رجل ذي حنكة ومرونة ليتمكن من انقاذ الموقف في المدلهمات من الاحداث •

قال رستم حيدر : ان الملك عبد الله مشغول في شرق الاردن فلا

يمكن تكليفه بمنصب الوصاية • وان الامير زيدا متزوج بامرأة تركية فلا يستحسن ان يمارس واجبا تالوصاية • وتكلم آخرون فأظهروا تأييدهم لوصاية عبد الاله • فشعرت بدوري بان الذوات المحترمين ميالون جميعهم الى اسناد منصب الوصاية الى الامير عبد الاله ، فيما عدا جميل المدفعي ، الذي كان ميالا الى تولية الامير زيد ، ولكنه كان متحفظا في تصريحاته ضد ترشيح عبد الاله • ومن الصدف الغريبة ان يكون اكثر المتحمسين لوصاية عبد الاله ، المرحوم طه الهاشمي ، والاستاذ رشيد عالي الكيلاني فنالا منه ما نالاه بعد صيرورته وصيا على النحو الذي يتذكره الجميع • ولما تحققت من اجماع الكثرة على هذا الرأي اقترحت ان تتألف هيئة استشارة برئاسة الوصي عبد الاله لتساعده عند الضرورة • فقال رستم حيدر : ان الاقتراح وجيه • ولكن يجب ان نقرر قضية الوصاية اولا ثم تعالج الحكومة قضية اعضاء الهيئة الاستشارية ، وانتهت الجلسة •

واني اذكر في هذه المناسبة ان توفيق السويدي كان خارج العراق وقد اخبرني اخيرا بانه ابرق الى رئيس الوزراء نوري السعيد محبذا تعيين هيئة وصاية بدلا من تعيين وصي • وانه بعد وصوله الى بغداد علم من السيد محمد الصدر بان طه الهاشمي كان قد اسر اليه بان الجيش سوف يثور اذا لم يعين الامير عبد الاله وصيا •

وزيرا للخارجية في وزارة نوري السعيد الرابعة

لم اتحمل اعباء اية مسؤولية في الدولة بعد استقالتي من منصب وزير مفوض في باريس بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٣٩ ولكن بعد ان الف نوري السعيد وزارته الرابعة في ٦ نيسان ١٩٣٩ التي احتفظ فيها بوكالة وزير الخارجية ، كلفني بان اشاركه المسؤولية كوزير للخارجية وذلك في ٢٥ نيسان سنة ١٩٣٩ واستصدر الارادة الملكية اللازمة بذلك .

الوفد العراقي الى المملكة السعودية

كانت بعض الخلافات بين الحكومتين العراقية والسعودية حول الحدود ، والمنهوبات ، وقضايا اخرى قد اشتدت وازمنت وكان ضروريا حسمها . وكان ابرزها القضايا الثلاث الاتية : ــ

الاولى ــ الخلاف على موقع نقطة (المكور) المشار اليها على الخارطة في بروتوكول العجير .

الثانية ــ استرداد المنهوبات التي تدعي العشائر السعودية ان القبائل العراقية كانت قد نهبتها .

الثالثة ــ تسوية واردات الاوقاف النبوية .

وكذلك كانت هناك رغبة ملحة في عقد اتفاقية عسكرية بين العراق والمملكة السعودية .

فقرر مجلس الوزراء ايفاد وفد برئاستي الى « الرياض » لمفاوضة السلطات السعودية حول هذه القضايا . وقد تألف الوفد مني ومن

جميل السلام من وزارة الخارجية ، والمرحوم صلاح الدين الصباغ من وزارة الدفاع وقد رأيت ان استصحب عضو مجلس الاعيان السيد حامد النقيب بصورة غير رسمية لخبرته بتلك المنطقة ، ولما له من وجاهة في المملكة السعودية ولا سيما لدى عاهلها الملك عبد العزيز السعود .

ذهبنا مع الوفد يوم ٢٥ حزيران ١٩٣٩ الى البصرة ثم سافرنا الى الكويت حيث نزلنا ضيوفا على اميرها النبيل المرحوم الشيخ احمد الجابر الصباح ، الذي كانت تربطني به صلات حسنة منذ كنت متصرفا للواء البصرة . ثم وصلت قافلة السيارات آتية من الرياض لتقلنا عبر الصحراء ، فودعنا سموه شاكرين له ضيافته . وواصلنا السفر حتى وصلنا الى « الرياض » وقابلنا الملك عبد العزيز . فلقينا منه ترحيبا حارا .

وكان جلالته يظهر حبه وغيرته على العراق ، ويكرر قوله بان العراق هو السد المنيع للملكة السعودية ، وان من (يتغدى) بالعراق لا سمح الله (سيتعشى) بالمملكة السعودية . ولهذا فأنه يرجو للعراق كل خير وكل قوة وكل رفاه .

هذا ما كان يذكره ويكرره من وقت لاخر . وكان الوفد المفاوض من قبل الحكومة السعودية يتألف من وزير الخارجية فؤاد حمزة ، ومن يوسف الياسين .

كانت المبالغ التي تطالب الحكومة السعودية العراق بها لتأديتها الى اصحاب المنهوبات من البدو السعوديين طفيفة بحيث لا تتجاوز الاربعة الاف دينار ، على ما اتذكر ، ولذلك قلت للملك انني استغرب من جلالته ان يطلب من جاره العراق ، الذي يكن له المحبة والتقدير ،

مثل هذا المبلغ الطفيف على حين يجود جلالته بمبالغ اكثر من هذا بكثير على ضيف ينزل عليه ، او زائر يزوره • فقال لي جلالته • يا ولدي ، انكم لا تعرفون البدو ولستم ملمين بعاداتهم • انهم لايعتبرون حقهم مستردا ما لم يستردوه فعلا • انني مهما اعطيتهم من مال لدي ، يظلون يلحون علي بالمطالبة به من وقت لاخر مكررين القول : يا عبد العزيز (نريد حقنا)وعليك ان تأخذه من العراق والا فاننا نأخذه بأنفسنا • وانا (عبد العزيز) لا اريدهم ان يعكروا صفو العلاقات بيننا •

وبعد ان سمعت هذه الحجة الوجيهة ، وافقت على تأدية المبلغ المذكور بغية تسليمه الى المنهوبة اموالهم وذلك للقضاء على الغزوات التي كانت تشغل الحكومات المعنية من جراء الاخذ بالثأر • والمبلغ لا يستحق ان يكون سببا لافساد العلاقات بين الجارتين الشقيقتين •

اما نقطة « المكور » والخلافات التي كانت تقوم حولها فكانت بسيطة للغاية • وقد ذكرت في البروتوكول عند تخطيط الحدود بين العراق والمملكة العربية السعودية ، بين الملك عبدالعزيز آل سعود والملك فيصل الاول ، وبحضور المعتمد السامي البريطاني منذ عام ١٩٢٢ وكانت هذه النقطة مشارا اليها في خارطة ، ومقياسها معروف •

اردنا ان نفهم من الجهة السعودية وجهة نظرها حول موقع نقطة « المكور » فادعى يوسف الياسين عدم وجود نقطة اسمها « المكور » وانما هناك واد اسمه «المكور » فبينا له ان تحديد الحدود كان قد اتفق عليه سابقا • وانه قد اشير الى هذه النقطة في تحديد الحدود ، على

الخارطة المعلومة والمثبتة اشكالها ومقاييسها في بروتوكول العجير • فاذا كان هناك خلاف على موضع النقطة فيجب تثبيت ذلك على الارض نفسها حتى يزول الخلاف ، وقلت للوفد السعودي : « عندما تم تحديد الحدود في عام ١٩٢٢ لم يذهب الملك فيصل لرؤيتها ، ولا كان الملك عبد العزيز السعود او احد من ممثليه حاضرا • وقد وافق الطرفان عليها طبقا لما اشار اليه البروتوكول في الخريطة المذكورة اوصافها • »

وبعد المناقشات الطويلة والالحاح الشديد عليهم بوجوب تطبيق الخارطة على الارض من قبل خبراء يرضى عنهم الطرفان ، وافق وزير الخارجية السعودي على ذلك ، وحرر المحضر ثم قدمه الي فوافقت عليه بدوري • ولما هممت بتوقيعه بالحروف الاولى رجع يوسف الياسين عن الموافقة وامتنع عن التوقيع على عادته — رحمه الله — فقد كان على الدوام يتظاهر بانه المدافع عن حقوق السعوديين ، والمتهالك في محبتهم ، والمخلص الوحيد لهم ، وكنت اشعر بانه كان يسعى دوما لتوسيع شقة الخلاف بين العراق والمملكة السعودية على الرغم مما كان يبذله بعض العراقيين من جهود صادقة لازالة ما تبقى من ضغائن في قلوب العائلتين الهاشمية والسعودية والتقريب بينهما

وقد يظن ، ان كل كلمة يسوقها ضد العراق انما هي ضد البيت الهاشمي خصم السعوديين ، ليقربه ذلك منهم •

وعلى اثر مخالفته هذه اردت قطع المفاوضة والعودة الى العراق من دون ان نبت في الامر ، ولكن وزير الخارجية الحصيف فؤاد حمزة اخذ على عاتقه تسوية الامر ، وذهب الى الملك عبد العزيز وعرض عليه وجاهة التسوية فوافق عليها وانتهت المشكلة •

محضـــــر

الرياض في ١٨ جمادى الاولى ١٣٥٨
الموافق في ٦ يــوليــو ١٩٣٩

في اثناء الزيارة التي قام بها الوفد العراقي الــذي يرأسه حضرة صاحب الفخامة علي جودت بك وزير الخارجية العراقية الى الرياض ما بين ١١ و١٨ جمادى الاولى ١٣٥٨ (٢٩ يونيو و١ يوليو ١٩٣٩) دار بين الفريقين ابحاث عديدة حول المواضيع التي تهم العراق ــ المملكــــة العربية السعودية والتي من شأنها ان تزيد روابط القطرين الشقيقين متانة وتوثيقا وتبودلت وجهات النظر والآراء في صراحة واخلاص كاملين وتبين لكل من الفريقين ان نياتهما وسياستهما وخططهما مستمدة مــن روح الاخاء المتبادل الذي يتجلى في تأكيد كل منهما تمسكه بنصوص وروح المعاهدات القائمة المنظمة لعلائقتهما المتبادلة ورغبتهما الوطيدة في التمسك بنصوص معاهدة الاخوة العربية والتحالف والسير على الاتجاه الذي رمت اليه فيما يخص السياسة العامة ومن حيث التفاصيل المتعلقة بالامور والقضايا المعلقة تبين لهما ما يأتي : ــ

١ ــ رغبة كل منهما في الـتقيد بنصوص المعاهدات المعقودة بينهما والسير في سياستهما العربية على خطة واحدة سداها ولحمتها خدمــة قضايا البلاد العربية بصرف النظر عن اية منفعة او مغنم في ذلك الباب ولذلك فانهما قبل الشروع في اية سياسة او خطــة تهم البلاد العــربية يتشاوران معا ويتفقان على المنهج الذي يسار عليه •

٢ ــ ابدى الوفد العراقي انه يبذل جهوده للوصول الى ابــرام الاتفاقيتين المتعلقتين بادارة المنطقة المحايدة وشؤون الرعي وكــذلك المعاهدة المتعلقة بتابعية العشائر ومــن المتفق عليه ضرورة تبادل وثائق ابرام تلك العهود وانفاذهما من جانب الحكومتين باسرع وقت ممكن •

٣ ــ فيما يتعلق في مسح خط الحدود وتعيين النقاط التي يمــر منها فقد تم الاتفاق على مواصلة المسح طبقا للاساسات الاتية : ــ

١ ــ تحتفظ كل من الحكومتين بحقها فيما يتعلق بتعيين نقطــة المقور التي يمر خط الحــدود منها بحسب مــا تفهمه مــــن نصوص بروتوكول العقير •

٢ ــ تعتبر الخارطة ١٠٠٠٠٠ / ١ رقم ٣٧ المطبوعة فــي وزارة الحربية البريطانية سنة ١٩١٨ الخارطة المتفق عليها لحل قضيــة المقور التي جرت بشأنها المراسلات بين المملكتين وذلك بان تعتبــر نقطة الشروع في مواصلة اعمال المسح جديدة عــرعــر بعد ان يثبت موقعها الفعلي على الارض بالقياسات الفلكيــة والمساحة المضبوطــة ويجري تثبيت نقطة المقور الموجودة على الخريطة المــذكــورة بنفس الاتجاه والنسبة •

٤ ــ اما فيما يتعلق بمسألة المنهوبات المدعى بها من قبل رعايا كل من الحكومتين فان المطلوب اتباع طريقة تشمل امرين الاول تصفيــة المطاليب السابقة والثاني حل ما قد يحدث منها في المستقبل •

(ب) ففيما يختص الامر الاول تحال القضايا التي اودعتهــا

المملكة العربية السعودية في كشفها الذي قدمته مفوضيتها في بغداد الى وزارة الخارجية العراقية الى موظف عراقي او هيئة عراقية للتحقيق والبت فيما يمكن التحقيق عنه والبت فيه من تلك القضايا وكذلك الامر في مطاليب الجهة العراقية فانها تحال الى موظف من المملكة العربية السعودية او هيئة للتحقيق عنها والبت فيها •

اما ما يتعسر التحقيق عنه والبت فيه من تلك القضايا والمطاليب فانه يحال الى الهيئة المذكورة في الفقرة (ج) ادناه •

من المعترف به ان الطريقة المذكورة تتبع في جميع القضايا التي تحدث في المستقبل حال وقوعها •

(ج) من المفهوم ان تطبيق نصوص معاهدة الصداقة وحسن الجوار بحزم واخلاص مما يؤدي الى الغاية المنشودة • لذلك يعلن الفريقان عن عزمهما على تعيين الموظفين المشار اليهم في المادة التاسعة من المعاهدة المذكورة لتنظر فورا في القضايا والمطاليب التي يتعسر التحقيق عنها حسبما ذكر في الفقرة (ب) اعلاه وتقوم الحكومتان بتنفيذ مقرراتها بدون تأخير •

٥ ــ بما ان الاتفاقية الخاصة بادارة المنطقة المحايدة التي ما زالت قيد الابرام في الوقت الحاضر لم تنص الترتيبات الخاصة بمطاردة المهربين فانه من المتفق عليه تنفيذ الاقتراح الوارد في الكتاب الملحق والخاص بذلك الموضوع •

٦ ــ قد تم الاتفاق على الشروع في تطبيق الاقتراح الخاص كما

جاءت به المراسلات الجارية بين المملكتين وذلك بجعل اجور البرقيات الرسمية بين البلدين بمعدل عشرة فلوس عراقية للكلمة الواحدة او ما يعادلها من السنتيمات الذهبية على ان يجري الحساب على البرقيات التي يجري تبادلها بين المفوضيتين وحكومتهما بصورة التقاص في فترات يتفق عليها والرصيد المدين يسدد بمعدل عشرة فلوس للكلمة الواحدة .

٧ ــ سيدرس الفريقان بروح المودة والصداقة مشروع بروتوكول التحكيم المنصوص عليه بالمادة الثانية من معاهدة الاخوة والتحالف ويبديان رأيهما فيه فيما بعد على انهما يريان ان الوفاق السائد بينهما ولله الحمد قد لا يكون معه مجال للرجوع الى بروتوكول .

٨ ــ ستدرس الحكومة العراقية بعين العطف والاخوة قضية اوقاف الحرمين في العراق وستعمل ما في وسعها لتأمين شروط الواقفين وتخصيص الفضلات لاعمال البر التي تعود فائدتها على الحرمين الشريفين واهله .

٩ ــ لا تمانع الحكومة العراقية مبدئيا في قبول اقتراح وزارة المالية للملكة العربية السعودية بتقاضي العوائد والرسوم والاجور المتوجبة على الحجاج الذين يحضرون بطريق البر بواسطة بنك معتمد في العراق قبل سفرهم منه . مع العلم ان سعر الجنيه الذهب الانكليزي بالنسبة للدينار العراقي يسدد وقت استيفائه حسب سعر لندن .

١٠ ــ من المتفق عليه جمع كل المعاهدات والاتفاقيات المرعية (عدا معاهدة الاخوة العربية والتحالف) في معاهدتين احداهما معاهدة

الصداقة وحسن الجوار والثانية معاهدة حدود باسرع وقت ممكن بعد انتهاء تحديد الحدود والبت في تابعية العشائر .

١١ ــ وفيما يخص الاتفاقية المتعلقة بالشؤون الاقتصادية والتجارية فالمتفق عليه ان تقوم المقامات المختصة في المملكة العربية السعودية بدرس الاسس التي قدمتها المقامات العراقية واعطاء رأيها عنها تمهيدا لعقد الاتفاقية المطلوبة .

١٢ ــ اما اتفاقية الاقامة وجوازات السفر والمرور فانه وان كان المتفق عليه دمج احكامها في معاهدة الصداقة وحسن الجوار الجديدة والاتفاقية المتعلقة بالشؤون الاقتصادية الا انه يرغب في ابرامها في الوقت الحاضر ان امكن ذلك ومن ثم دمج احكامها عند وضع المعاهدة والاتفاقية الآنف ذكرهما .

١٣ ــ اما فيما يخص قضية التابعية السعودية فستدرسها المقامات العراقية بعين العطف وتنظر في ايجاد حل لها . (انتهى)

وقد انتهزنا الفرصة وقدمنا مسودة اتفاق عسكري فوافقوا عليه ايضا .

انتهت المفاوضة ورجع الوفد العراقي الى بغداد عن طريق الكويت

وفي اثناء عبورنا الدهناء (١) بالسيارات كانت العجلات تنفجر وتتعطل من شدة الحر (٢) . وفيما نحن نجد في السير ، صادفنا

---

(١) تلال من الرمال

(٢) خلال شهر تموز

شابان بدويان مع قطيع من الجمال فحييناهما وسألناهما عن المـوقع الذي ننشده ، فاشارا اليه قائلين انه قريب جدا ولا يبعد كثيرا • وطلبا الينا ان نسقيهما ماء فأوعزت الى سائق السيارة ان يقدم اليهما الماء • ولما شرب الاثنان واكتفيا سألتهما : الا يوجد لـديكما ماء ؟ قالا : لا والله، والماء بعيد عنا مسافة يوم واحد • قلت اذن ما الذي تشربون انتم وابلكم ؟ قالا الابل لا تحتاج الى الماء الا مرة كل ثلاثة او اربعـة ايام • اما نحن فنشرب (حليب البل) اي حليب الابل • فسألهم السيد حامد النقيب عن (زهابهما) اي ماذا يأكلون فقالا (اهو) اي هـو الحليب اكلنا •

فعلمنا ان اكلهم وشربهم هو الحليب فقط •

وبعد وصولي الى بغداد ارسلت كتابا الى العاهل السعودي الملك عبد العزيز شكرته فيه على الحفاوة البالغة والالطاف السامية التـي شملني بها مدة اقامتي في الرياض فاستلمت من جلالته الكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض في ١٠ جمادي الثانية سنة ١٣٥٨

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

الى حضرة صاحب الفخامة السيد علي جودت الايوبي حفظه الله تعالــى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد كان لما ابديتموه فخامتكم من العواطف الطيبة والشعور الجميل في كتابكم المؤرخ في ٢٣ جمادى الاولى ١٣٥٨ احسن الاثر لدينا وقد كان من دواعي سرورنا ان نلتقي بكم وتتعرف على ما جبلتم عليه من الاخلاص والوطنية ونحن على ثقة بأن بلادا فيها امثال فخامتكم تكون مطمئنة على مستقبلها وانا لعلى يقين بان فخامتكم خير رسول لادامة الصلات الوثيقة التي تربط القطرين الشقيقين ، اما من جهتنا نحن فنحب ان تثقوا من حقيقة مـــا اظهرناه لكم واننا ملتزمون بجميع ما اتفقنا عليه وحريصون على انفاذ ذلك بكل اخلاص وصداقة ونرجو ان يوفقنا الله واياكم الى ما فيــه مصلحة العرب عامة والقطرين الشقيقين خاصة ، واقبلوا تحياتنا .

اعـلان الحـرب العالمية الثانية

على اثر اعلان بريطانيا الحرب على المانيا في الثالث من شهر ايلول سنة ١٩٣٩ ، زارني السفير البريطاني السير بازل نيوتن بصفتي وزيرا للخارجية ، وسألني عن رأيي في موقف العراق بالنسبة الى المانيا التـي اصبحت في حالة حرب ضد بريطانيا ، وبحسب نصوص المعاهدة العراقية ـ الانكليزية التي تحدد العلاقات الحقوقية بين العراق وانكلترا ؟ وقد نبه في هذه المقابلة الى ضرورة قطع العلاقات بين العراق والمانيا حالا ، ذلك لان وجود المفوضية الالمانية وجاليتها في العراق واحتمال اطلاعها على ما قد يمر عبر العراق من القوات العسكرية مما يؤثر تأثيرا خطيرا في المجهود الحربي البريطاني ويسبب له اضرارا بالغة . ورجاني اتخاذ قرار عاجل في هذا الصدد . فأجبته انني سوف اعرض الامر على رئيس الوزراء واخبره بالنتيجة على كل حال .

اما انني وافقته على اعلان الحرب ضد المانيا كما زعم السيد رشيد عالي الكيلاني في كتاب « الاسرار الخفية » للسيد عبد الرزاق الحسني فهو محض اختلاق ، والسفير البريطاني لا اخاله يدعي ذلك .

وعلى كل فقد عرض الامر على مجلس الوزراء الذي عقد جلسة خاصة في البلاط الملكي برئاسة الوصي على العرش الامير عبد الالـــه وقرر قطع العلاقة مع الحكومة الالمانية ، وكان هذا الموقف مما تحتمـه الظروف طبعا .

وبعد قطع العلاقات مع المانيا ، حاول وزير المانيا المفوض الدكتور غروبا ان يسافر واعضاء المفوضية الى بلادهم عن طريق ايران او المملكة السعودية فلم نوافقهم على ذلك لاحتمال قيامهم بنشاط سياسي يرمي الى تهييج الرأي العام العراقي واحداث قلاقل في داخل العراق ، وخشية ان يصيبهم اذى في اثناء مرورهم بتلك البلاد التي لم تكن طرقها مأمونة في تلك الظروف • وعلى كل فاني طلبت الى الوزير الفرنسي المفوض المسيو (ليكويه) (١) ان يتعهد رسميا وان يقسم لي بشرفه على تأمين سفر هذه الجالية عن طريق سوريا ولبنان ، وكانتا محتلتين من قبل الفرنسيين آنذاك • فاستمهلني ريثما يتصل بالمراجع المختصة ، ويأخذ بدوره عهدا من السلطة الفرنسية في البلاد التي تسيطر عليها والتي سيمر بها الوزير الالماني وحاشيته لكي لا يصيبهم اذى • وفي اليوم التالي زارني الوزير وابلغني تعهد حكومته بذلك • فجرى تسفيرهم بكل احترام الى الحدود السورية على ان يبحروا بأمان من بيروت الى بلادهم • وقد وصلوا جميعهم اليها بسلام •

---

(١) « ليكويه » كان من انبل الرجال الافرنسيين الذين عرفتهم .

القوانين التي تستلزمها حالة الحرب

بدأت السفارة الانكليزية في العراق تلح على الدوائر العراقية بوجوب سن القوانين واصدار التشريعات والتعليمات لمصلحة المجهود الحربي البريطاني عند اللزوم ، فكانت الوزارة تدرس الطلبات البريطانية وتبت فيها في ضوء المصلحة العامة • وفي هذه المناسبة اشير الى ان المستشار البريطاني لوزارة الخارجية العراقية « المستر ماك دوكل » اصطدم ذات يوم بالسيدين جميل السلام وعبد القادر صالح الموظفين القديرين اللذين كنت اعتمد كثيرا على كفايتهما واخلاصهما للمصلحة العراقية العامة • وقد نصحت المستشار المذكور بضرورة الاخذ بوجهة نظر الموظفين العراقيين المذكورين، لكنه لم يحفل بنصيحتي فأصدرت امرا اداريا بانهاء خدماته فورا وصرف ما يستحق من المرتبات والمخصصات ، واعلمت الدوائر المختصة بذلك بما فيها رئاسة الوزراء والسفارة البريطانية • فكانت مفاجأة لهما •وحاول السفير البريطاني ان يبقي المستشار في مقره خلال الاشهر الثلاثة التي هي (مدة الانذار) ليمارس اشغاله كالعادة ، ثم يسافر بحسب الاصول فلم نقره على ذلك ، اذ كانت قد مرت علينا تجارب كثيرة علمتنا ان الانكليز اذا لم يتمكنوا من انجاز عمل ما في وقت معين فهم يسعون الى تأجيل البت فيه الى وقت يكون اكثر ملائمة لانجازه •

قدوم المفتي الحسيني الى العراق

كان مفتي فلسطين الاكبر الحاج محمد امين الحسيني قد وصل الى بغداد في ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٣٩ دون سابق اخبار رسمي للحكومة العراقية (١) فرحبنا به وبمن معه اجمل ترحيب ، وانزلناه ورفقائه ضيوفا على الحكومة العراقية .

وعلى اثر وصوله الى بغداد زارني السفير البريطاني واخبرني بان السيد المفتي الحسيني قد وصل الى بغداد ، وان نشاطه السياسي ضد الحكومة البريطانية معروف ، وقد يكون مجيئه هذا خطرا على العلاقات بين الحكومتين . فأجبته بأن الحكومة العراقية تعتبر المفتي الحسيني لاجئا سياسيا ولا يمكنها ان تتخذ اية تدابير ضده ، وسيعامل بوقار واحترام كما تقضي بذلك التقاليد العربية ، وتفاديا لما قد يحدثه تقييد حريته من التأثير في الرأي العام العراقي . فقال لي اذا كان الامر كذلك فعلى الاقل ارجو ان تتأكدوا من انه لن يقوم بنشاط يضر بعلاقاتنا .

ولم اشأ ان اخدش شعور المفتي الحسيني واخوانه ، وهم ضيوف عندنا ، ولم اخبرهم بما دار بيني وبين السفير ، وانما رجوت من المفتي بكل لباقة ان يكون معتدلا في تصرفاته ، وان يأخذ بنظر الاعتبار علاقاتنا

(١) قبل مجيء المفتي الى العراق راجعني الاستاذ اكرم زعيتر ونقل الي نبأ مضايقة السلطة الفرنسية للفلسطينيين الذين التجأوا الى لبنان ولذلك يود هؤلاء اللجوء الى العراق . فشجعته على هذه الفكرة واظهرت الترحيب بهم سلفا .

السياسية والوضع الخاص مع بريطانيا وهذا يتطلب اجتناب احـــداث مشكلات للحكومة العراقية في تلك الظروف •

ولعلاقتي الشخصية بالمفتي والذوات المحترمين الذين رافقوه كانت الحكومة العراقية وعلى رأسها نوري السعيد تقدم اليه بواسطتي مبالغ متواضعة لسد النفقات الضرورية لهم • ومع هذا فان الرجل على الرغم من المامه بظروف العراق الخاصة ، وعلى الرغم من الخدمات التي اسدتها الحكومة العراقية اليه ، فانه سعى سعيا حثيثا لجمع الكثيرين من البسطاء حوله ، ثم ما لبث ان اتصل ببعض الضباط الوطنيين المتحمسين فجذبهم الى جانبه ، وزجهم في اتون السياسة وهم لا يقدرون نتائجها • وعلى الرغم من البيانات المعقولة الرصينة التي كانت قد اذيعت من الاذاعـة العراقية من قبل رئيس الوزراء ، نوري السعيد ، ومن قبل وزيـــر الدفاع طه الهاشمي في اوائل ايام اعلان الحرب العالمية الثانية ، فقـد تمكن المفتي ومن معه من السير في سياسة متطرفة دفعت بالعراق الى ما لم تكن له قدرة على الخروج منه بسلام •

Hamad Khalifa

مقتل وزير المالية رستم حيدر

رستم حيدر ، سليل اسرة محترمة من اسر بعلبك الكريمة بسورية ، وقد اشتهرت اسرته هذه بوطنيتها ونضالها ضد الاتراك وضد الفرنسيين في اثناء الحرب العامة وما بعدها • اتم دراسته في تركيا وفرنسا ، وتثقف ثقافة عالية ، والتحق بالثورة العـربية الكبـرى في الحجاز ، ثـم عين سكرتيرا خاصا وكاتما لاسرارا الامير فيصل الاول عندما نودي به ملكا على سورية • وكان يرافق فيصلا في اثناء رحلاته الى اوروبا لحضـور مؤتمر الصلح مع رفيقه في الجهاد ، السيد عوني عبد الهادي فكان هو وزميله اصدق عونين •

كان رستم وفيا للملك فيصل ، مخلصا لمبادئه ، ولهذا فقد اصطحبه معه حين ذهب الى العرا قمرشحا نفسه للعرش العراقي ، فكان سكرتيره الخاص • ثم اسند اليه رئاسة الديوان الملكي • وقد بقي مـدة طويلة يزاول مهامها بكل نشاط • وقد ساهم في بناء الكيان العراقي مـع اخوانه العراقيين الذين آزروا الملك فيصلا وتحملوا مرارة الصبر فـي الايام العصيبة ، ولا سيما ايام الانتداب ــ حيث كانوا محرومين خلالها من كل قوة عدا الايمان بحقهم الطبيعي في الاستقلال • كذلك تقلـد رستم مناصب وزارية عدة مرات كان فيها مثالا للنزاهة والاخلاص • ومع الاسف المرير فقد اغتالته يد اثيمة طائشة في مكتبه الرسمي يـوم ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ بينما كان قائما بواجباته الرسمية ، فخسر العـراق بموته شخصية فذة رحمه الله •

على اثر مقتل وزير المالية رستم حيدر في ديوان عمله بوزارة المالية يوم ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٠ استقالت الوزارة السعيدية الرابعة في ١٨ شباط من تلك السنة ، والف نوري السعيد وزارته الخامسة ولم اكن من اعضائها كما انها لم تعمر طويلا اذ أعقبتها وزارة جديدة ترأسها رشيد عالي الكيلاني (الثالثة) ، بعد مرور ستة اسابيع فقط على تأليف الوزارة السعيدية الخامسة .

ويجدر بنا بهذه المناسبة وبالنظر للظروف العالمية الخطيرة آنذاك ، ان نذكر الوثيقة التاريخية التي وقعها رؤساء الوزارات السابقين بمحض ارادتهم ، وعن حسن نية للتضافر على مساعدة الحكومة التي تأخذ على عاتقها مسؤولية الحكم لمعالجة الامور وتمشيتها طبقا لما تقتضيه مصلحة البلاد وهذا نصها :

نظرا لرغبتنا الاكيدة في جمع الكلمة وتصافي القلوب وازالة الضغائن في هذه الظروف العالمية الخطيرة ، وما تتطلبه مصلحة البلاد من التفرغ لمعالجة الامور وتمشيتها بصورة اعتيادية ودستورية فقد اتفقت آراؤنا على ما يلي . :

(١) تؤلف وزارة قومية مؤتلفة يختار رئيسها صاحب السمو الوصي حسب التقاليد الدستورية والاستشارات المعتادة .

(٢) رؤساء الوزراء السابقون ورجال الدولة الموقعون ، يتعاونون مع الوزارة المؤلفة في داخلها او خارجها ، ومن يتعذر عليه الاشتراك فيها بسبب مقبول لدى سموه فانه يؤيدها لتحقيق الغايات المذكورة اعلاه ويتجنب مناوأتها .

(٣) توقع هذه الاتفاقية وترفع الى صاحب السمو المعظم .
بغداد ٢٤ اذار ١٩٤٠

علي جودت	جميل المدفعي	توفيق السويدي
ناجي شوكت	نوري السعيد	ناجي السويدي
	رشيد عالي الكيلاني	

★ ★ ★

اخذت الحرب في اوروبا تتطور بسرعة فائقة . وراحت المانيا الهتلرية تغزو البلاد التي تقاومها ومنها فرنسا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وغيرها ، فكانت تستولي عليها بضربات خاطفة قاسية . كما انها كبدت الاسطول البريطاني خسائر جسيمة ، ودمرت كثيرا من البلاد الانكليزية بغاراتها الجوية الماحقة ، الامر الذي شجع البسطاء من السياسيين في العراق وفي غير العراق على ان ينحازوا الى المانيا ويعقدوا امالا عليها من دون ان يحسبوا حسابا لما قد يكون من ردود الفعل فيما اذا انعكست النتائج .

وفي صيف سنة ١٩٤٠ غادرت العراق الى سوريا وفلسطين للمعالجة ، ولاجراء عملية بسيطة كنت في حاجة اليها ، ولقضاء فصل الصيف للاستجمام . وفيما انا خارج العراق كانت بعض الاخبار عن التطورات المقلقة في السياسة العراقية تصل الى سمعي فتقض مضجعي ، اذ كنت اخشى ان يتورط العراق وهو غير مستعد ولا مهيأ لمجابهة الاحداث الجسام في امور قد لا يكون من المصلحة الدخول فيها والانجراف في تيارها او الخوض في غمارها وقد لا يتسنى له الخروج

منها بسهولة وسلام .

وفيما كنت ذات يوم في بيروت ازور القنصلية العراقية دق جرس التلفون واذا بوزير الخارجية العراقية نوري السعيد يكلم القنصل العراقي في لبنان « تحسين قدري » ويطلب اليه ان يقابله في « حلب » عندما يمر بها مع وزير العدلية ناجي شوكت في طريقهما الى انقره . فسررت لهذا الخبر ، وانتهزت هذه الفرصة للاطلاع على حقيقة الحال ، وعلى ما يجري في بغداد للتأكد مما اذا كانت الاخبار التي كنت اسمعها، صحيحة او مبالغا فيها ؟ لذا سافرت مع تحسين قدري الى حلب لاستكشاف الحقائق التي كنت حريصا على معرفتها . ونظرا لضيق الوقت ، ولحرصي الشديد على استكناه الحقائق ، قررت السفر الى انقره مع نوري وناجي ليتسنى لي خلال هذه السفرة الحصول على معلومات كثيرة قد تنور افكاري وتزيل قلقي . كما انني فكرت في امكان الاتصال ببعض الشخصيات التركية التي كان لي سابق معرفة بها وصداقة معها امثال وزير العدلية فتحي بك الذي كان سفير للحكومة التركية في لندن حينما كنت وزيرا مفوضا لبلادي فيها . وفي اثناء انشغال الوفد الرسمي ومذاكراته مع المسؤولين في انقره ، تمكنت من الوقوف على آراء زعماء الاتراك وتخوفهم من الانزلاق في حرب طاحنة لا يعرف نتائجها الا الله . وقد كنت اراهم ــ وفيهم رجال حنكتهم التجارب وذاقوا مرارة الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية من غير استعداد لها ، وما آلت اليه من كوارث ــ متحفظين للغاية يسعون جهد طاقتهم لابقاء بلادهم خارج تلك المعمعة على الرغم من الاغراءات التي كانت تقدم اليهم مدة الحرب .

رجعت ونوري السعيد من انقره هو في طريقه الى بغداد ، وانا الى بيروت حيث كانت عائلتي واولادي في انتظاري ، وفي هذه الاثناء التقيت في بيروت بالمرحوم عجيل الياور، شيخ مشايخ شمر ، ووزير المالية ناجي السويدي الذي جاء الى بيروت لمفاوضة السلطة الفرنسية فيها بغية الحصول على سلاح منها مقابل كمية من البنزين يقدمها العراق اليها .

وقد اتفقت مع عجيل الياور على الرجوع الى بغداد حالا ، والاتصال بالمسؤولين ، والسعي لدرء الخطر المحدق بالبلاد من جراء السياسة المتطرفة التي كانت تؤجج نيرانها شخصيات غير مسؤولة كالمفتي الحسيني وامثاله من دون ان يحسبوا للنتائج حسابها . وفي اليوم الذي وصلت فيه الى بغداد ، تلقيت برقية من الموصل من عجيل الياور يخبرني فيها عن توجهه الى بغداد ولكنه مع الاسف الشديد فارق الحياة في اثناء السفرة أثر نوبة قلبية طارئة ، فخسر العراق رجلا فذا كان لآرائه وزن راجح في الاوساط العراقية .

كان اول ما عملته ، اني قابلت رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني في ديوان مجلس الوزراء . فأظهرت قلقي من الوضع السائد آنذاك . فأوضح الوضع لي بايجاز ، ووعدني بان يزورني في داري في اقرب وقت ممكن ليدلي بتفصيلات اكثر . ثم ما لبث ان اتصل بي قائلا انه يريد ان يقابلني والسيد جميل المدفعي في وقت واحد فاتفقنا على الاجتماع في دار المدفعي في ساعة معينة . وعند اجتماعنا به اعرب عن سخطه على السفير البريطاني ، وشكا سوء تصرفاته التي وصلت الى حد الاهانة ، الامر الذي جعل التفاهم معه متعذرا . واضاف الى ذلك انه ابرق الى القائم باعمال المفوضية العراقية في لندن (السيد عطا امين)

طالبا اليه ان يقابل وزير الخارجية البريطانية ليبسط له تصرفات السفير المذكورة ، وليسأله عما اذا كان يؤيد هذه التصرفات او يقره عليها • فاستغربت كثيرا ان يكلف رئيس الوزراء، القائم بالاعمال العراقي للقيام بمثل هذه المهمة • اذ من غير المعقول ان يعتذر وزير الخارجية البريطاني عن اعمال سفيره في العراق وان تأكد لديه عدم كياسة السفير • كما انه غير متوقع ان يقوم سفير بريطاني باعمال لا تجيزها حكومته ولا تتفق مع تعليماتها وخططها •

وقد رجوت السيد الكيلاني ان يتريث قليلا ، وان يعالج الامور بالصبر وطول الاناة ، وان يتجنب الارتماء بين قوتين عظيمتين لهما ممكناتهما العظيمة • وهما تخوضان غمار حرب حياة او ممات ، فتفتك احداهما بالاخرى ولا تباليان بسحق من يريد ان يقف في طريقهما ، او يعرقل سيرهما واسباب انتصارهما ، كما رجوته ان يحرص جهد طاقته على ابقاء العراق بعيدا عن الاخطار التي جعلتنا الظروف لحسن الحظ في معزل عنها •

وتطورت الامور واصبح الناس يتحدثون في الاندية والمجتمعات عن الخلافات القائمة بين السفارة البريطانية والحكومة العراقية وعن الانشقاق في وجهة النظر بين اعضاء الوزارة انفسهم ، فانتهزت فرصة اجتماع اللجنة المالية في مجلس النواب وطلبت الى رئيس الوزراء ان ينور اللجنة عن حقيقة الشائعات التي كانت تدور في الاوساط ، وعما اذا كان هناك حقيقة خلاف بين الوزارة العراقية وبين السفارة البريطانية وعن الاسباب الموجبة لذلك ؟ فانكر الرئيس وجود الخلاف بتاتا • فشكرت له تصريحه امام اللجنة ، ورجوته ان يتكرم ببيان رسمي ينشره لتطمين

الرأي العام ، وازالة ما يساور النفوس من قلق ، واحباط مساعي الذين يحاولون الاصطياد في الماء العكر . فوعدني بانه سيصدر البيان على كل حال .وفعلا اصدر البيان الذي وعد به فكان مطمئنا لدرجة ما ، اذ نفى وجود خلافات بين السفارة البريطانية وبين الحكومة العراقية على الرغم من ان الخلاف كان قائما وظاهرا للعيان .

وتفاقمت الامور ، وكثرت التدخلات في السياسة من قبل اناس غير مسؤولين ، واشتد الضغط على اعضاء الوزارة من جهة ، وعلى البلاط من جهة اخرى . وكان الدافع لهذا الضغط افراد من الشباب المتحمسين غير المجربين . ومنهم من تأثر بالمفتي الحسيني الذي جاء لاجئا الى العراق فاراد ان ينتقم من الانكليز من دون ان يحسب للاضرار التي تصيب العراق نتيجة اعماله ، حسابا حكيما .

لم يكن العراق في وضع يمكنه من محاربة الانكليز اللذين يعرفون ما يملكه العراق من الوسائل الدفاعية صغيرة كانت او كبيرة . فالانجراف مع العواطف لحل القضايا السياسية يكلف البلاد اضرارا لا تعوض .

وعلى كل فقد وقع مع الاسف ما كنا نخشاه ، واصطدم الجيش العراقي الباسل بالجيش الانكليزي في ٢ مايس ١٩٤١ ولم يكن هذا الجيش الناشيء على استعداد لمثل هذه المبارزة فكانت النتيجة ان اصاب العراق ما اصابه من اضرار مادية ومعنوية لا يمكن للمنصف ان ينكرها مهما كان حريصا على سمعة بلاده وشرف قواته الدفاعية .

ومما علمته من عبد القادر صالح ، الموظف في وزارة الخارجية ، انه كان قد حضر الجلسة الوزارية التي نوقشت فيها وساطة الحكومة

التركية لتخفيف حدة التوتر بين العراق وبريطانيا ، عندما طلب وزير العدلية ناجي شوكت المشورة فيها • ورأى ان رئيس الوزراء كان ميالا لقبول الوساطة والشروط التي عرضتها الحكومة التركية ، كما ان بقية اعضاء الوزارة وافقوا عليها لما ظهر فيها من انصاف ومصلحة عامة • الا ان احد الضباط استمزج رأي المفتي في شروط الوساطة بعد الموافقة عليها ، ثم عاد يندد بالوساطة وينعتها بالخيانة ويقول (هذه خيانة يا رشيد !) •

يشهد الله ويعلم اخواني باني كنت وما ازال أحمل في قلبي نقمة شديدة على السياسة الظالمة التي انتهجها الساسة الانكليز ، اولئك الذين خانوا العهود ، وسلبوا اقدس بقعة من البلاد العربية وشتتوا اهلها البؤساء اصحاب الحق الشرعي ، وقدموها لشذاذ الآفاق وذلك لتأمين سيطرتهم على البلاد العربية الاخرى • ولكنني كنت افكر في الوقت نفسه بأنه لا تجوز المجازفة بكرامة الجيش وبمصلحة البلاد انسياقا وراء العواطف • وكنت حريصا على اتباع سياسة حكيمة والاحتفاظ بقوة الجيش لنتمكن من المطالبة بحقوقنا المشروعة عندما تأزف الساعة الملائمة • ولهذا رأيت والمرحوم جميل المدفعي خاصة ان نظهر عدم موافقتنا على توريط الجيش في مثل هذه المزالق لما لنا من تجارب وما لدينا من معلومات حول امكانيات العراق فيما اذا وقع اصطدام مسلح مع الجيش البريطاني • ولكن ساقت الاقدار مع الاسف بعض المتحمسين الى ركوب هذا المركب فهاج الرأي العام ، واتسع الخرق ، وافلتت الامور ووقع ما كنا نخشاه ، ورزحت البلاد تحت سيطرة الانكليز مرة ثانية طول مدة الحرب •

في امريكا

حين نشبت الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩ لم يكن للحكومة العراقية ولا للبلاد العربية الاخرى ـ عدا مصر ـ اي ممثل سياسي في الولايات المتحدة الامريكية • وكان هذا يعد نقصا بارزا لم تتداركه الحكوما تالعربية ، ولعل الدول الاستعمارية كانت تسعى بكل الطرق المتوفرة لديها ، من سياسية واقتصادية واجتماعية لصرف البلاد العربية عن التفكير في ارسال ممثلين لها الى اقطار العالم الجديد • ولكن حين نشبت الحرب المذكورة ، وظهر اتجاه السياسة الامريكية وما قد تمثله هذه الدولة الجبارة من دور خطير في الاوضاع الدولية ، وفي مصير الامم والشعوب ، شعرت الحكومة العراقية بهذا النقص البارز وقررت فتح مفوضية لها في عاصمة الولايات المتحدة حالا ، وقد كلفتني بان اكون اول وزير مفوض للعراق في واشنطون • فوافقت على ذلك بلا تردد اعتقادا مني باني اسدي بذلك الى امتي خدمة ما • وعلى هذا صدرت الارادة الملكية بتعييني وزيرا مفوضا • ومن دون اضاعة وقت ، وعلى الرغم من تقديري لوجود اخطار كثيرة تحف بمثل هذه السفرة ، ولاسيما في مثل تلك الظروف الدقيقة ، حيث كان الالمان يشنون غارات شعواء على طائرات الحلفاء اينما وجدوها ، وعلى طول الطريق المؤدية الى امريكا ، وما قد يؤدي اليه ذلك من تعرض اولادي وعائلتي وجميع الموظفين الذين لا بد من ان يرافقوني في هذه الرحلة ، وما سأقاسيه من عذاب وجداني اذا اصابهم مكروه ما ، فقد قررت السفر مع الجميع

متوكلا على الله .

تركنا بغداد في ١٣٠ ذار ١٩٤٢ الى الحبانية وطرنا منها الى القاهرة . وفي طريقنا نزلنا في بحيرة طبرية .

بقينا في القاهرة بضعة ايام ننتظر سفر الطائرة ، وكانت قد اشتدت حملات الالمان في هذا الوقت على طائرات الحلفاء ، وعلى بواخرهم بصورة مفزعة ، مما اضطر طائرتنا الامريكية الى السفر عن طريق افريقيا وجنوب امريكا ، لان ذلك اسلم عاقبة . وقيل لنا حين كنا في القاهرة ان المرور بافريقيا من دون تطعيم ضد الامراض السارية ، كالحمى الصفراء لا يقل خطرا عن غارا ت الالمان .

وبعد ان مكثنا في القاهرة بضعة ايام ، طرنا الى « الخرطوم » ، فبيقنا فيها ليلة واحدة ثم واصلنا السفر الى الكونغو « ستانلي فيل » ف « ليوبولدفيل » .

وقد دهشنا مما رأيناه في هذه البلاد من مناظر طبيعية خلابة. انها بلاد ذات اراض واسعة خصبة ، تجري فيها المياه غزيرة ، وتكتنفها الغابات الكثيفة ، وتعيش فيها الحيوانات الكثيرة ، وتطمر ارضها المعادن المختلفة . وهناك شعرنا بالستار الحديدي الذي ضربته الدول الاستعمارية الاربع على القارة الافريقية العظيمة . وكانت حصة الاسد لانكلترا وفرنسا ، ثم للبلجيك والبرتغال .

ومن هناك ذهبنا الى موقع اخر على ساحل البحر . ومن ثم الى « ليكوس » (لاغوس) في « نيجيريا » . وقد بقينا فيها اربعة ايام

نتجول في اسواقها البدائية ، التي تكثر فيها التماثيل المنحوتة من خشب الابانوس الاسود القاتم،لمختلف اجناس الزنوج ، وكذلك جلود الافاعي التي كثيرا ما يتجاوز طولها ثلاثة امتار

وبعد اربعة ايام طرنا الى « ليبيريا » وهي دولة زنجية مستقلة تحت نفوذ الولايات المتحدة . مشهورة بكثرة مواردها من محصول المطاط ، فيها مركز لشركة فايرستون الامريكية .

ثم واصلنا الطيران ليلا من هناك ، فعبرنا البحر الاطلسي ووصلنا صباحا الى بلدة « ناتال » في البرازيل . وبقينا فيها اربعة ايام في انتظار الطائرة التي ستقلنا الى الشمال ، اي الى الولايات المتحدة . وفي اليوم الرابع تحركت الطائرة بنا قاصدة بلدة « بلام » في شمال البرازيل . وفي هذا اليوم شعر ولدي نزار بحمى عالية طرحته ارضا دون ان نعرف حقيقة المرض ، او سبب الحمى ، فاصبحنا في قلق لا يوصف ، ولهذا بادرنا عند هبوطنا في بلدة « بلام » الى البحث عن طبيب يتولى تشخيص علة نزار . وبعد صعوبة وجدنا الطبيب . ولكنه قال انه لا يمكن ان يعرف اسباب المرض الا اذا اجرى تحليل الدم . وبما انه لا يمكننا ان نتأخر فقد سافرنا متوكلين على الله . وظل نزار في حالة اضطراب وحرارته عالية ، ونحن اشد ما نكون قلقا عليه لجهلنا اسباب مرضه ، الى ان وصلنا جزيرة « سن جوان بورتوريكو » ترينيدات — في البحر الكاريبي . ثم اقلعت بنا الطائرة بعد ساعات من القلق الى نيويورك .

ولا انسى تلك الساعات المزعجة التي قضيناها في الطائرة بعد اقلاعها بساعتين تقريبا فقد اقتحمنا زوبعة هائلة (اعصار شديد) كادت

تقضي علينا جميعا لولا عناية الله ورحمته الواسعة ، وكنت اشعر بوخز بضميري لاصطحابي افراد عائلتي كلها ،وزجهم في هذه المجازفة . كانت الطائرة تلاطم الاعاصير وتتقلب صعودا وهبوطا مع الزوابع ، وكان للهواء صرير يختلط بأزيز الطائرة فترتجف لها القلوب لهول ما تسمع الاذان وفي ظلام ذلك الليل الحالك ، كان الركاب يرتطم بعضهم ببعض ، ويتدحرجون من طرف لآخر . وظللنا على هذه الحال الى ان من الله علينا بمرور الزوبعة . واقبل ربان الطائرة ــ الذي كان ماهرا بلاشك ــ فهدأ روع الركاب ، وهنأهم بالسلامة ، وقال اننا مررنا بتهلكة خطيرة جدا ، وكادت تتحطم اجنحة الطائرة عند هبوطها في الجيوب الهوائية التي بلغت الفين وثمانمائة قدم مرة واحدة . وبما ان الطائرة كانت تحمل ثلاثة واربعين راكبا يضاف اليهم الرزم البريدية وبضائع ثقيلة اخرى فقد كان ممكنا ان تتكسر الاجنحة في اثناء هذا الهبوط الهائل . فحمدنا الله على السلامة ووصلنا نيويورك مع الفجر .

★ ★ ★

« نيويورك » مدينة خلابة لمن ينظر اليها من السماء وهي تشير الى عظمة عمل الانسان للانسان . انه منظر فريد حقا . وفي المطار وجدنا في انتظارنا مندوبا من وزارة الخارجية الامريكية جاء لاستقبالنا ، وتسهيل المعاملات الروتينية التي لا بد منها في دوائر الكمرك . وكان اول ما وجب ان نفكر في عمله ، اخذ ولدي نزار الى المستشفى ووضعه تحت اشراف الاطباء . وقد قامت زوجتي بهذه المهمة فورا بمساعدة مندوب وزارة الخارجية بينما كنت منهمكا في ايصال بقية العائلة والامتعة الى الفندق .

كان قلقنا على نزار بالغا لاحتمال اصابته بالحمى الصفراء ، ذلك المرض القتال الموجود في البلاد التي مررنا بها ، والذي لم نحتط له بالتطعيم اللازم • والواقع اننا حين كنا في القاهرة حاولنا ان نطعم بالمصل الواقي ، ولكن حدث حين ذهبنا الى الطبيب الذي اشارت المفوضية العراقية في القاهرة علينا بمراجعته لهذا الغرض ، ان بدأ يبحث في القاموس الطبي ليعرف شيئا عن هذا المرض ، وعن دواء الوقاية منه • فعدلنا عن التطعيم وسلمنا امرنا لله • على اننا نشكر الله اذ تبين بعد الفحوص اللازمة ان الحمى التي كان يعانيها ولدنا كانت ملاريا عادية وانها ليست بالحمى الصفراء •

بقينا بضعة ايام في نيويورك ننتظر ان يحجز لنا مكان في احد فنادق واشنطون ، اذ كان من اصعب الامور في تلك الايام ان يجد الانسان محل سكن له مهما يكن نوعه في واشنطون ، حيث كانت المدينة اشبه بعاصمة العالم كله ، تعج بانواع البشر كما كانت كل القضايا العسكرية والسياسية تحل وتتفاعل هناك •

واخيرا تركت العائلة والموظفين في نيويورك وذهبت والسكرتير السيد عبد المنعم الكيلاني الذي كان حريصا على اداء واجبه ، غيورا على انجاز اعماله الرسمية ، الى واشنطون بعد ان اخبرنا بان وزارة الخارجية تمكنت من حجز محل لنا في فندق « مي فلاور » • واستقبلنا في محطة واشنطون بعض موظفي وزارة الخارجية واوصلونا الى الفندق • وفي اليوم الثاني يممت نحو وزارة الخارجية لوضع بطاقة الزيارة وتحديد موعد لزيارة وزير الخارجية • وقد نشرت بعض الصحف نبأ وصولي الى واشنطون بصفتي اول وزير مفوض للعراق ، واني اسكن في فندق

« مي فلاور » مؤقتا الى ان اجد الدار المناسبة للمفوضية . ولم يكد خبر قدومنا ينتشر بين اخواننا العرب المستوطنين هنا كحتى كان اول من زارني الرجل العصامي النبيل المستر « هاوار » (١) وهو امريكي من اصل عربي، فلسطيني، وقد قدم لي نفسه وقال انه مستعد لاداء كل خدمة ممكنة . فشكرت له اريحيته هذه . والحقيقة ان هذا الرجل كان ولا يزال يؤدي خدمات جلى لابناء قومه في واشنطون . انه رجل عصامي وهبه الله همة ونشاطا كان من اثارها ان اصبح ذا ثروة كبيرة واملاك واسعة ، وقد اشترك معنا في تأسيس وبناء مسجد في واشنطون وكان هو وزوجته المصون اول المتبرعين بمبالغ كبيرة كانت نواة للتبرعات لبناء المسجد المذكور ، وبمعاونة هذا الرجل وعائلة آل رزق وامثالهم من العائلات العربية الكريمة بدأنا نجتمع باخواننا العرب . ولم يكن حينذاك من الممثليات العربية في واشنطون سوى المفوضية المصرية . وكان على رأسها الوطني الغيور محمود حسن باشا ، وهو من خيرة رجال السلك ، ومن اعفهم نفسا واشرفهم عملا . فكان لنا صديقا عزيزا . وقد اسفنا لان الحكومة المصرية تخلت عن الاستفادة من مواهب هذا الرجل الذي حنكته التجارب وصقلته الايام ناهيك بما يحمل في قلبه من حب واخلاص لبلده .

زرت وزير الخارجية « كردل هل » لاول مرة في دائرته الرسمية . كما انه دعاني وزوجتي الى تناول الشاي في شقة في اوتيل « وودمان بارك » اتخذها مسكنا له ، متجنبا دار سكنى كبيرة، لقلة الخدم في وقت الحرب ، وتوفيرا للنفقات ، وقد كان لطيفا جدا في المقابلة ، متحفظا في كلامه ، مترويا ولبقا في تصرفاته .

---

(١) اسمه الاصلي محمد عيسى ابو الهوى .

استئجار دار المفوضية

كانت قضية استئجار دار للمفوضية من اصعب الامور الاولية التي لاقيناها في بدء تأسيس المفوضية • فقد قضينا وقتا طويلا وبذلنا جهودا كثيرة لنجد دارا مناسبة في نطاق المبلغ المخول لنا صرفه على الرغم مما كانت تبذله بعض الموظفين في وزارة الخارجية الامريكية من جهد لتذليل الصعوبات في هذا الشأن • وقد كانت اجور الدور في واشنطون باهظة جدا بالنسبة لما كانت عليه في بغداد واخيرا تم استئجار دار مناسبة في شارع يقطنه الكثير من السفارا توالمفوضيات •

تقديم اوراق الاعتماد

تعين اليوم الرابع من شهر مايس سنة ١٩٤٢ موعدا لزيارة رئيس الجمهورية المستر « روزفلت » وتقديم اوراق اعتمادي اليه • وفي الساعة المعينة من اليوم المذكور ، وصل مدير التشريفات بسيارة خاصة الى الفندق الذي اقيم فيه فاستصحبني الى قصر الجمهورية « البيت الابيض » ثم ادخلت غرفة الرئيس • فرحب بي واجلسني الى جانبه ، وسألني عن الحالة في العراق وفي البلاد العربية الاخرى ، كما سألني عن صحة الملك ، واظهر لي اسفه لفقد العراق مليكه المؤسس الملك فيصل الاول وقال لي : انه كان قد تعرف عليه في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، حينما كان في مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس • وبعد ان اطرى عليه كثيرا ونوه بذكائه واشاد بسجاياه وشكله الوسيم

قال : كنت يوما اجلس والمستر « كراين » واذا بصديق ومعه رجل ايطالي فنان وفي يده سلة فيها تمثال نصفي جميل فعرضه على المستر كراين قائلا هل تعرفون تمثال من هذا ؟ فاجاب المستر كراين بعد ان تفرس في التمثال . لا ، لا اعرفه ، لكنه يشبه السيد المسيح . فقال النحات هذا تمثال فيصل . واضاف المستر روزفلت الى ذلك قوله . ولم لا ؟ اليس هو من تلك الارومة .

ثم نظر الي وكأنه اراد ان يسمع مني شيئا عن حالتنا التي سألني عنها في مستهل كلامه . فقلت له ان البلاد العربية كلها تنتظر المساعدة من امريكا لا سيما وانكم على رأسها الان ، وان كل ما تبتغيه هو ان تحصل على حريتها واستقلالها بعد ان يتم لكم النصر . واستأنفت القول : « امامنا قضيتان مهمتان هما قضية فلسطين التي نأمل انكم عاملون على حلها بما يمليه الحق ويقضي به العدل ، والثانية قضية سورية ولبنان ووجوب تخليصهما من نير الانتداب الفرنسي » . فقال لي : اما قضية فلسطين فأومل ان نجد لها حلا وذلك بامكان اعطاء اليهود محلا مناسبا في افريقيا يتمكنون من جعله ملجأ لهم يعيشون فيه . ثم ابتسم قائلا : ولو ان هناك حيوانات وحشية كالاسود والنمور ولكن ذلك لن يكون عقبة .

اما قضية سوريا ولبنان والانتداب الفرنسي فأطمئنك الى ان هذه قضية سوف ينتهي امرها وتنال هذه الاقطار استقلالها مهما كانت علاقاتها بفرنسا .

فشكرت للرئيس الامريكي بياناته هذه ، وخرجت من لدنه ، اكاد

اطير فرحا لهذه البشرى السارة التي سمعتها من اعظم رجل مسؤول في الولايات المتحدة . وذهبت الى غرفتي وكتبت برقية رمزية الى رئيس الوزراء آنذاك نوري السعيد اخبرته فيها عن نتيجة زيارتي لرئيس الجمهورية الامريكية ، وبما قاله لي عند تقديم اوراق اعتمادي اليه (١) فلم يتمالك نوري السعيد نفسه مع الاسف الشديد عن كتم هذا الخبر العظيم ، واراد ان يظهر فرحته هذه فأفضى ببعض ما بينته له من مقابلتي هذه للمجلس النيابي العراقي الذي كان منعقدا انذاك مشيرا الى ما دار بيني وبين المستر روزفلت حين تقديم اوراقي اليه « ولا ادري بأي شكل نقله » .

وعلى اثر ذلك التصريح استدعاني الرئيس السياسي لقسم الشرق الادنى في وزارة الخارجية الامريكية المستر « الينك » الذي عين بعدئذ سفيرا للولايات المتحدة في الهند ، واخذ يعاتبني على التصريحات التي اطلقها نوري السعيد في المجلس النيابي العراقي . فقلت له اني آسف لما وقع . اما من جهتي فكان علي ان اقدم الى وزارة الخارجية العراقية تقريرا عن مقابلتي لرئيس الجمهورية حين تقديم اوراق اعتمادي اليه . وهذا ما فعلته . وقد اكدت له ان ما نقلته هو الحقيقة عينها من دون ان ازيد عليها حرفا واحدا واني مستعد لتقديم صورة التقرير ليطلع عليه الرئيس بنفسه .

فقال لي : «لا اكتمك ان الذي تأثر واستاء من هذا التصريح هو وكيل وزير الخارجية المستر « سمنر ويلس » لا الرئيس» . والمعلوم ان

---

(١) واخبرت وزارة الخارجية بهذه المقابلة بتقريري المؤرخ ٢٥ - ٦ - ٩٤٢ والمرقم متفرقة ٤ / ١٥ .

المستر سمنر ويلس كان صهيونيا اكثر من الصهيونيين، وله عدة رسائل مطبوعة ومقالات منشورة يؤيد فيها الصهيونية ، وكان بكل وقاحة يطلب فتح ابواب فلسطين لهجرة اليهود « من دون قيد ولا شرط ولا تحديد » وبحراسة الحراب الامريكية •

ومهما يكن الامر فما كان ينبغي لرئيس الوزارة العراقية ان يدلي بتصريحه هذا في تلك الظروف • فالنشر لم يكن لمصلحة القضية يومئذ بل كان حافزا لمؤيدي الحركة الصهيونية وهم يؤلفون كتلة كبيرة ومهمة، لها نفوذها في الولايات المتحدة سواء كان ذلك في المجال الحكومي او غير الحكومي ، وفي الولايات المتحدة قاطبة ، لا تجارى • انهم يسيطرون على الكثير من البيوتات المالية ، وعلى امهات الصحف والمجلات السياسية ، وعلى الدور والشركات الاذاعية ، هذا عدا نفوذهم في الانتخابات العامة • ولذا لكقد يستغلون الفرصة لمناسبة هذا التصريح ويهبون هبة واحدة ويحملون على رئيس الجمهورية حملة تحول دون المضي في اقدامه على اي امر من هذا القبيل في المستقبل سواء كانت كلماته تلك حقيقة او انه كان يقصد بها المجاملة •

انتقلنا الى دار المفوضية التي استأجرناها ، وبعد ان اكملنا ما تحتاج اليه من اثاث واصلاح ، وبعد ان تم تنظيم الدائرة باشرت ازور السفراء والوزراء المفوضين ــ وهم كثيرون في هذه العاصمة ــ للتعرف عليهم •

وبمناسبة الحديث عن هذه الزيارات احب ان اروي هنا قصة تدل على متانة خلق وضبط نفس عجيبين • فقد دعاني السفير البريطاني

« اللورد هاليفاكس » وزوجتي الى العشاء ذات يوم ، فاردت بعد مدة ان اقابل كرمه بمثله فدعوته وزوجته الى العشاء في دار المفوضية • وفي الوقت المعين حضر هو والليدي هاليفاكس ، وتناولا الطعام وتكلما في اثناء ذلك معنا ومع الحاضرين في امور مختلفة ، وحسب ما يقضي به المقام • ولم يبد عليهما شيء غير اعتيادي ، ثم عرفنا بعد انتهاء السهرة ، وبعد ان ودعناهما بان اللورد هاليفاكس قد تلقى برقية بعد ظهر اليوم الذي كان مدعوا فيه الى العشاء تنبئه بان ولده قتل في الحرب • فأكبرت فيهما هذه القدرة على ضبط النفس وتلقي الفجيعة برباط جأش ، وتغليب العقل على العواطف ، واداء الواجب مهما تكن الظروف • وبادرت في اليوم التالي الى الكتابة اليه اعزيه وزوجته في مصابهما ، واشكر لهما تلبيتهما الدعوة في مثل تلك الحالة •

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

فأن هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

البدء في العمل

مهما تكن الصعوبات كثيرة ومهما تكن قوة الصهيونية في امريكا نافذة ، فاننا لم نترك فرصة الا انتهزناها للمطالبة بحقوق العرب ولا سيما في فلسطين . وكانت الوفود العربية والجاليات ولا سيما الممثليات السياسية التي تأسست اخيرا لا تدخر وسعا في سبيل تحقيق ذلك . ولو اردنا ان نأتي على تفصيلات ما قامت به السفارات والمفوضيات العربية والوفود في هذا السبيل لاحتجنا الى مجلدات . وانما نكتفي هنا بذكر اسماء بعض الشخصيات المحترمة التي كانت تدافع بكل ما اوتيت من قوة عن حقوق العرب في بلادهم ولاسيما في فلسطين ، وهؤلاء سفير مصر محمود حسن ، ومحمود فوزي من المصريين ، والدكتور شارل مالك من لبنان ، واسعد الفقيه من السعودية ، وناظم القدسي وقسطنطين زريق من سورية كذلك الوفود العربية ، وفيها السادة حميد فرنجية ، ورياض الصلح ، وموسى العلمي ، واحمد الشقيري ، وحسني الصواف ، وعوني الدجاني ، وفاضل الجمالي، وعلى رأسها المفكر والسياسي العربي الاشهر فارس الخوري وكثير من الاخوان. وكان جميع هؤلاء الرجال يتحرقون الما لما كان يحاك امام ابصارهم من مؤامرات ضد قضية فلسطين . وكانت البلاد العربية مع الاسف في غفلة عن فهم ما يرسم هناك من خطط .

لقد كان بعض الامريكيين يخشى عاقبة الاخطاء السياسية الامريكية ، وما قد ينجم من انزلاق الحكومة الامريكية في سياستها الصهيونية . ولذلك كانوا يعارضون تلك السياسة . وكان وزير

الدفاع المستر «فوررستال» الذي انتحر لمخالفته تلك السياسة من جملة هؤلاء المعارضين • كما ان بعض شركات النفط كانت تشك كثيرا في سلامة تلك السياسة خشية ان تتأثر مصالحها في البلاد العربية المنتجة للنفط • وفي هذا الباب نذكر ان المستر روزفلت كان يوما في طريقه من ايران الى الولايات المتحدة فمر بالقاهرة بغية مقابلة عاهل المملكة العربية السعودية المغفور له عبد العزيز السعود • وقد صرح المستر روزفلت لدى عودته الى واشنطن بانه عند مقابلته للعاهل السعودي بضع دقائق قد اطلع على حقائق كان من الصعب ان يفهمها في غير مناسبة • وقد فسرت هذه التصريحات انذاك من قبل بعض الجرائد والاوساط السياسية التي تناصر الحركة الصهيونية ، تفسيرات مضللة اريد بها الوقوف ضد هؤلاء المشككين بسلامة تلك السياسة •

من الامور التي ساعدت الصهيونيين واكسبتهم قوة وسندا لقضيتهم في فلسطين ، واضعفت مكانة البلاد العربية للدفاع عن حقهم المغتصب ، هو جعل مقر الامم المتحدة في الولايات المتحدة وخصوصا في مدينة نيويورك • فان ولاية نيويورك تضم اكثر من ثلاثة ملايين نسمة من الذين يدينون بالصهيونية ، ويتفانون في خدمتها ويبذلون المال والجهد لانجاحها • وفيهم الكثير من اصحاب النفوذ ماليا واديبا وسياسيا • ولا يخفى ان المرشحين لرياسة الجمهورية الامريكية ومؤيديهم من الحزبين الجمهوري والديموقراطي يخطبون ودهم ويتبارون في المزايدة العلنية والسرية لمساندتهم في قضيتهم ، الامر الذي حدى بوزير الخارجية البريطانية ، المستر « ارنست بفن » لان يصرح مرة انه من المتعذر حل هذه القضية عندما تكون موضع المزايدة

الحزبية في الولايات المتحدة •

وفي الحقيقة كان ممثلو البلاد العربية واعين لهذه المزايدة ، وخطر اقامة المنظمة في امريكا • وكانوا مجمعين على السعي لاستبعاد جعل المقر فيها • على ان امرا واحدا وقع في هذا الباب لم يكن في الحسبان • فعندما اجتمعت اللجنة التحضيرية في لندن في اواخر سنة ١٩٤٥ ، اي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة ، لغرض تأسيس الامم المتحدة بعد مؤتمر سان فرانسسكو ، طرح على بساط البحث موضوع مقر المنظمة • وكانت جمهرة الدول الاوروبية والآسيوية واصدقائهم آنذاك تميل الى اقامة المقر في اوروبا • ودارت تكهنات حول اختيار بلجيكا • وعندما طرح الامر للتصويت بين اقامة المقر في امريكا او في اوروبا ، فازت امريكا بصوت واحد وهو صوت مصر التي شذت عن كافة الدول العربية التي صوتت بجانب اوروبا ، على الرغم من جلب نظر ممثلها لهذه النقطة الحساسة • وقد قيل في حينه ان الصهيونيين ومن يساندهم ، وعدوا الممثل المصري آنذاك وهو السيد عبد الحميد بدوي باشا بتأييده في انتخابه عضوا في محكمة العدل الدولي • وفعلا اختير بدوي باشا لهذا المنصب • وبذلك بر الصهيونيون بوعدهم — ومن بعده الطوفان !

النفــوذ الصهيوني في الحكومات البريطانية

وتأثيره في اشراك الحكومة الاميركية للسيطرة على الشرق الاوسط

بينا قبل هذا ما للصهيونيين من نفوذ اقتصادي وادبي في الولايات المتحدة . وسنبين هنا تأثير هذا النفوذ في سياسة الحكــومة البريطانية ايضا .

من المعلوم ان الدول الرشيدة تستوحي في تقرير سياستها الخارجية من مصالحها الحيوية ، وتبحث عن كيفية تأمين تلك المصالح ، وتسعى اليها بالطرق والاساليب التي تراها مؤدية الى غايتها . فبريطانيا كــانت تحتاج الى مساندة امريكا ومساعدتها في وقت الحرب وبعد الحــرب ، وهي تعرف تمام المعرفة انها قد تحصل على تلك المساعدات اذا هـــي سايرت الصهيونية في امريكا ، ومــن ورائها اليهودية العالمية ، وتعرف ايضا ان الجرائد والمجلات ، والبيوت المالية والتجارية ، والبنــوك المنتشرة في انحاء الولايات المتحدة كافة ، وفي دور السينما ومحطـات الاذاعة ان لم تكن كلها بيد اليهود وتحت سيطرتهم فان معظمها كذلك . فالويل لمن يقف امامهم ، والويل لمــن يعاكسهم . ولــذلك ترى اكثــر السياسيين في امريكا ، وفي مقدمتهم المرشحون لــرئاسة الجمهــورية يخطبون ود اليهود ويطلبون معاونتهم الفعلية في اثناء الانتخابات .

وعلى الرغم مما يحمله الفرد الامريكي من شعور غير ودي نحــو العنصر اليهودي في الولايات المتحدة ، فان السياسة الامريكية لاتتخطى

الواقع ، وتنظر دائما الى مصلحة السياسيين الوطنية والشخصية ٠ وكذلك شأن بريطانيا وعلى رأسها شيخها الكبير المستر (تشرشل) الذي كان حتى وفاته يصرح بانه صهيوني ٠ والحقيقة انه انكليزي يعرف من اين تؤكل الكتف في السياسة ٠

هذه هي الحقيقة التي جعلت السياسيون الانكليز يتمسكون بها ، ويعتقدون انها تعينهم على بلوغ غاياتهم السياسية ٠ ولذلك كنت كلما استعرض امامي قضية فلسطين وما ستؤول اليه من تنائج خطرة ، لم اجد لها حلا خارج فلسطين وكنت اعتقد ان الشعب العربي الفلسطيني هو نفسه الذي يتمكن من الدفاع عن حقوقه ، والذود عن حياض وطنه ، لانه شعب شديد المراس شجاع ، يعرف كيف يقاتل ، وكيف يموت في سبيل بلاده ، هذا اذا تيسرت لديه اسباب الدفاع ٠ ولهذا كنت تراني اسأل كل فلسطيني اقابله ، عما اذا كان لديهم سلاح يدافعون به ام لا ؟ فكنت اصطدم بالحقيقة المرة ، واتلقى الاجابة على سؤالي بالنفي ٠ ويشهد الله انني كنت مخالفا تمام المخالفة لاشتراك الجيوش العربية في حرب فلسطين ، بل كنت افكر دائما بضرورة تزويد الفلسطينيين بالمال والسلاح على ان تكون وحدات من الجيوش العربية على الحدود بحجة المحافظة على امن بلادها ، وحماية حدودها ، ولكنها تعمل على تسهيل تسرب السلاح والمال الى ايدي المجاهدين فقط ٠ وكنت كتبت عدة رسائل الى وزارة الخارجية العراقية بهذا الشأن ٠ اذكر قسما منها ٠

الى وزارة الخارجية

٢٨ كانون الاول ١٩٤٦

١ ــ كنا وما زلنا نعتقد ان بريطانيا كانت تستهدف اشراك امريكا معها في سياسة الشرق الادنى ٠ وذلك لتتحمل الدولتان مسؤولية الدفاع عن تلك المنطقة في حالة نشوب حرب في المستقبل ٠ ولو خرجت انكلترا من الحرب العالمية الثانية بنفس القوة التي كانت تملكها بعد انتهاء الحرب العظمى الاولى لما اقدمت على هذه السياسة ٠ اذ انها كما تعلمون حريصة جدا على الاستئثار بالسلطة العليا في علاقاتها الامبرطورية ٠ ومع ان بريطانيا لم تخسر اي جزء من مستعمراتها ، فقد اثبتت الحرب الاخيرة ان قوتها النسبية قد اصبحت اضعف مما كانت عليه ، واصبح انتعاشها الاقتصادي وقوتها الحربية مستندين الى امريكا ومعتمدين عليها ٠ فلولا دخول امريكا الحرب لما كان في استطاعة احد ان يتكهن بالنتيجة ٠ ولولا مساعدة امريكا الاقتصادية لانكلترا ومساعدتها المالية كمنح القرض المعلوم لاصبح وضع انكلترا الاقتصادي والمالي حرجا للغاية ٠ وان انكلترا كما اثبت التاريخ تتكيف حسب الظروف العالمية ، وقابليتها للتكيف هي من اسرار عظمتها ٠

وليس لانكلترا اعداء دائمون ولا اصدقاء دائمون ولكن لانكلترا مصالح دائمة ٠ وهي تسعى دوما للمحافظة عليها ٠ وليس بخاف على احد ان اكبر مهدد لمصالح انكلترا في المستقبل ان لم يكن الآن ، هو روسيا السوفياتية ٠ وقد اتضح ان اكبر عون لانكلترا لحماية هذه المصالح هي الولايات المتحدة ٠ وقد تأيد ذلك في الحرب العظمى والحرب العالمية الثانية ٠ ويعتقد اكثر الخبراء العسكريين انه اذا نشبت

حرب عالمية ثالثة فانها ستبدأ في الشرق الادنى للاستحواذ على مراكزه الاستراتيجية وعلى نفطه الذي لو استحوذ الالمان عليه لاصبح الوضع الدولي بغير شكله الحاضر • اما امريكا فانها تنظر دائما الى انكلترا كحليفة بالرغم من اختلاف وجهة النظر في كثير من الامور • وانها وان اختلفت مع انكلترا في بعض القضايا فانها لا تختلف معها على شيء جوهري ، رهو ان الخطر الروسي المهدد لانكلترا انما هو مهدد لمصالحها كذلك • ويعتقد الاستراتيجيون الامريكيون ان الحرب المقبلة قد تبدأ في الشرق الادنى• ولذلك فان اندفاع بعض الساسة الامريكيين الى مساندة الصهيونية ، هو لتحقيق هذه الغاية ، وهي تأمين الوضع الاستراتيجي في الدفاع المشترك عن الشرق الادنى والاوسط • ولما كان قد تأيد للطرفين وحدة المصلحة وخاصة بالنسبة الى انكلترا ، فقد اخذت هذه على عاتقها ان تثبت مصالح امريكا في الشرق الاوسط بكل الوسائل الممكنة ، سواء كان اشتراكها معها بالنفط او بتحقيق اقامة دولة صهيونية في فلسطين ••

٢ ــ اننا لم نستغرب الاخبار التي اذاعها الراديو ونشرتها الصحف الآن عن « ستاندارد اويل اوف نيو جرسي » و « سوكوني ــ فاكيوم » قد وصلتا الى اتفاق مبدئي مع شركة نفط « انكلو ــ ايرانيان » لشراء كميات كبير من النفط الخام ، وانه بناء على هذا الاتفاق سينشأ خطان من انابيب النفط من الخليج الفارسي الى البحر الابيض المتوسط وان الاول الذي ستمده شركة النفط « العربية ــ الامريكية » سيبدأ من الظهران وسيمر باحد البلاد العربية شرق الابيض المتوسط • واما الخط الثاني فسيبدأ من منطقة البصرة

ـ عبادان وينتهي بالابيض المتوسط كذلك . ويكون تابعا الى شركة « انكلو ـ ايرانيان » . وستقوم الشركتان الامريكيتان بتحمل بعض تكاليف مد الانابيب (١) .

وهناك اتفاق اخر وهو ان شركة النفط العربية ـ الامريكية صاحبة امتياز نفط المملكة السعودية باعت ٣٠ بالمائة من حصصها الى شركة « ستاندارد اويل اوف نيو جرسي » وستشتري شركة « سوكوني فاكيوم » ١٠ بالمائة اضافة الى ذلك .

بعد كل هذا تستطيعون ان تتصوروا عظمة المصالح الامريكية الاقتصادية في الشرق الادنى والتي يجب ان تحرص على المحافظة عليها في حالة حدوث حرب عالمية ثالثة .

اما خلق دولة فلسطينية صهيونية ، فهي قسم مهم من الخطة « البريطانية ـ الامريكية » الاستراتيجية للشرق الادنى . ان تحقيق هذه الدولة سواء كان في فلسطين كلها او في قسم منها سيحقق اشتراك امريكا في الدفاع عن هذه المنطقة لان الدولة الصهيونية التي يسعى الصهيونيون لتحقيقها ستنظر دائما الى امريكا بالدرجة الاولى والى انكلترا بالدرجة الثانية للمساعدة ، والا فلا يوجد ما يضمن تحقيقها او حياتها وسط عالم عربي منتبه الى اخطارها . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد ان هناك اتفاقا بين انكترا وامريكا لتحقيق سياسة مقررة بشأن فلسطين والشرق الادنى ستكشفها الظروف في المستقبل القريب » انتهى .

الوزير المفوض
علـــي جـــودت

---

(١) وقد تحقق المشروع الاول ولكن تخلف انجاز مشروع الخط الثاني لتطور الحالة اخيرا في وضع البلاد التي كان منويا مرور الخط فيها .

وبعد قرار التقسيم ارسلت الكتاب التالي الى وزارة الخارجية :

في ٥ كانون الاول ١٩٤٧ .

« منذ ان صدر قرار التقسيم الى الان لا تخلو الصحف اليومية وكذلك محطات الراديو من نشر الاخبار عن حوادث الاضطرابات الناشبة في فلسطين والاقطار العربية الاخرى . وبهذه المناسبة نود ان نبدي ان الاوساط الصهيونية هنا باذلة جهودا كبيرة لجمع القوات اللازمة من سلاح ورجال لارسالها الى فلسطين باسم التطوع ، ونستطيع القول ان هذه الجهود والمساعي ستنجح حتما نظرا الى الظروف والملابسات التي تحيط بهذه القضية اذ كما لا يخفى عليكم ان الامريكان لا يريدون ارسال قوات امريكية (منظمة) الى فلسطين لاسباب عديدة منها ما يعارض سياستها الداخلية ، ومنها ما يصطدم بالقوانين الدولية ومصالح دول اخرى . والمعلوم ايضا ان امريكا هي التي آزرت فكرة التقسيم وناصرتها بتطرف واضح ليس لها بعده سوى الاستمرار في مناصرة مشروع التقسيم حتى النهاية . ولذلك فلا بد لها من تقوية الصهيونيين في فلسطين ليتمكنوا من مقاومة العرب وترسيخ اقدام الصهيونية هناك . وسبيلها الى تحقيق هذه الغاية هو ارسال الامدادات عن طريق التطوع ، اذ لا شك في انها لو اقدمت على ارسال قوات منظمة الى فلسطين فانها ستفتسح المجال لروسيا المتربصة للاقتداء بها بنفس الحجج والعلل التي تبرر امريكا بها عملها ذلك . وهذا امر لا ترغب فيه امريكا ولا انكلترا . فامريكا اذن ستلجأ الى طريقة التطوع والمتطوعين ومن المحتمل جدا ان لا تكتفي بتشجيع المتطوعين وتسهيل

تسليحهم ، بل ربما سترسل عددا من ضباط الجيش الامريكي والفنيين منه للاندماج في هؤلاء المتطوعين وتنظيم عملهم بصورة سرية وغير مباشرة، وهذا ــ في رأينا ــ هو الطريق الذي يجب ان تسلكه البلاد العربية الراغبة في مناصرة عرب فلسطين وتقويتهم • وبعبارة اخرى ان البلاد العربية يجب ان لا تقدم بشكل من الاشكال على توجيه قواتها المنظمة الى فلسطين بل عليها ان تشجع حركات التطوع بكل الطرق والوسائل التي من شأنها ان تجعل من هذا التطوع قوة فعالة مثمرة • وخير طريقة للاستفادة من هذا التطوع هو تشكيل (العصابات) وبثها على طول الحدود بين فلسطين والبلاد العربية المجاورة لتقوم بمهاجمة اهدافها بالاشتراك مع الفلسطينيين وتعود الى قواعدها خارج الحدود• فأن هذا الطراز من القتال يكبد العدو كثيرا من المتاعب والاضرار كما انه يضطره الى حراسة الحدود بعشرات بل بمئات الالوف من المسلحين، الامر الذي يكبده نفقات طائلة لا يستطيع الاستمرار في تحملها مهما كانت ماليته قوية •

وهناك نقطة اخرى لا بد لنا من التنويه بها وهي ان الاخبار الواردة عن البلاد العربية تشير الى وقوع بعض حوادث على املاك وارواح بعض الاشخاص من الدول التي ناصرت التقسيم او رعاياها • وفي بعض الاقطار العربية تجاوز الامر ذلك وحصلت اعتداءات على اموال وارواح رعايا بعض الدول التي صوتت ضد التقسيم • وهذا لا شك يترك اثرا سيئا لدى الرأي العام العالمي ويصم البلاد العربية وصمة تقلل من العطف على حقها الذي تكافح من اجله • هذا من جهة ومن جهة اخرى فان قيام المتحمسين من الشباب في البلاد العربية

المختلفة باطفاء غليلهم بمثل هذه الحوادث التي تعد تافهة بالنسبة الى الغاية الاصلية ، من شأنه ان يقلل الحماسة ويجعلهم على الاغلب يعتقدون انهم ادوا واجبهم نحو فلسطين بهذه الاعمال البسيطة في حين ان الواقع يجب ان يكون خلاف ذلك . فجذوة الحماسة يجب ان تبقى مشتعلة في النفوس والصدور ويجب ان تكون مملوءة على الدوام بالزفرات . والهدف الاصلي يجب ان يكون فلسطين واضعاف الخصم في فلسطين .

الوزير المفوض

علي جودت

★★★

قبل ان تقع الحرب في فلسطين كنت أصبت بنوبة قلبية اضطررت معها الى ان ابقى مدة في المستشفى ، ثم في المصح خارج واشنطن للاستجمام . وحين عودتي اتصلت برجل امريكي يعمل في وزارة الخارجية وكان معي السكرتير الاول في المفوضية العراقية السيد امين المميز . وكنت اشعر بان هذا الرجل (الامريكي) يحمل شعورا طيبا نحو قضية فلسطين ولهذا كانت الجرائد الصهيونية تهاجمه وتنعته بالخائن ، وتطلب تنحيته عن عمله بوزارة الخارجية . وقد وجدته يؤيد فكرة عدم دخول الجيوش العربية فلسطين ، واكد لي ان حكومته سوف تتدخل بصورة جدية اذا رأت الجيوش العربية تتدخل . وان وضعها الداخلي (امريكا) يضطرها الى ان لا تبقى مكتوفة اليدين . وعلى الرغم من ضعف حالتي الصحية فقد قررت السفر الى بغداد للفت نظر الحكومة واطلاعها على اخطاء التدابير الناقصة التي تقوم بها ، ولبيان ما يجب عمله نحو فلسطين وابرقت بعزمي هذا فكان جواب وزارة الخارجية انها طلبت الي البقاء في واشنطن لاكون على رأس الوفد الذي سيحضر اجتماع الامم المتحدة .

فكان جوابي في ٥ نيسان سنة ١٩٤٨ كما يلي :

وزارة الخارجية

جوابا على برقيتكم رقم ١٣

« تقرر اجتماع الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة في ١٦ الجاري ووجهت الدعوات للحكومات المختصة بذلك » .

اعتقد ان حكومة الولايات المتحدة لم ولن تغير سياستها الاساسية تجاه فلسطين ، وانما هي غيرت خطتها في تطبيق هذه السياسة • والسبب في ذلك يرجع الى محاولة روسيا الاستفادة من الوضع الذي سينتج عن تطبيق مشروع تقسيم فلسطين ، حيث يكون في امكانها نتيجة ذلك التدخل في فلسطين ، ولما تحققت الحكومة الامريكية مدى نيات روسيا هذه عمدت الى تبديل خطتها فاقنعت مجلس الامن ، اتخاذ قرار بجمع الجمعية العمومية لاعادة النظر في المسألة الفلسطينية واستحصال قرار من مجلس الجمعية المذكورة لتنفيذ اقتراح الوصاية على فلسطين • وحسبما فهمت ان هذه الوصاية ستكون اما لامريكا وحدها ، اولها بالاشتراك مع انكلترا وفرنسا وبعض الدول الصغيرة الاخرى • وهذا هو الارجح • هذا اذا تمكنت امريكا من حمل هذه الدول على قبول هذه الفكرة خاصة باغرائها بتحمل المسؤوليات المالية التي تنجم عن ذلك • وبهذه الصورة تكون قد اخرجت روسيا من الاشتراك في هذه الوصاية • وبتحقيق فكرة الوصاية يتسنى عندئذ فتح ابواب فلسطين للهجرة وبعد استقرار الوضع وتهيئة الحالة ولو بالقوة اذا اقتضى الامر ، ينفذ عندئذ مشروع التقسيم او تعطى فلسطين كلها لليهود • اعتقد انه ليس في مقدوري ولا في استطاعة غيري من الذين سيشتركون في الاجتماع القادم ان يغير سياسة امريكا في هذا الصدد • ومعاليكم قد اطلعتم بنفسكم على التأثيرات والمناورات التي جرت بهذا الخصوص قبلا • هذا وسيكون حضور الممثلين ، لمجرد مشاهدة حكم الاعدام الذي سيصدر على فلسطين ، سيما وان صحتي لا تساعد ابدا على العمل وان تقارير الاطباء تؤيد ذلك •

كان القصد من طلبي المجيء الى بغداد هو ان اوضح للحكومة

العراقية ما اعتقد بوجوب عمله في العراق وفي فلسطين نفسها وليس للمذاكرة حول ما يجب عمله في اجتماع الجمعية العمومية . فارجو اعفائي من الاشتراك في هذا الاجتماع سيما وان النوبة القلبية التي اصابتني في السنة الماضية كانت بسبب الجهد والانهاك اللذين اصاباني في الاجتماع آنذاك .

علي جودت

ثم تركت امريكا ورجعت الى العراق وانا مريض لا اقوى على الوقوف على قدمي ، فحاولت الاتصال بالمسؤولين وغير المسؤولين فوجدت القوم مع الاسف في العراق وفي غير العراق لا يقدرون خطورة الوضع . وجدت شخصا من اهم الاشخاص المسؤولين عن الحركات التي تجري في ارض فلسطين يقضي اوقاته في ربوع لبنان . اما قواد الحركة فلم يكونوا ذوي مقدرة هي على مستوى الاحداث ، بل كانوا حيارى ، مترددين . وليس بينهم من يقوى على تحمل المسؤولية ، ويقوم بعمل سريع مفاجيء وحاسم مهما كلفه الامر . كما ان بعض المسؤولين كانوا مخدوعين ينتظرون ، او يؤملون المدد والمعونة من الخارج . ينتظرونه من الدولة التي كانت اساس الداء ، واصل البلاء وسبب الكارثة ، « بريطانيا » .

لقد اتصلت برئيس الوزراء وهو وطني غيور لا غبار على اخلاصه وحسن نيته . وكان قد تحمل مسؤولية الحكم في ظروف خاصة ، ولكنه لم يكن مهيئا لمواجهة مثل هذه الاحداث . كان يأمل النصر ويردد كلمة (ان شاء الله) على الدوام .

ولذلك قلت في نفسي ـــ والالم يحرق كبدي ـــ لقد شاء الله ان تذهب فلسطين . ولا حول ولا قوة الا بالله .

الوزارة الثانية

عندما وقع الانقلاب العسكري الثانـــي في سوريا في ١٧ آب ١٩٤٩م وهو الانقلاب الذي طوح بحكم حسني الزعيم ، وتألفت وزارة برئاسة المرحوم هاشم الاتاسي وتمثلت فيها الاحزاب السورية كافة، فكر بعض العناصر الوطنية السورية ، ومنها زعماء الحركـة الانقلابيـون ، تعضدهم بعض الشخصيات السياسية وزعمــاء الاحزاب الوطنيـة ، بضرورة انهاء هذه الانقلابات العسكرية والانتكاسات ، بالاتفاق مـع العراق ، واجراء مفاوضات مع حكومته لاقامة اتحاد بين القطرين علـى شكل من الاشكال ، ولكن يظهر ان تلك العناصر كانت قليلة الثقـة بسياسة نوري السعيد او الاطمئنان اليه ، وتخشى المفاوضة معـه . واتصلت هذه المعلومات بالامير عبد الاله الوصي على العرش ، وأدرك سر عدم اقدام السوريين على التقرب اليه . وعلمت اخيرا بـأن بعض تلك الشخصيات قد بينوا للامير اعتمادهم على اخلاصي وحسن نيتي ، واستعدادهم للدخول في المفاوضة معي فيما اذا كنت انا المسؤول .(١) ويظهر ان الامير ، وكان حريصا على تحقيق الاتحاد مـع سورية ، رأى من المصلحة ان يستدعيني ويكلفني بتأليف الوزارة حتى امهد السبيل لهذه الغاية . وبما انني كنت اشعر بما قد يقع مـن مضاعفات ، وأدرك العقبات التي تعترض كل خطوة اخطوها في هذا السبيل ، كمـا اعرف جيدا انني لن اكون حرا في تصرفاتي في معالجة القضية كما ينبغي ، فقد

---

(1) The Struggl For Siria Patrice Seal P. 83

اعتذرت، عن عدم تأليف الوزارة، لعدم ملائمة حالتي الصحية، ورجوت سموه ان يختار غيري للقيام بهذه المهمة التي تحتاج الى فعاليات وجهود مضنية • وعليه رفض قبول استقالة رئيس الوزراء نوري السعيد الذي كان قد قدمها اليه ظنا منه (نوري السعيد) بانني سوف لن اتردد في تأليف الوزارة حالا •

ولكن لم تمض فترة قصيرة حتى اتصل بـــي جميــل المدفعي ، واخبرني ان الامير عبد الاله قد طلب اليه ان يتصل بي ليقنعني بان اعيد النظر في موضوع تحمل المسؤولية في تلـــك الظروف خدمة للقضيــة العربية وهي فرصة قد لا تعود • فاوضحت لصديقي جميل المدفعــي الاسباب التي تجعلني ارفض قبول المسؤولية ، والصعوبات التي سوف تجابهني ، وعدم النجاح الذي ينتظرني في هـــذه المهمة وعلى الاخص لانني لن اكون طليق اليد والفكر في عملي بالنسبة الى المداخلات التي يصعب علي ردها من قبل االامير • هذ من جهة ومن جهــة ثانية ، ان الادارة في الدولة تحتاج الى اصلاح جذري ، وهذا لن يمكن اجراؤه ما دام المجلس النيابي والمسيطرون عليه على ما اعرف يومئذ • وقــد شعرت بان المدفعي قد اقتنع بصواب قولي وذهب الى الامير واكد لــه عدم رغبتي في تأليف الوزارة • على انه لم تمض مدة حتى اتاني مزاحم الباجهجي واسر الي ايضا بأن الامير عبد الاله قد كلفه بان يفاتحني في امر تأليف الوزارة • ولما بينت له الاسباب التي كنت شرحتها للمدفعي قال لي ان البلاط مستعد لان يوافقك على كل ما تريده لتسهيل مهمتك هذه وان المصلحة تقضي عليك بالاذعان، ورجاني ان لا اترددفي القبول•

وبعد بضعة ايام استدعاني الامير عبد الاله الــى قصر الرحاب ،

وكلمني بحضور رئيس الديوان احمد مختار بابان قائلا ان الامر على غاية من الاهمية ، وانه يأمل خيرا في اقدامي على تحمل المسؤولية في تلك الظروف وما لبث ان كلفني بتأليف الوزارة . فقلت له انني على الرغم من حالتي الصحية وما احتاج اليه من الراحة فاني مستعد للقيام بكل تضحية والنزول عند رغبة سموه اذا كانت هناك مصلحة او خدمة للبلد استطيع ان اقوم بتحقيقها . ولكنني اود ان ابين لسموه سياستي الداخلية والخارجية ليكون على بينة منهما فاذا وافق عليهما فاني سوف اقوم بما يأمر به .

السياسة الداخلية ــ الغاء الاحكام العرفية .

اصلاح الجهاز الاداري وتعيين مفتشين اداريين قديرين ونزيهين لمراقبة اعمال الموظفين .

وبينت له انني بعد رجوعي من امريكا وجدت مع الاسف ان التذمر بين الاهالي قد بلغ ذروته ، كما تأكدت من ان هذا التذمر كله ، او بعضه ، كان مرده الى ان المظلوم كثيرا ما لا يجد من يرد اليه حقه ، او يرفع عنه ظلامته . كما ان عدم وجود المفتشين القديرين قد يسهل لبعض الموظفين اهمال واجباتهم . في حين ان من اقدس اعمال الموظف القيام بتسهيل امور المراجعين مهما كانت مراكزهم ومستوياتهم ، واعطاؤهم حقوقهم ، وانصافهم طبقا للانظمة والقوانين .

السياسة الخارجية : الاستمرار على سياستنا التقليدية في العراق وهي توطيد العلاقات الحسنة بالبلاد العربية ومع الدول المجاورة وتلك التي لنا علاقات ومواثيق حسنة معها واحترام العهود والمواثيق الدولية .

اما ما يخص قضية سورية فاعتقد اننا لـن نتمكن من الوصول الى اي حل مفيد ما لم يجر تفاهم سابق مع شقيقتنا مصر حول ذلك • والاسباب هي :

ان كل تقرب من سورية يجعل الجهـة السعودية تقف موقف المعادي لنا ، موقفا مشحونا بالخوف والقلق ، وذلك لما بين العائلتين السعودية والهاشمية من احن تاريخية سابقة تحمل السلطات السعودية على بذل الملايين في سورية لاحباط مساعينا هناك مهما تكن المساعي مبنية على حسن النية والمصلحة المشتركة ، ولذلك ارى من الضروري التقرب الى القاهرة اولا ، والسعي بحسن نية لنبرهن لها على سلامـة مقاصدنا وطلب مساعدتها للتأثير في السعوديين واقناعهـم بانتفاء اي خطر على مصالحهم او مصالح البلاد العربية • بـل ان هناك فوائـد قومية عديدة من جراء التقارب بين سورية والعراق ، من اهمها القضاء على ما يحدث في سوريا بين الحين والاخر من الانقلابات والانتكاسات التي تضر بمصالح العرب عامة وبمصالح سورية والعراق خاصة • فاذا تمكنا من اقناعهم بهذا وظفرنا بتأييدهم نكون قـد مهدنا السبيل للوصول الى هدفنا • فوافق الامير على كل ما بينته ووعدني بتأييده اياي تأييدا مطلقا وتمنى لي التوفيق • وعليه تألفت الوزارة من عناصر يدين اهم افرادها بهذه الفكرة وباشرنا عملنا بحول الله •

وكان اول ما فعلناه هو الغاء الاحكام العرفية • ثم باشرنا بدرس حالة الموظف وما يجب عمله لتحسين حاله وجعله اداة صالحة لخدمة المجموع ، واعددنا لائحة قانون التفتيش الاداري • ولم نترك الفرصة تمر من دون ان نبدأ الاتصال بالقاهرة لارسال وفد للمذاكرة واجراء

تمهيدات لمعالجة وضع سورية • كما اننا طالبنا بتنفيذ الحكم الصادر بشأن استرجاع نحو ٧٥٠،٠٠٠ باون انكليزي عن ضريبة الدخل وهو المبلغ الذي حكم على البنك الشرقي البريطاني بدفعه • وبينما كنا نعمل جادين لتطبيق منهاجنا الذي وطدنا انفسنا على تحقيقه ، واذا بخبر انقلاب ثالث يقع في ١٩ كانون الاول سنة ١٩٤٩ في سورية وقد دبره العقيد اديب الشيشكلي ، واطاح بحكم اللواء سامي الحناوي • وعلى الاثر رجع الوفد الذي كان قد ذهب في ايام وزارة نوري السعيد الى دمشق للمذاكرة في موضوع الاتحاد بين العراق وسورية• ولما كان يهمنا كثيرا ان نطلع على النتائج التي توصل اليها الوفد مدة بقائه في سورية فقد استدعينا رئيس الوفد الى ديوان مجلس الوزراء واستمعنا انا ونائب رئيس الوزراء (مزاحم الباجهجي) الى بياناته التي ادلى بها ، وقال ان كل شيء كان قد تم قبل الانقلاب حتى انه (اي رئيس الوفد) كتب صورة اليمين بيده ووافقت الحكومة السورية عليه • وقد سألنا رئيس الوفد المحترم ان يطلعنا على الاسس التي تم الاتفاق عليها لاجل (الوحدة) فقال : « ان هذا الموضوع لم نبحثه » •

ولكن الذي علمته فيما بعد ان الجانب السوري كان يعد مشروعا مفصلا للاتحاد ليعرضه على الجانب العراقي ، وان هاشم الاتاسي رئيس الوزراء يومئذ ، والوزراء عادل العظم ، ورشدي الكيخيا ، وناظم القدسي ، وغيرهم كانوا في مذاكرة حول هذا المنهاج ، فوضع انقلاب اديب الشيشكلي على سامي الحناوي في ١٩ كانون الاول ١٩٤٩ حدا للفكرة •

وقد صرنا بعد هذا الانقلاب نشعر مع الاسف بالمعاكسات تبدأ وبأن الجهات التي كان مفروضا ان تؤيدنا اضحت تعرقل خطانا . ثم فوجئنا بمقال في جريدة يحررها السيد علي حيدر الركابي « موظف في البلاط » يهاجم فيه الحكومة بلا مبرر .

ومع هذا فلم نتثن عن عزمنا على السير بحسب خطتنا المرسومة وهي ارسال وفد الى القاهرة حيث كنا قد تلقينا الجواب منها بالترحيب . وفي تلك الاثناء ابلغني احد الوزراء انه شعر من حديث له مع الامير بانه لا يحبذ ارسال وفد الى القاهرة . لذلك ذهبت الى البلاط وقابلت الامير ورجوته ان يصرح لي برأيه تماما . وذكرته بموافقته على هذه الخطة ووعده بمعاضدته لي وتسهيل مهمتي ، وقلت له انني اود ان اعلم اذا كان هنالك سبب لتغيير ما اتفق عليه . فاجابني « لا شيء من ذلك » اعمل ما تراه مناسبا . ومع انني شعرت من وضعه العام بانه في الحقيقة غير راض ، فقد قررت ان اسير في خطتي الى اخر الطريق .

ذهب الوفد المؤلف من نائب رئيس الوزراء مزاحم الباجه‌جي ، ووزير المعارف نجيب الراوي ، وكانت لهما علاقات حسنة برجال القاهرة وتذاكرا في الموضوع الذي ذهبا من اجله واتفقا على عقد اتفاق سمي بـ (اتفاق الكرام) وهذا نصه :

(اتفاق الكرام بين الحكومة العراقية ويمثلها كل من فخامة مزاحم الامين الباجه‌جي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ومعالي نجيب الراوي وزير المعارف ، وبين الحكومة المصرية ويمثلها صاحب

المعالي صلاح الدين بك وزير الخارجية المصرية) :

رغبة في توطيد علاقات الود والاخاء القائمة بين البلدين واستجابة لرغبات شعبيهما الشقيقين وعملا على تدعيم اركان الجامعة العربيـــة ، وتنقية جوها من كل ما يكدره قد اتفق الطرفان على ما يأتي :

١ ــ ان يمتنع كل منهما مدى خمسة اعوام مـــن تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق عن التدخل في امور سورية الداخلية وعـــن اثارة او تشجيع ما قد يعتبر تدخلا فيها بالذات او بالواسطة •

٢ ــ ان يعملا جهدهما متضامنين على بذل خير الواسطة بشكل بعيد عن مواطن التدخل ، لتستقر الاحوال في سورية على وضع دستور سليم يستند الى مشيئة الشعب السوري) •

هذه هي مسودة الاتفاقية التي توصل اليها الوفد ورجع بها الى بغداد بالطائرة في ٣٠ كانون الثاني •

وقبل ان يطلع عليها مجلس الوزراء او بالاحرى بعـــد وصول الطائرة بنصف ساعة رن جرس التلفون في غرفتي ، وطلب الـــي ان احضر مع اعضاء الوفد الى قصر الرحاب فاصطحبت الوفد وذهبنا الى القصر حيث اجتمعنا بالامير • وبعد ان انصت سموه الى رئيس الوفد الذي ادلى ببياناته حول المفاوضة وما اسفرت عنه من نتيجة ، تـــرك الامير الجلسة وانسحب من دون ان يبدي رأيا او تعليقا علـــى بيانات رئيس الوفد • وبعد فترة قصيرة حضر رئيس الديوان احمـــد مختار بابان وكان قد ذهب لمقابلة الامير وقال ان الامير يـــود ان تجمعوا

الوزراء وبعض الشخصيات السياسية وسرد اسماءهم • فلم نمانع في تحقيق هذه الرغبة لنطلع على ما قد تنتهي اليه هذه المسرحية • ولما تم اجتماع هؤلاء حضر الامير وبين للمجتمعين كيفية ذهاب الوفد الى مصر ورجوعه منها وكان يظهر على وجهه في اثناء الكلام عدم الرضاء عن المفاوضين وقال ان رئيس الوفد سيبين لكم نتيجة المفاوضات • فلخص رئيس الوفد ما قام به الوفد اثناء زيارته للقاهرة ، وما توصل اليه مع الحكومة المصرية • وهنا بدأ بعض الاشخاص الذين رأوا ان الفرصة سانحة لاظهار معارضتهم ، مستغلين الظرف الملائم في قضية سورية ، لينتقدون ما جرى • ومن جملة ما قاله بعضهم ان الاتحاد يجب ان يحقق حالا من دون تأخير • على انني اعتقد واؤكد بأن اكثرهم حماسة لهذه االقضية (وفي مقدمتهم نوري السعيد) كان أضعفهم ايمانا بها ان لم يكن من معارضيها • وعلى كل ، بعد ان افرغ كل منهم ما في جعبته من البيانات • رجوت الامير ان يسمح لي بان ابين له ، ان الوفد قد رجع توا ولم يكن لدى مجلس الوزراء فرصة للاجتماع والاطلاع على الاتفاقية ومحتوياتها وعلى ما جرى من المذاكرات والتعهدات المتعلقة بها ولذلك فانه لا يسعنا ان نبدي رأيا حولها سواء اكان لها او عليها • اما الاخوان المجتمعون هنا فمع احترامي لآرائهم وحماستهم فانهم غير مسؤولين ، وفي امكانهم ان يبدوا آراء قد تكون مصيبة وقد تكون مخطئة • وليس عليهم في ذلك من حرج • اما نحن كمسؤولين تجاهكم وتجاه وطننا وبلادنا وقد طوقتم اعناقنا بتلك المسؤولية فاني ارجو ان يسمح لنا بأن نعقد مجلس الوزراء غدا ونعرض على سموكم نتيجة قرارنا الذي ارجو ان يكون فيه الخير • وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ليلا ونحن

لم نذق شيئا حتى كأسا من الشاي • وانفضت الجلسة •

وفي اليوم التالي وبعـــد اجتماع مجلس الوزراء مرتين تقدمت بكتاب استقالتي وهذا نصه :

بغـداد

١ شباط ١٩٥٠

صاحب السمو الملكي الوصي المعظم

عندما تفضلتم وعهدتم الـى مخلصكم بتأليف وزارة ، تجاسرت على الاعتذار بحالتي الصحية ، واشرت الى الاخطار التي قـد تجابهها صحتي من الاضطلاع بالمسؤولية • وعندما شاءت رغبتكم الساميـة للمرة الثانية تكليفي بمهمة تشكيل الوزارة ، وبعدم قبول معذرتي ، والالحاح علي بذلك لم استطع الا التشرف بالنزول عند رغبتكم مـع بالغ امتناني لثقتكم الغالية ، لا سيما بعـــد ان تكرمتم ووعدتـم بالتوجيهات الكريمة التي تساعد علـــى تذليل الصعاب ، ومعالجـة الاوضاع المصطنعة التي اقحمت في جو المجلس النيابي لغايات يرمـى من ورائها الى عرقلة سير امور الدولة بغيـــة اشغال الوزارة عـن الاصلاحات الكثيرة التي تتطلبها مصلحة البلاد داخلا وخارجا بسبب الاخطاء الماضية • فبعد ما تألفت الوزارة بالصورة التـي نالت شرف موافقتكم بعد التفاهم مع سموكم على الخطوط الاساسية لسياستها الداخلية التي هي في اشد الحاجة للاصلاح ، وكذلـك الخارجيـة ، وباشرت اعمالها ، ظهرت في بعض الاوساط حركات مريبة وربما كـان مرد بعض اسبابها الى عـــدم ادخال بعض الشخصيات في الوزارة ، وصارت تلك الحركات تتطور وتأخذ اشكالا منوعة من الدس والكيد

تظهر آثارها على صفحات جرائد يعرف الجميع المسيطرين عليها والجهات التي تغذيها . ومع ان الوزارة كانت مطلعة تمام الاطلاع على تفاصيل جميع تلك الحركات وخطوط اتصالاتها فانها دأبت على العمل على تحقيق اصلاحاتها غير عابئة بما يوضع في طريقها من عراقيل ، ذلك لانها كانت شاعرة بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها نحو البلاد ، ذاكرة على الدوام تلك الرغبة ، والثقة الغالية التي اسبغتموها على مخلصكم عند الحاحكم علي بتأليف الوزارة ، لا شك ان سموكم الملكي يذكر انني عرضت عليكم عند المفاوضة حول تأليف الوزارة ان اهم الاسس التي تهدف الوزارة الى تحقيقها في علاقاتها الخارجية هي دعم الجامعة العربية بالتفاهم والتضامن مع الدول العربية لا سيما مصر شقيقتنا الكبرى ، وذلك باعادة الثقة الى صلاتنا معها ، تلك الثقة التي قضت عليها بعض الاخطاء في الماضي وابدلتها بعوامل الجفاء ، بعض تصرفات معروفة ليس من المصلحة تعدادها . فلاجل تحقيق هذه الغايات الخطرة عن طريق تنقية الجو ، واحلال الصفاء مكان الجفاء السائد ، ذهب وفد مؤلف من وزيري الخارجية والمعارف الى مصر ، ثم رجع الوفد الى بغداد بعد ان قام بمهمته احسن قيام فاتى بمقترحات اطلع سموكم عليها وهي ترمي بينما ترمي الى اعادة الثقة ، في جو العلاقات المصرية العراقية والاستقرار الى بعض البلاد العربية ، وذلك تسهيلاً لخلق جو عام مشبع بشعور الاخوة والمصلحة بين الدول العربية كافة حتى تتحقق بواسطته اهدافنا القومية . لقد ظهر لي من المحادثات مع سموكم ما يشير الى عدم حظوتها بالقبول السامي . فلهذا السبب وللاسباب الاخرى التي نوهت عنها في مستهل كتابي هذا اراني مضطرا ان اتقدم الى سموكم مسترحما الموافقة على قبول استقالتي شاكرا ما

اوليتموني من عظيم الثقة مما لن انساه مدى الدهر .

هذا والله اسأل ان يكلأ صاحب الجلالة الملك المعظم بعنايته ويحفظ سموكم للمخلص .

علي جودت

وفي اليوم الثاني من شباط ١٩٥٠ اي بعد تقديم استقالتي بيوم واحد ، جاء صباحا احمد مختار بابان رئيس الديوان الملكي ومعه رئيس التشريفات تحسين قدري الى داري ورجواني ان ابدل بعض الفقرات الواردة في كتاب الاستقالة ، وان اجعل الاستقالة في صيغة بسيطة كما هي في سائر الاستقالات ، فلم اوافق على التبديل ، بل بالعكس ذكرت احمد مختار بابان الذي كان حاضرا تكليفي بتأليف الوزارة بما جرى بيني وبين الامير واصررت على ابقاء نص الاستقالة كما هو ، وذلك خدمة للحقيقة والتاريخ . وهنا لا بد لي من ان ابين ايضا انني لم استشر احدا ولم اطلب الى احد ان يبدي رأيه بضرورة حذف او تبديل شيء مما جاء في كتاب الاستقالة .

Hamad Khalifa

التطورات المصرية واثرهـا في وضع العراق

بعد قيام جمال عبد الناصر واخوانه (الضباط الاحرار) بحركتهم الانقلابية في القطر المصري في ٢٣ تموز ١٩٥٢ ضد الملــك فاروق ، وتمكنهم من ابعاده الى خارج البلاد وتصفية العناصر التي كانت تدور في فلكه وتستغل نفوذه لتنفيذ مآربها ، بذلوا جهودا جبارة لتأمـين الاستقرار في داخل القطر المصري ، وفي الوقت ذاته استفادوا مــن الظروف الدولية فدخلوا في مفاوضات مع الحكومة البريطانية التـي كانت على استعداد للانسحاب من السويس بسبب تطور الاسلحة الحديثة ، ولا سيما السلاح الجوي وتأثيراته السوقية الجديدة ، فعقدوا معاهدة مع بريطانية نتيجة هذه المفاوضات • (١)

---

(١) يهمني ان اذكر بهذه المناسبة مادتين متشابهتين جاءت احداهما في اتفاقية الجلاء المعقودة بين بريطانيا ومصر وجاءت الاخرى في الاتفاقية الخاصة المعقودة بين الحكومـة العراقية والحكومة البريطانية بعد انضمام الاخيرة الى ميثاق بغداد .

المادة الرابعة (٤) من الاتفاقية البريطانية المصرية ١٩ اوكتوبر ١٩٥٤ :

في حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على اي بلد يكون عند توقيع هذه الاتفاقية طرفا في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها في القاهرة في الثالث عشر من شهر ايلول ١٩٥٠ او على تركيا ، تقـدم مصر للمملكة المتحـدة (بريطانيا) من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وادارتها ادارة فعالة .

وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانيء المصرية في حـدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للاغراض سالفة الذكر .

اما المادة الثامنة من الاتفاق الخاص الذي عقد بين العراق والمملكة المتحدة (بريطانيا) بعد انضمام بريطانيا الى ميثاق بغداد فهي:

المادة الثانية :في حالة هجوم مسلح او تهديد بهجوم مسلح على العراق تعتبره كلا الحكومتين المتعاقدتين خطرا على سلامة العراق ، تقدم المملكة المتحدة (بريطانيا) للحكومة العراقية ، بناء على طلب الاخيرة مساعدات تشمل عند الضرورة القوات المسلحة للمعاونة

ثم عقدت الحكومة المصرية النية على ان تقوم باصلاحات داخلية جذرية لمعالجة ما كان يثقل كاهل الشعب المصري من الجهل والفقر والمرض • وباشرت فعلا بالاصلاحات التي كانت البلاد المصرية في أمس الحاجة اليها كالاصلاح الزراعي مثلا ، كما اعتزمت تطبيق خطتها بشدة وبلا هوادة ، وفي الوقت نفسه شعرت بانها لن تتمكن من حل مشكلتها الاساسية ، وهي رفع مستوى معيشة الفرد المنحطة الى اسفل دركات الفقر ، ففكرت في انجاز مشروع السد العالي ، زاعمة ان هذا المشروع يحل مشاكلها جميعا ، ودخلت في مفاوضات مع البنك الدولي للانماء ، واتفقت معه على عقد قرض يساعدها على القيام بالمشروع ، مع اسهام الولايات المتحدة وبريطانيا في تمويل هذا المشروع ، فاصطدمت بعدوتها وعدوة البلاد العربية جميعها ، العدوة اللدود (اسرائيل) ومن ورائها البيوتات المالية التي تسند اسرائيل ، فأثارت هذه دعاية صاخبة ضد مصر ، مدعية انها (اي مصر) حين تسعى لاستقراض مبالغ لبناء مشاريعها الانمائية كانت تذهب الى روسيا وتشتري السلاح والعتاد بعشرات الملايين • والواقع ان مصر كانت مضطرة الى شراء تلك الاسلحة والاعتدة من الكتلة السوفياتية للدفاع عن النفس ، والمحافظة على الكرامة ، بعد ان عجزت هي والدول العربية الاخرى من الحصول على هذه الاسلحة من الدول الغربية الا بمقدار قليل لا تتجاوز نسبة

في الدفاع عن العراق وتقدم الحكومة العراقية جميع التسهيلات والمساعدات لجعل هذه المعاونة سريعة وفعالة (انتهى) .

هذا مع العلم بان مدة اتفاقية الجلاء بين بريطانيا ـ مصر هي سبع سنوات ما لم تتفق الحكومتان على تمديدها .

اما مدةميثاق بغداد فهي خمس سنوات تخول اعضاءها الانسحاب من الميثاق بعد ابلاغ الطرف الثاني تحريريا برغبته في ذلك قبل ستة اشهر من انتهاء المدة .

فاترك للقارىء اللبيب المقارنة بين المادتين والحكم على ايهما .

ما تملكه الدولة العربية كلها منه ، ما تملكه اسرائيل وحدها • وكان معلوما ـ لدى كل من يتتبع سير الحوادث في الشرق الادنى ان اسرائيل كانت تغير على البلاد العربية المجاورة لها ، غير متورعة عن قتل النفوس البريئة ، وهدم القرى الآمنة التي تتمكن من الوصول اليها • وعلى الرغم من الاحتجاجات والشكاوي على اعمالها البربرية هذه ، وثبوت اعتداءاتها فانها لم تلق من الدول الكبرى ، ولا سيما انكلترا وامريكا وفرنسا حتى ومن الامم المتحدة ، من الاجراءات ما يمنعها من تكرار هذه الاعمال الوحشية •

وعليه فأن البنك الدولي قد وقع تحت هذه المؤثرات ، ورفض اعطاء الحكومة المصرية ذلك القرض ، كما انسحبت الولايات المتحدة وبريطانيا من الاسهام فيه ، فعمدت حينئذ (مصر) الى تأميم قنال السويس نكاية باصحاب الامتياز والمنتفعين معا ، واعلنت قرارها وأبلغته من يخصه الامر من الدول صاحبة الاسهم في امتياز شركة القناة • فقامت قيامة اصحاب الامتياز وشرعت انكلترا وفرنسا تهددان وتتوعدان الحكومة المصرية زاعمتين انها (مصر) خالفت المعاهدات ، وخرقت القوانين الدولية بتأميمها شركة القنال ، فهب الشعب العربي في جميع الاقطار العربية يؤيد القطر المصري ، ويظاهره بقوة ، كما اظهر سخطه على الانكليز والفرنسيين • وكانت الحكومة الانكليزية خاصة، ضعيفة الحجة في ادعاءاتها ومزاعمها بأن التأميم مخالف للقانون الدولي وللاتفاقات المعقودة ، وانه غير عادل • اذ انها (انكلترا) سبق ان اممت الكثير من المرافق العامة في بلادها •

وعلى كل فقد عقدت اجتماعات دولية ، وقامت توسطات ، وبذلت

مساع مختلفة للتأثير في الحكومة المصرية ، وحملها على الكف عن التأميم ، او على الاقل تعديل الوضع الذي انكرت الحكومة المصرية فيه حقوق اصحاب الامتياز ــ ما عدا حق التعويض عن اسهمهم، وركنت انكلترا الى المناورات السياسية على عادتها ، كاشراك المنتفعين من القناة واصحاب الاساطيل البحرية • ولكن جميع هذه الاساليب كانت عقيمة ، لم تثمر شيئا ما • ثم ادت تهور المستر انطوني ايدن ، رئيس وزراء بريطانيا ، وسخافة من ايده من السياسيين البريطانيين والافرنسيين الى قيامهم بالمؤامرة المفضوحة او المغامرة الفاشلة ، وذلك بالاتفاق مع اسرائيل على القيام بهجوم مسلح على القوات المصرية في الوقت الذي كان الاخذ والرد فيه يجريان على قضية قانونية صرفة • ولا غرابة في هذا التحدي للحق ففي تاريخ الحكومات الاستعمارية امثال كثيرة لمثل هذه الاعتداءات على الامم المستضعفة ، ولكن لم يكن بينها ما هو اشد فضيحة واعظم سخفا من مثل هذه المغامرة ، وعلى الاخص لان الظروف العالمية كانت قد تبدلت تبدلا خطيرا يجعل من الصعب وقوع الاعتداء بالقوة وبصورة ظاهرة • وكان المضحك المبكي في هذه المجازفة ان تهاجم اسرائيل الحدود المصرية فتساندها انكلترا وفرنسا بقواتهما البحرية والجوية ، فتفتك اسرائيل بالسكان الآمنين ، مدمرة المنشآت المصرية ، ثم يظهر انطوني ايدن على المسرح وينذر الطرفين بان يبتعدا عن قناة السويس مسافة عشرة كيلومترات ، وهو يقصد بهذا الانذار طبعا ، ابعاد القوات المصرية عن القناة ، ليتسنى له الدخول الى البلاد ، والسيطرة عليها فتصبح كما كانت قبلا • كانت هذه المناورة سخيفة جدا حتى بادر كثيرون من رجال الانكليز السياسيون الى استنكارها •

أؤكد للقارىء باني ، كلما مر بخاطري هذا الحادث الاليم ، وكلما

اتذكر ان الذي امر بتخطيطه او وافق عليه ، هو رئيس وزراء بريطانيا العظمى المستر انطوني ايدن ، اشعر بأن هذا الرجل اصيب باختلال في اعصابه وتفكيره ، فان تخطيط مؤامرة كهذه لا يصدر الا عن رجل فقد رشده. فقد اضر هذا الرجل بمصالح حكومته ضررا بليغا ، وجعل علاقتها مع البلاد العربية تسير الى الدرك الاسفل ، كما انه فضح اعمالها العدوانية وتعدياتها للرأي العام العالمي ، ولذلك فقد صوتت أربع وستون دولة ضد تلك الاعمال العدوانية في الاجتماع المنعقد لهذه الغاية في الامم المتحدة ، كما تقرر وجوب سحب القوات المعتدية من الحدود المصرية .

وفي الحقيقة كان هذا العمل البغيض من قبل « ايدن » هدفا للهزء والسخرية حتى في بلده فاضطر الى الاستقالة والانسحاب من الميدان السياسي حالا . وقد استغلت الكتلة الشيوعية هذا الحادث ، وتظاهرت بمساندة الحكومة المصرية . وكذلك شأن الحكومة الاميركية فقد رأت ان السكوت عن هذه الحماقة يضر بمصالحها ايضا ، فوقفت وقفة حازمة ساندت فيها الحكومة المصرية . وطبيعي ان تسير مظاهرات، وان ترتفع احتجاجات صاخبة من الشعوب العربية في البلاد العربية كافة ، ولا سيما في العراق . ويسعدني ان اكون اول من صرح في الجرائد العراقية بشرعية التأميم (١) واول من ندد بالاجراءات الاجرامية التي قامت بها بريطانيا وفرنسا وربيبتهما اسرائيل . ولهذه المناسبة دعي بعض رؤساء الوزارة السابقين الى الاجتماع في قصر الرحاب مع اعضاء الوزارة القائمة انذاك ، بحضور الملك والامير عبد الاله ، فكنت

(١) جريدة الزمان تاريخ ٢٨ - ٧ - ١٩٥٦

اول من لام نوري السعيد رئيس الوزراء ووزير خارجيته على موقفهما البارد من الهجوم الجائر على الشقيقة مصر ، لا سيما وان بريطانيا احدى الدول الموقعة على ميثاق بغداد ، وهي لم تكتف بما قامت به بنفسها ، بل اشتركت في التآمر مع اعدى اعداء العرب وهما فرنسا واسرائيل في الهجوم بقواتهما المسلحة . واستنكرت سكوت الحكومة العراقية على هذه الاعمال على الرغم مما تفرضه علينا واجبات « ميثاق الدفاع المشترك والضمان الجماعي » والمصالح المشتركة . كما بينت ان الرأي العام العراقي يغلي حقدا على هذه الاعمال الوحشية ، ويطلب الانتقام . على ان الحكومة العراقية مع الاسف لم تحرك ساكنا بل اقتصر الامر على تصريح وزير الخارجية الذي قال للسفير البريطاني : (انه يستغرب وقوع هذا العمل من الحكومة البريطانية) ولا ادري ما اذا كانت لفظة « الاستغراب » تكفي لاظهار السخط على هذه الاعمال البربرية ؟ وبعد ان انهيت كلامي وملامتي . قال لي نوري السعيد وماذا تفكر ان نعمل الان وقد وقع هذا الحادث ؟

قلت له ــ هذا شأنك وعليك انت ان تفكر بما وقع وتقوم بما يمليه عليك الواجب من الاجراءات . ولكن مع الاسف لم تقم الحكومة بأي عمل يبرىء ساحتها من التقصير ، او يطمئن الرأي العام . (١)

---

(١) لم اتذكر ، ان احدا من رؤساء الوزراء السابقين الذين حضروا ذلك الاجتماع ، قد لام رئيس الوزراء نوري السعيد لعدم منعه انطوني ايدن من الهجوم على الشقيقة مصر ، كما بينه الاستاذ خليل كنه بكتابه (العراق امسه وغده) الذي نشره اخيرا .

والمعروف ان رؤساء الوزراء السابقين الذين يعنيهم الاستاذ المحترم كانوا على ثقة بان المستر ايدن قد يؤثر على نوري السعيد ، ولكن ليس بمقدور نوري السعيد ان يمنع ايدن من القيام بمثل هذه الحركة .

اؤكد للاخ المحترم باني لم اوجه ملامتي لنوري رحمه الله وهو صديقي ، الا لانبهه لوجوب القيام بعمل يبرىء به ساحته في تلك الظروف الحرجة .

اذ كانت هناك موجة عارمة من التذمر والهيجان والسخط على الانكليز وشركائهم في تلك الجريمة النكراء • وراحت العناصر الوطنية وقد هزها الشعور بالكرامة ، تدعو الى الانتقام من الحيف والتعدي اللذين وقعا على ابناء قومهم ، وقد كانت النفوس مملوءة بالنفرة من الدول الاستعمارية التي تحمي اسرائيل واعتداءاتها واغتصابها قطعة من اقدس البلاد العربية • ولا يخفى على القاريء اللبيب ما كانت تقوم به العناصر الشيوعية المتخفية وراء هذه الحركة من تأجيج نيرانها ضد نوري السعيد ، وضد الامير عبد الاله الذي كان يسنده ويسند اتجاهه السياسي • ولذلك اخذت المظاهرات والاحتجاجات تترى ، بل انها لم تنقطع يوما واحدا •

اجل ان الطبقة المنورة من اساتذة ومحامين واطباء كانت تتقد غيرة وتحث على الانتقام من السلطة التي لم تشف غليلهم باجراءات جدية تبرهن فيها عن استنكارها اعمال الانكليز على حين قام الروس والامريكان انفسهم واظهروا استياءهم من الحركة الجنونية التي ارتكبتها الحكومة البريطانية •

وقد احست امريكا بالضعف الذي اصاب موقف بريطانيا في الشرق الادنى ، وخشية ان يتزعزع مركز الغربيين فيه كله ، واحتمال اهتبال الروس هذه الفرصة بتدخلات قد تكون نتائجها خطيرة عليها ، فأعلن الرئيس الاميركي ان المنطقة تهمه كثيرا وان استتباب الامن فيها امر حيوي بالنسبة الى امريكا ، ولذلك فان امريكا ستقوم بصد اي هجوم قد يقع على دول المنطقة فيما اذا طلبت ذلك حكومة من حكوماته التي قد يقع الهجوم عليها • وقد بادرت فعلا فيما بعد الى

تلبية الطلب الذي تقدمت به السلطة اللبنانية في تموز ١٩٥٨ فانزلت بعض قواتها لمجابهة التطورات المحتملة ٠

★ ★ ★

وبعد لأي رؤى تأليف وفد من بعض رؤساء الوزراء السابقين برئاسة الامير عبد الاله للاتصال بالحكومة الامريكانية عن كثب ، وشرح عدم الاستقرار في المنطقة وضرورة تلافيها ٠ ومطالبة امريكا بتنفيذ ما وعدت به من مساعدات واسلحة وعتاد لاكمال تجهيز الفرقة التي كان قد شرع بتأليفها بحسب ميثاق بغداد ، وقد اقترح ان يؤلف الوفد من كاتب هذه السطور ومن السادة صالح جبر ، وتوفيق السويدي ، ثم التحق فاضل الجمالي من نيويورك بالوفد ، ونائب رئيس الوزراء احمد مختار بابان ومن خبير عسكري هو اللواء غازي الداغستاني ٠ ومع اعتقادي بعدم جدوى هذا الاتصال فقد وافقت على الذهاب بناء على الالحاح الذي وقع علي ، وعلى امل الوقوف على ما يمكن ان يكون وراء هذه المحاولة ٠

وفي طريقنا الى لندن دعي الوفد الى تناول طعام العشاء في احد الايام من قبل وزير الخارجية البريطانية ، كما دعي مرة اخرى من قبل رئيس وزرائها ، وجرت في هذه الاثناء محادثات شخصية مع وزير الخارجية البريطانية حول مهمة الوفد لكنها لا تستحق الذكر ٠

وصلنا الى واشنطن واجتمع الوفد بوزير الخارجية الامريكية المستر دالاس ، وبالمسؤولين في وزارة الدفاع (البانتاكون) عدة مرات وذهب الامير عبد الاله لزيارة الرئيس ايزنهاور ، كما انه زار الملك

سعود الذي كان آنذاك يزور واشنطن • وفي احدى الاجتماع مع المستر دالاس شرح اعضاء الوفد اسباب الاضطراب في الشرق الادنى وكان مرده لا شك الظلم الذي اصاب البلاد العربية في قضية فلسطين ، كما بينوا له بصورة قطعية ومطلقة بانه اذا لم تحسم قضية فلسطين على صورة تحفظ حقوق العرب وكرامتهم ، فلن يكون استقرار في الشرق الادنى • فكانت اجوبة الوزير كلها غموضا وتمنيات ، شأن تصريحات الامريكان في كل وقت عن هذه القضية •

وان نسيت فلا انسى يوم اتى هذا السياسي اللبق (دالاس) الى بغداد في ١٩٥٣ وكنت نائبا لرئيس الوزارة العراقية التي كان يرأسها جميل المدفعي ، وكان رئيس الوزراء المدفعي ووزير الخارجية توفيق السويدي قد الحا عليه بحسم قضية فلسطين لانها هي اصل البلاء في هذه المنطقة فكان جوابه انه هو ايضا يشعر بضرورة حلها وان الرئيس ايزنهاور لم يستند الى كتلة معينة في انتخابه رئيسا للجمهورية (١) وان امريكا اشبه ما تكون بحيوان ضخم لا يمكنه ان يدور بسرعة بل يحتاج الى زمان ليدير رأسه الى جهة اخرى •

وفي احدى الجلسات طالب الوفد وزير الخارجية باعطاء الاسلحة والعتاد الضرورية لاكمال نقائص الجيش العراقي ، فاجاب الوزير الامريكي انه يستغرب من الحاح العراق على امريكا بتقديم السلاح وتكديسه • فاجابه الخبير العسكري (غازي الداغستاني) ان العراق لا يلح عليكم بطلب الاسلحة لتكديسها ، وانما هو يطلبها لاكمال تجهيز

---

(١) اراد بذلك ان يبين بان ايزنهاور لم يستند على اصوات اليهود كما فعل ترومان من قبله .

الفرقة التي تألفت اخيرا بحسب الخطة المقررة بموجب ميثاق بغداد ، وبعلم من الحكومة الاميركانية التي سبق وعدها بالمساعدة على تأمين حاجات هذه الفرقة • وهكذا انهى الوفد زيارته ومقابلاته من دون ان يحصل على شيءملموس وهو ما كنت اعتقده قبل الذهاب الى امريكا •

عاد الوفد وعرج في طريقه على الرباط لزيارة المملكة المغربية وملكها الغيور محمد الخامس واستقبل استقبالا حافلا • وفي خلال زيارته كان موضع تكريم وترحيب بالغين من قبل الحكومة وملكها العظيم •

★ ★ ★

بعد ان تم عقد ميثاق بغداد ، وما احدثته الدعاية ضده من سوء فهم وتعليل ، وبعد الهجوم الغاشم الذي وقع على السويس وما تخلله من اعتداءات واقتطاع قسم اخر من البلاد العربية وضمه الى اسرائيل ، اصبح العراق ـ مع الاسف ـ هدفا مباشرا لتهجمات الاذاعات في بعض البلدان العربية ولا سيما مصر (صوت العرب) وسورية ، وكان كثيرون من رجال المعارضة في العراق يغذون هذه الحملات التي اشتدت واستهدفت بصورة خاصة نوري السعيد رئيس الوزراء ، والامير عبد الاله ، واستغل حكام مصر هذه الفرصة ، فاوعزوا الى اجهزة دعاياتهم لتشديد الحملة على العائلة الهاشمية بالذات ، من دون استثناء احد منها ، حتى امتد الهجوم على النساء المحصنات من افراد العائلة المالكة ، مما يخالف التقاليد العربية والعرف والمروءة • وجاءت قصة المؤامرة على سورية لتبديل الحكم فيها ، وما حرضت عليه

السلطات السورية في محاكمها واذاعاتها ، ومخابراتها واحتجاجاتها الرسمية من تشهير ودعايات مقصودة • هذه الامور كلها ، جعلت الشعب العراقي قلقا على سمعته في البلاد العربية • وقد استغل رجال المعارضة هذا الشعور ، وتحاملوا على السلطة ، وتقدموا بكتب شديدة اللهجة ، ومذكرات قاسية الى البلاط الملكي ، والى رئاسة الوزارة ، محتجين منتقدين تلك السياسة الخاطئة التي تفرق بين البلاد العربية • ولا ينكر هنا ما قامت به الاحزاب الشيوعية (والصهيونية) من نشاط لاستغلال هذا التذمر ، وذاك الهيجان ، وبعلم بل وبالاتفاق مع قادة بعض الاحزاب ورجالها لتحطيم الوضع القائم للتخلص من عبد الاله ونوري السعيد • والواقع ان الكثيرين من رجال العراق المخلصين كانوا ، بالنظر لتطور الحالة السياسية في المنطقة يعتقدون ان الظروف والمصلحة العامة تقضي بانسحاب هذين الرجلين من مسرح السياسة — وقيام وزارة بعيدة كل البعد عن المداخلات في سورية كما كان يقع من وقت لآخر ، وان تبني سياستها على اصلاح ادارتها الداخلية ، وتنظيم اقتصادها ووضعها الاجتماعي على اسس متينة • وعلى كل فقد اشتد التذمر وكثر السخط على الوضع القائم الامر الذي اضطر نوري السعيد الى ان يقدم استقالته في ٨ — ٦ — ١٩٥٧ فقبلت •

وعلى الاثر كلفت بتأليف الوزارة •

الوزارة الثالثة

تألفت وزارتي الثالثة في اليوم العشرين من حزيران ١٩٥٧ وقد القيت في حفلة الاستيزار البيان الاتي . ـ مخاطبا به رئيس الديوان الملكي :

ارجو ان تقدموا خالص شكري واحترامي الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم للثقة الغالية التي اولاني اياها كما ارجو الله تعالى ان يمكنني لاكون عند حسن ظنه .

وتوجهت بالحديث الى الذين حضروا حفلة الاستيزار من كبار الموظفين ، وصحفيين واعيان كرام .

اخوانـــي :

انني لم اقدم في هذه الظروف الدقيقة على تحمل اعباء المسؤولية الا اعتمادا على مؤازرة المخلصين من ابناء الشعب الكريم ، وخاصة زملائي الذين سيتحملون القسط الوافر من هذه الاعباء ، وكذلك اعتمادا على موازرة اخواني موظفي الدولةالذين اعتقد انهم قوامالجهاز الحكومي . وبهذه المناسبة ارجو اخواني الموظفين ان يعلموا بانهم خدام مخلصين لهذا الشعب . وهذه خدمة مقدسة ، وان يضعوا نصب اعينهم ان من اقدس واجباتهم ان يسهلوا ما يطلبه المراجعون منهم ، وبهذا نكون قد ادينا خدمة صالحة لابناء الشعب . انا واخواني سنبذل جهدنا لاصلاح ما يمكن اصلاحه في الامور الداخلية ، وسأعني

كثيرا بتعيين المفتشين سواء كانوا اداريين او ماليين او قضائيين حتى يكونوا عيونا على اعمال الموظفين (١) •

اما السياسة الخارجية فالخطة معلومة ولا تحتاج الى توضيح • واهم مسألة هي ان تكون علاقاتنا حسنة مع الكل ، ولا سيما مع البلاد العربية والبلاد المجاورة • ورب قائل يقول : ربما كانت هناك بعض الغيوم في الجو السياسي • ولا شك في اني وزملائي سنسعى لازالة هذه الغيوم • واسأل الله ان يوفقنا لخير هذه البلاد •

وفي ٦ تموز سنة ١٩٥٧ عقدت مؤتمرا صحفيا في ديوان مجلس الوزراء اعلنت فيه سياسة الوزارة الخارجية والداخلية كما يلي : (٢)

مسؤولية الحكم

حينما اولاني جلالة الملك المعظم ثقته الغالية فعهد الي بتأليف الوزارة كنت مقدرا للمسؤوليات الجسام التي ستلقى على كاهلي في مثل هذه الظروف التي يمر بها العالم عامة والعالم العربي خاصة ، ولكنني صدعت بالامر مستعينا به تعالى وبتأييد صاحب العرش ومؤازرة المخلصين من ابناء وطننا العزيز للقيام بقسطي من الخدمة التي يفرضها علي الواجب الوطني المقدس تجاه الشعب العراقي الكريم والامة العربية الكريمة •

السياسة الخارجية

ان مما لا ريب فيه ان الدول لا تبني سياستها الخارجية على

---

(١) اني لا ازال اعتقد بوجوب تعيين مفتشين قديرين ونزيهين لمراقبة اعمال الموظفين وحثهم على القيام بواجباتهم وتسهيل انجاز طلبات المراجعين وفق القوانين المرعية .

(٢) جريدة الزمان ٧ تموز سنة ١٩٥٧ عدد ٥٩٨٧ .

الارتجال وانما تستوحيها من مصالحها الحيوية وتقاليدها ودينها . وقد تمشت لحسن الحظ الحكومات العراقية المتعاقبة على هذه السياسة .
اما علاقتنا مع الدول العربية فهي تستند على روابط الدم والقربى فضلا عن المصالح القومية المشتركة ، وقد نظم هذه العلاقات ميثاق جامعة الدول العربية ، وميثاق الضمان الجماعي العربي . والمعاهدات والاتفاقيات الاخرى ، وان هذه الوزارة في الوقت الذي تعلن فيه اصرارها على التمسك بالمواثيق الانفة الذكر فانها ستبذل كل ما في وسعها لتوثيق اواصر الاخوة بين جميع الدول العربية من البحر العربي حتى المحيط الاطلسي بكل الوسائل الممكنة ، لازالة الخلافات الطارئة، واعادة الامور الى مجاريها الطبيعية .

واعتقد بأن الخلافات تفيد الاعداء فقط وتضر بمصالحنا جميعا ، ولذلك فاني امد يدا مخلصة الى جميع المخلصين من ابناء الامة العربية للتعاون في كل ما من شأنه رفع شأن الامة العربية وتعزيز استقلالها وتحقيق امانيها والحصول على حقوقها كاملة غير منقوصة كما اننا مستعدون لوضع جميع امكاناتنا وجهودنا بالتعاون مع الدول العربية الشقيقة والدول الاسلامية الحليفة والدول الصديقة لحل قضيتي فلسطين والجزائر حلا عادلا يحفظ لاهلهما حقوقهم المشروعة ويحقق أمالهم في الحرية والاستقلال واننا نقف الى جانب اخواننا العرب في جميع قضاياهم العادلة وتؤكد البيانات الرسمية ان خليج العقبة عربي صرف وليس لاية دولة اجنبية حق التدخل فيه . واننا سنواصل السير في سياستنا التقليدية في توثيق اواصر الاخوة والصداقة مع الدول الصديقة المجاورة والدول الاسلامية التي تربطنا واياها علاقات سياسية

واقتصادية ومصالح مشتركة تؤيدها المواثيق التي نعتزم تنفيذهـــا واحترامها وفقا لالتزاماتنا الدولية .

اما علاقاتنا بالدول الاجنبية فانها علاقات صداقة مستمدة مـن مصالحنا المتبادلة وانها تقوم على اساس من المساواة وتبادل المنافـع وعدم السماح لاية دولة بالتدخل في شؤوننا ، واننـا سنقاوم الاراء والمبادىء الوافدة التي تستهدف القضاء على تقاليدنا وتراثنا القومي .

هذه هي الخطوط الاساسية في سياستنا الخارجية وان لي وطيد الامل في ان الدول العربية الشقيقة لا بد من انها اخذت تتفهم سياسة العراق التقليدية التي تمليها عليه ظروفه الخاصة وموقعه الجغرافـي للمحافظة على كيانه ووحدته . وقد برهنت الحوادث في اكثر من مناسبة على انها سياسة صائبة اسدت الى العراق والبلاد العربية خدمات عظيمة في اصعب الظروف .

السياسة الداخلية

اما في الحقل الداخلي فاننا سنتولى معالجة عدد من القضايـا المتعلقة بحياة الشعب الاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافيـة والصحية ، وضمن هذه المشاكل اختلال الميزان التجاري . فعلى الرغم من ان هذا الاختلال ناجم في الدرجة الاولى عن تضخم استيراد السلع اللازمة لمشاريع الاعمار والاصلاح فان هناك من الاجراءات ما يكفـل ضغط الفارق بين كفتي التجارة الخارجية الى اقصى حـد تسمح بـه حاجات البلاد الاقتصادية والاجتماعية ، ومن هذه الاجراءات حـل المشاكل المؤدية الى عرقلة تصدير بعض محاصيلنا ولا سيما الشعـير

والتمور والوصول الى اكبر عدد من الاسواق الخارجية للارتفاع بمعدل الاسعار الممنوحة لمنتجاتنا واتخاذ الترتيبات الملائمة لايجاد شيء من التوازن في معاملاتنا التجارية مع بعض الدول .

على ان العلاج الاهم للمشكلة الاتفة الذكر يكمن في الهدف الاساسي الذي نرمي اليه ، وهو زيادة الانتاج المحلي وتسهيل نقله ، ولهذا الغرض فاننا ننوي تحقيق مشروع الاسطول البحري والاسراع في استكمال الخطوات اللازمة لتنفيذ مشروع النقل النهري ، وادخال اصلاحات اساسية على السكك الحديدية ، وتنفيذ سياسة تستهدف انشاء عدد من الطرق الرئيسية بأسرع وقت ممكن كل ذلك بقصد خفض نفقات الشحن وتسهيل نقل المحاصيل من مناطق الانتاج .

وسنعمل على تعميم وتوسيع الصناعات الخفيفة التي تتوفر موادها الاولية ، وعلى المؤازرة في انشاء اية صناعة ثقيلة مضمونة النجاح . ان العناية بشئون الصناعة والنقل لن تصرف اهتمامنا عن شئون الزراعة حيث سنعمل على تعميم المكائن والمعدات الزراعية الى اقصى حد ممكن ، كما سنعمل على صيانة وتنمية ثروتنا الحيوانية التي ينبغي لها ان تأخذ مكانها اللائق في اقتصادياتنا .

وكذلك فاننا سنشرع في استثمار ما ثبت وجوده من الموارد الطبيعية غير النفط ، وسنوالي البحث عن مختلف المعادن المحتمل وجودها في تربتنا . اما النفط فاننا سنتخذ بشأنه اسرع الاجراءات الكفيلة بتوسيع انتاجه وتصديره وزيادة عوائد البلاد منه .

وفيما يتعلق بمشاريع الاعمار فاننا سنمضي في تنفيذ المناهج

المصدقة على اساسين هما ــ تقديم الاهم علـــى المهم ، والاسراع في تنفيذ المشاريع التي تؤدي الى رفع مستوى معيشة اغلبية الشعب • وسيكون من اهدافنا الرئيسية اتباع سياسة الاقتصاد والتوفير فـي انفاق اموال الدولة كما اننا سنوالي السير في سياسة تنويـع غطـاء العملة العراقية وارصدة البلاد الاجنبية استكمالا لاسباب قوتنـــا الشرائية في الخارج •

وفي مجال الضرائب فاننا ننوي الغاء الطريقة الحالية في استيفاء الضريبة الزراعية الرئيسية وهي رسم الاستهلاك ، والاستعاضة عنهـا بضريبة عادلة تفرض على الارض وذلك تخلصا من مساوىء الجبايـة الملحوظة في الوقت الحاضر وتحقيقا لقسط اوفر من العدالة في توزيع الاعباء الماليـــة •

وفي مجال المعارف فاننا نهدف الى تعميم التعليم ، والى تعديـل المناهج الدراسية بحيث تستهدف تربية قومية حقة وثقافة عصريـــة مفيدة مع التوسع الى اقصى حد في نشر التعليم المهني والصناعـــي والزراعي لمواجهة حاجات البلاد الملحة في الميادين العلمية ، ورفـــع مستوى التعليم العالي وتنظيمه كما ان قضايا الطلاب ستكون موضـع بحثنا وعنايتنا • وسنمضي في توسيع الخدمات الاجتماعية ولا سيمـا ما يتعلق منها بشؤون العمال كما اننا ننوي زيادة الخدمات الصحيـة المجانية الى ابعد مدى ، والاكثار من فتح المستوصفات في المحـــلات النائية ، ورفع مستوى المؤسسات الصحية بصورة عامة •

وكذلك فاننا سنولي جهاز الدولة العناية اللازمة لاصلاحه وتقويته

وذلك عن طرق تأسيس مجلس الخدمة الذي نص عليه قانون الخدمة المدنية ، وتقديم الاكفاء لاشغال وظائف الدولة .

وسينال الجيش نصيبا وافيا من الاهتمام سواء من حيث تجهيزه بالاسلحة والعتاد والمعدات الحديثة ، او من حيث تدريبه على الوجه الاكمـــل .

ولا يفوتنا ان ننوه برغبتنا في افساح المجال الواسع لافراد الشعب لممارسة حرياته الدستورية وذلك وفقا للقوانين المرعية . « انتهى »

وكان اول واهم عمل يجب ان اقوم به هو تأمين الاستقرار وادخال الطمأنينة الى النفوس القلقة بسبب الاوضاع التي سبق ذكرها ولذلك بادرت الى ازالة التشويش الذي كان قد وضع على اذاعة القاهـــرة (صوت العرب) وكانت هذه الاذاعة (صوت العرب من القاهرة) تواصل حملاتها واكاذيبها الملفقة من دون توقف . فقابلتها بالصبر ولم اسمح للاذاعة العراقية بان تقابلها بالمثل .

ولاول مرة بعد حفلة الاستيزار ، حين حضر القائم باعمال السفارة المصرية الى ديوان مجلس الوزراء ، رحبت به ورجوته ان يبلغ وزيـــر الخارجية المصرية السيد محمود فوزي ، سلامي ، وكان المذكور صديقي وكذلك رجوته ابلاغ تحياتي للرئيس جمال عبد الناصر وان يبين لهما ان الحملات الاذاعية التي تشنها اذاعة (صوت العرب) بشكلها الحاضر لن يستفيد منها الا الاستعمار والصهيونية ، وهؤلاء يسرهـــم ان يشاهدونا متخاصمين متفرقين . ومضت مع الاسف مدة على رجائـــي هذا من دون ان اتلقى اي جواب من القائم بالاعمال كما رجع بعد مدة

السفير المصري السيد قطامش فقابلته مرارا وتكلمنا كثيرا في هـذا الموضوع • ووعدني بانه سيكتب الى وزارة الخارجية ويطلب بالحاح توقيف تلك الحملات الظالمة ولا اخاله الا قام بما وعد به ولكن الحملات مع هذا لم تقف •

وبهذه المناسبة اذكر اني كنت قابلت وزير الخارجية المصرية السيد محمود فوزي في نيويورك قبل ان اتقلد المسؤولية ببضعة اشهر ، وذلك عندما ذهبت مع الوفد العراقي الى امريكا ولفت نظره الى قسوة الاذاعة ، ورجوته ان يبذل جهده لتخفيفها لئلا تكون سببا للاضرار بالعراق لمجرد وجود سوء تفاهم بين الحكام المصريين وبين رجل او رجلين في العراق وبينت له ان العراق دولة عربية مستقلة ، وليس من مصلحة العروبة الاضرار بمصالحها • وما كنت ادري بأن الخطة المرسومة لهذا الموضوع في القاهرة لا يمكن لاحد ان يغيرها • فقد ظلت حملات الاذاعة تزداد عنفا يوما بعد يوم ، حتى تناولت العائلات والمحصنات • وكانت الصحف والمجلات المصرية تؤيد كل ما يرد في تلك الاذاعة • وقد تحملت بصبر جميل كل ما كان يوجه الي من لوم ، لصرف النظر عن شدة ما يصدر من اذاعة صوت العرب من تهم ، واكدت تعليماتي للموظفين في الاذاعة العراقية بان لا يقابلوا السوء بالسوء •

ثم طلبت الى السلطات المصرية اعادة المعلمين المصريين الذين كانت الوزارة السابقة قد استغنت عنهم ولم تستقدمهم بسبب التوتر الحاصل ، وسمحت للوفد الثقافي المصري بأن يحضر الى العراق بعد ان كان قد منع من المجيء الى بغداد ، وقد حضر اعضاؤه فعلا

واجتمعوا باخوانهم اعضاء المؤتسر الاخرين من سورية ، ولبنان ، والاردن ، والسودان ، والسعودية ، وتونس ، والكويت • وكنا قد هيئنا لهم كل اسباب الراحة للاجتماع حيث تجلت فيه الالفة والمحبة • وذلك بفضل الجهود العظيمة التي بذلها وزير المعارف الغيور عبد الحميد كاظم بهذه المناسبة • فكانت هناك خطب حماسية جعلت الاوساط القومية العربية تبتهج لذلك الاجتماع وما نتج عنه من لقاء سعيد بين الاخوان •

هذا كله وغير هذا مما توقعت ان يؤدي الى تخفيف حملات اذاعة صوت العرب وحدة التوتر ، واحلال الوئام والسلام بين الدولتين الشقيقتين ، لم يكن ليجدي نفعا ولم يؤت اكله • ان عقيدتي الثابتة هي : ان المهاترات بين ابناء القوم الواحد ، او الشعب الواحد لا يستفيد منها الا الاعداء ولا يمكن ان تحسم بواسطتها القضايا العامة ، سياسية كانت ام غير سياسية • نعم • قد تستعمل هذه الاساليب بين خصمين لا تربط بينهما رابطة لغة ودين ومصلحة ولكن لا ينبغي استعمالها بين العراق ومصر ولا بين الدول العربية التي يسعى فيها من يسعى لتوحيدها • ولا اكتم انني اصبحت اشك في وجود علاقة بين اسرائيل وبين من يقوم باعداد مناهج السباب باذاعة صوت العرب التي ركزت تهجماتها على البلاد العربية الواحدة تلو الاخرى • ان مصر هي اكبر البلاد العربية ، وان اسرائيل هي العدوة الاولى للبلاد العربية فاذا قامت مصر بمحطاتها الاذاعية وجرائدها ومجلاتها تهاجم اعداء اسرائيل فماذا تطلب اسرائيل اكثر من ذلك لكي تكون في مأمن من جيرانها واعدائها ، وقد وجد من يخاصمهم ويفكك اوصالهم ؟

الوضع في ســوريا

بدأت الاخبار عن تردى الوضع في سوريا تأتي الينا عن طريـق الانكليز ، والامريكان ، وباكستان ، وغيرها من المنابع الدبلوماسيـة في (ميثاق بغداد) وكذلك عن طريق الاستخبـارات • وفي ٢١ آب تلقينا خبرا يفيد ان رئيس اركان الجيش السوري ، توفيق نظـام الدين ، قد استقال من رئاسةالاركان ، وعين محله عفيف البزري الذي قيل عنه انه شيوعي متطرف • كما عين معاون له يقال انه شيوعـي ايضا ، وان الرئيس شكري القوتلي ليس براض عن هذه التبدلات •

وفي هذا اليوم زارني السفير الامريكي وتحـدث معي فـي الموضوع نفسه فبينت له انني لا اعرف حقيقـة الوضع فـي سوريـا ولكنني اعرف شيئا واحدا وهو ان امرا سياسيا في الشرق الادنى لا تريد امريكا ان تعالجه بصورة جدية وهو قضية اسرائيل • وفـي يوم ٢٢ آب زارني السفير الامريكي ايضا وقدم الي القائم بالاعمـال في السفارة وبين لي انه (السفير) ينوي السفر في يوم الاحد القادم الى امريكا باجازة ثلاثة اشهر يقضيها في واشنطن ويؤدي امتحانـا للترفيع • وفي مساء اليوم المذكور كنا مدعوين معا الى العشاء في دار احد اعيان بغداد ، وهناك قال لي انه تلقى برقية مـن واشنطون يطلبون اليه فيها ان يبقى في محله الان بسبب تردي الحالة في سوريا• وفي اليوم ذاته زارني القائم بالاعمال الانكليزي ، وتحدث الي عـن الحالة في سوريا كما زارني السفير الباكستاني ايضا ، واظهر قلقه من

الوضع في سوريا وتسرب الشيوعيين فيها ، واخبرني بان حكومته مستعدة للتعاون مع العراق لمعالجة الحالة هناك . وفي يوم ٢٥ آب زارني القائم بالاعمال الانكليزي وقدم لي « Aid Memoir » عن الحالة في سوريا للاطلاع .

وهكذا وبينما كانت تلك الاخبار عن الحالة في سوريا تترى وتزعجني كثيرا اذا بوزير الدفاع احمد مختار بابان يستدعى الى الاستانة من قبل الامير عبد الاله ، الذي كان قد ذهب والملك فيصل قبل مدة اليها للاستجمام، فظننت ان الامير عبد الاله يرغب في ان يستشيره في بعض الامور ؟

ما كنت اعرف الغاية التي استدعي احمد مختار بابان من اجلها ولكن اعرف ان احمد مختار رجل حنكته التجارب ، يشعر بالمسئولية ويقوم بما تمليه عليه واجباتها .

ذهب الى استانبول وبعد مدة قصيرة اي مساء يوم ٢٧ اب ١٩٥٧ عاد الى بغداد مع الامير عبد الاله ورئيس اركان الجيش . وسارع (احمد مختار) لزيارتي بعد الاستقبال مباشرة في داري ليطلعني على ما جرى من المباحثات التي دارت في اجتماع الاستانة مع (لوي هندرسن) الامريكي ، وخلاصتها :

الطلب الى العراق ، المداخله الفعلية لتبديل الاوضاع الداخلية في القطر السوري ، لوجود سيطرة شيوعية فيه .

فشكرت له تصرفاته اثناء المباحثات التي دارت في الاستانة وبينت

له رأيي في خطورة القيام بمثل هذه المداخلات وما يمكن ان ينتج عنها من امور قد لا يمكن تلافيها ، هذا مع انه في الامكان معالجة الوضع في سوريا ، اذا تحقق ان هناك خطرا شيوعيا • وذلك بطريقة ، غير طريقة التدخلات العسكرية ، وان العراق لا يمكن ان يوافق على هذه الطريقة بتاتا •

وعند مقابلتي الامير عبد الاله في صباح اليوم التالي اخبرني (الامير) عن اجتماعه بالمستر (لوي هندرسن) في الاستانة وتبين له من الايضاحات التي ابداها ومن الاستخبارات التي اطلع عليها ان الوضع في سوريا اصبح في غاية من الخطورة وان السلطة تكاد تكون في يد الحزب الشيوعي • ولذلك يرى ان تتخذ التدابير الضرورية للوقوف امام هذا التيار • واضاف الى ذلك ، ان هناك اربعة حلول لتحقيق هذا الغرض وهي :

١ ــ تنحية بعض الاشخاص عن السلطة في سوريا •

٢ ــ ايجاد ثوره داخلية فيها للقضاء على تلك الاشخاص •

٣ ــ ايقاد ثورة بواسطة العشائر على الحدود •

٤ ــ تدخل عسكري بعد التمهيد له •

تعوذت بالله من شر المداخلات العسكرية وقلت للامير : ان ما تتفضلون به لهو امر خطير جدا ولذلك يجب ان لا تتسرع ، وان نلاحظ وضعنا الداخلي ، والرأي العام العربي ، والعراقي بصورة خاصة ، عندما نقدم على اتخاذ اي اجراءات مهما كان نوعها بهذا الشأن •

وبعد هذا بدأت بالمذاكرة مع بعض المسئولين من زملائي للخروج

من هذا المأزق ، من دون ان تفسح المجال لوقوع احداث وقلاقل واضطرابات في المنطقة التي يهمنا ان يسود الامن والاستقرار فيها ، واضعا نصب عيني سلامة العراق وامنه بصورة خاصة ، ومصالح البلاد العربية بصورة عامة .

وفي الخامس من شهر ايلول ١٩٥٧ كان وزير المالية ووزير الخارجية بالوكالة (علي ممتاز) الذي كان على اطلاع تام عن هذه الامور ويشاركني في الرأي في طريقة معالجتها ، قد سافر الى لندن في طريقه الى الولايات المتحدة لحضور مؤتمر النقد الدولي ، قد ابرق الي بانه اتصل ببعض الرجال هناك ، وكذلك بنوري السعيد الذي كان آنذاك في لندن وفهم منهم ان الوضع في سورية اصبح خطرا ويخشى ان يتخذ الامريكان قرارات خطيرة في منطقة الشرق الاوسط . ويظن ان الملك سعود قد سافر الى المانيا ابتعادا عن التورط في الامور القائمة الان بسبب الوضع في سوريا .

وبناء على هذه الاخبار المتواترة كتبت كتابا في ١٠ ايلول ١٩٥٧ الى صديقي جميل المدفعي ، الذي كان يصطاف في سوق الغرب ، وارسلته اليه مع شخص سافر الى لبنان في تلك الاونة وهذا هو نصه :

ـ لقد استلمت اليوم برقية من علي ممتاز (وزير المالية) الذي مر بلندن في طريقه الى الولايات المتحدة يقول فيها انه قابل الاخ نوري باشا ، الذي كان عائدا من الاستانة وتداولا فيما بينهما حول الوضع في سورية ، وتبين لهما ان الوضع خطير ، وهما يخشيان وقوع امور خطيرة لا في سوريا فحسب بل في الشرق الاوسط ، ورأيت من المفيد

ان تقوم انت بنفسك بالاتصال باخينا شكري القوتلـــي ورجالـه او بالطريقة التي تراها مناسبة للاطلاع على الوضع الحقيقي . وان امكن اسداء النصح اليهم لمعالجة الامر بالحكمة وبأسرع ما يمكن ، وان تبين لهم اني راغب من صميم القلب في تقديم كل ما يمكن لمساعدتهـــم للخروج من هذا المأزق الحرج الذي اذا لم يعالج بالحكمة والرويـة فانه قد يؤدي الى امور لا تحمد عقباها ، كما انني اود ان اقف على ما تقترحون علينا من الوسائل والسبل لمساعدتهم لتجنب اي ضرر يلحـق بسوريا او غيرها من البلاد العربية . ارجو ان تمكنكم صحتكم الغالية من القيام بهذه المهمة وانتم الذين بذلتم كل غال ورخيص في سبيـــل خدمة وطنكم وامتكم في احرج الظروف . هذا وأسأل الله ان يحفظكم لاخيكـم المخلص .

علي جودت

وقد تلقيت من صديقي المدفعي هذا الجواب :

سوق الغرب ١٤ ايلول ١٩٥٧

اخـي ابـو نـزار ،

بعد التحية ومزيد الاحترام اخذت كتابكم مع الاخ رشيد بـك وتلوته بكل اغتباط وهو يعبر عما اشعر به انا ايضا مـن قلق نحـو سوريا وقد سافرت الى الشام ، وقابلـت السفير عبد الجليل بـك ، واتصلنا بفخامة شكري بك فضرب لنا موعدا عصر ذلـــك اليوم ، فقابلناه وابلغته مضمون رسالتكم ، وهو يشكركم كل الشكر علـــى شعوركم وابلاغكم تحياته . وتكلم عن الوضع فقال : ان دول الغرب

وعلى رأسها امريكا اقاموا الدنيا واقعدوها بسبب السلاح الذي اخذناه من روسيا بشروط جد ملائمة ، بعد ان يئسنا من اخذه من الدول الغربية ، بينما هم يدججون اسرائيل بانواع السلاح • فهل هذه جناية ارتكبناها ضدهم ؟ وقال :

٢ ــ ان سوريا بحكم تقاليدها الاسلامية المتمسكة بها كل التمسك وبحكم دستورها وانظمة احزابها ــ (الا اللهم حزب صغير واحد وهو حزب البكداشي) لا يمكن ان يقبلوا بتغلغل الشيوعية الى سوريا وهكذا يجب ان يكون مفهوما لدى اخواننا في العراق وغير العراق •

اما الحزب الشيوعي الصغير هذا فهو منقسم على نفسه فقسم منهم وهو الذي يرأسه البكداشي يريدها شيوعية عالمية ، والقسم الثاني يريدها شيوعية موضعية •

٣ ــ هو يأمل في التعاون الاخوي مع العراق ، لا سيما في عهدكم ، ويتمنى لو ان وزير الاقتصاد العراقي يمر من سورية ليحضر المعرض ولتجري معه مداولات في بعض الشؤون التي تهم البلدين الاخوين ، وكذلك علي ممتاز • وانا ارجوكم خاصة تحقيق هذه الرغبة •

٤ ــ وقد سألته عن صلاتهم بالمملكة العربية السعودية فاجاب انها تحسنت كثيرا عما كانت عليه قبل ايام ، فرجوته بان يعمل لتقويتها اكثر لانها تهم البلاد العربية جميعا •

٥ ــ قلت لشكري بك • تظهر على صفحات الجرائد او بالاذاعات

بيانات من قبل المسئولين السوريين في بعض الاحيان فيها الشيء الكثير من التهجمات على دول معظمة أفلا يجد ان التواضع خير لنا من مثل هذه الاستفزازات المثيرة ؟ فقال • ان هذا صحيح ، وانا عامل على معالجته بالحكمة لان الظروف قد تطورت بالنسبة الى الحاكمين في البلاد الديمقراطية ومع الاسف ان الرئيس اصبح لا يمكنه ان يمنع مسئول من بياناته المثيرة غير اني عامل بهذا الشأن بالحكمة والنصيحة ولا سبيل لي غير ذلك •

٦ ــ ثم تطرقنا الى المشاريع التي تنوي الحكومة السورية القيام بها فقال •

سوف يأتي عما قريب من روسيا رجال فنيون لتقديم استشاراتهم الفنية ودراساتهم الاقتصادية (وربما سببت تقولات كثيرة ايضا من قبل الدول الغربية) • وسنضعها في المناقصة ولكنني متأكد ان الامريكان لن يقبلوا بها لانهم يريدون ان تعطى لهم حصرا ، او بواسطة البنك الدولي بشروط لا تتفق ومصلحة سورية ، وهم يهددوننا بالحصار الاقتصادي ولكن وضعنا الاقتصادي ــ والحمد لله ــ على غاية ما يرام • ولا يمكن اعطاؤها بدون مناقصة • وقد ختم حديثه • ان كل قوة لسوريا هي قوة للعرب وكل قوة عربية هي قو لسوريا • وقد اجتمعنا بصبري العسلي وكلمناه باختصار وهو يحمل عين الشعور ويرجو لكم كل توفيق ونجاح • هذا والله يحفظكم لاخيكم •

المدفعي

جميل محمد

وفي يوم ١٠ ايلول ١٩٥٧ زارني السفـــير الامريكي في ديوان وزارة الخارجية وبحضور امين المميز ودار الحديث كما يلي (١) :

استعرض السفير الوضع في سوريا ، وبين ان الحكومة الامريكية تعتقد ان الوضع في سوريا خطير ويدعو الى القلق ، وتقضي المصلحة عمل سريع وكذلك مضاعفة نشاط الدعاية في سوريا ، والبلاد العربية ، لايضاح خطورة الوضع وقال ان الملك سعود غير مرتاح الى وجـود اليساريين على رأس الحكم في سوريا ، ولكن يبدو ان المعلومات التي لديه لا تجعله مقتنعا ومتأكدا من ان اليساريين في سوريـا يتلقـون اوامرهم من موسكو ، وقال : من الضروري ان لا يخرج الملك سعود بتصريحات او بيانات علنية ضد ما يمكن القيام به من تدبير . وعرض السفير بيان الرئيس ايزنهاور ، واشار الى ما جاء فيه من تقدير للوضع السوري على ضوء ميثاق الامم المتحدة الذي لا يجيز لسورية استعمال القوة الا لغرض الدفاع عن النفس . واشار الى تطبيق مبدأ ايزنهاور عند الاقتضاء ، واوضح ان المبدأ المذكور يطبق في حالة طلب احدى الدول التي تشعر بتهديد الشيوعية، مساعدة حكومة الولايات المتحدة.

وهنا سأل (رئيس الوزراء) السفير : هل افهم منكم ان ليس في نية حكومة الولايات المتحدة القيام بأي عمل عسكري ضد سوريا في الوقت الحاضر ؟

فنفى السفير نفيا قاطعا ان تكون لحكومته اية نية بذلك .

وسأل رئيس الوزراء ايضا عما اذا كان في الامكان مساعـــدة

(١) من محضر هذه الجلسة المسجل في ديوان وزارة الخارجية .

سوريا اقتصاديا لجرها من روسيا ؟

فقال : ان مثل هذه المساعدة غير ممكنة في الوقت الحاضر ، لان سورية تحكم من قبل حكام معادين للغرب ، وموالين للشيوعية وزاد على هذا بيانا قال فيه انه يجب تقدير الوضع في سوريا ومعرفة الاخطار التي تنتج ع نالقيام بعمل ما ومن عدم القيام بأي عمل وانه يعتقد ان الاخطار تكون اكثر اذا ترك الامر عن دون القيام باي عمل .

وفي الثاني عشر من ايلول ١٩٥٧ زارني في ديوان رئاسة الوزارة الشيخ ابراهيم السويل ، السفير السعودي وهو رجل عربي صميم ، صريح في اقواله ، مخلص لواجباته الرسمية ، حريص على توثيق العلاقات بين البلاد العربية فقال لي : انه كان قد ذهب الى بيروت في طريقه الى المملكة السعودية ليطلع على اراء الملك سعود في معالجة قضية سوريا ، وعما يقال ويدور حول تغلغل الشيوعية فيها . وعندما كان على وشك السفر من بيروت تلقى تلفونا من السفير السعودي هناك يطلب اليه فيه ان يؤجل سفره ، لان الملك سعود قادم اليها بطريقه الى المانيا وقد قابله هناك حين قدومه اليها وخلاصة رأيه (الملك سعود) « انه لا يرى لزوما لمعالجة القضية بالقوة ، بل يجب الاشتغال في داخل سورية ، ولديه من العناصر الموالية التي يمكن الاستفادة من معاونتها كحزب الشعب وغيرهم من الذين لا يوافقون على تغلغل الشيوعية في سورية . ولا يعتقد بضرورة الاستعانة بجمال عبد الناصر ، اذ ان جمال عبد الناص روان لم يكن هو نفسه شيوعيا ، لكنه يندفع مع الكتلة المسيطرة في سوريا . ويقول (الملك) ان السيد شكري القوتلي رجل طيب القلب ، ومخلص لبلده ، وله ماض مجيد في

الوطنية وهو بلا شك ضد الشيوعية ولكن ظروفه مع الاسف قاسية ، وقد جعلته يتردد في القضاء عليها » •

وفي يوم الجمعة الواقع في ١٣ ايلول ١٩٥٧ طلب السفير الامريكي مقابلتي بالتلفون فورا قائلا انه تلقى خبرا من وزير الخارجية الامريكية ويريد ان يقرأه علي • ولما حضر الى داري قال لي ان هذا الخبر الذي سأنقله اليك قد اعطى الى الامير عبد الاله في الاستانة بواسطة السفير الامريكي هناك • وتلا مواده علي تلاوة ولما طلبت منه ان يسمح لي بقراءته لاستوعب مضمونه تماما رفض ان يعطيني اياه قائلا آسف لانني غير مأذون بذلك ! •• فطلبت اليه ان يكرر قراءته مرة ثانية حتى اعرف ما يريد ان يبلغه اياي بأسم وزير خارجيته فقرأ مواده ثانية فاصغيت الى ما تلاه وهذه هي المواد :

١ ــ ان الوضع في سوريا قد تردى كثيرا بسبب تغلغل الشيوعيين هناك فاذا وقع اي تعد منهم على البلاد المجاورة فيحق للبلاد التي يقع عليها التعدي ان تدافع عن نفسها وذلك حسب المادة (٥١) من ميثاق الامم المتحدة •

٢ ــ اذا وقع اي تعد من سوريا على اي بلد من البلاد العربية وطلبت خكومة هذا البلد مساعدة ما فان الحكومة الامريكية تعاونها بالمال والسلاح •

٣ ــ اذا تصدت سوريا لقطع انابيب النفط المارة على اراضيها فان الحكومة الامريكية تساعد العراق مالية بصورة مؤقتة •

٤ ــ الاسطول الامريكي السادس في البحر الابيض المتوسط

على استعداد للمساعدة .

٥ ــ اذا وقع تعد من سورية بواسطة السوفييت او بواسطة المتطوعين من السوفييت فان الحكومة الامريكية تعاون بالمال والقوة.

٦ ــ اذا جرت محاولة للقيام باي عمل في داخل سوريا فان الحكومة الامريكية تساعد ايضا .

٧ ــ ان هذه الاجراءات هي لاعادة الحالة الطبيعية الى سورية ، وليس للمس باستقلالها واراضيها .

٨ ــ الاتراك يشعرون ايضا بتردي الحالة ويريدون ان يكونوا احرارا في الدفاع عن انفسهم ولكن المرجح ان تترك هذه الامور للبلاد العربية المجاورة .

٩ ــ لقد جرى الاتصال باسرائيل ، وانذروا ليقفوا عند حدهم .

١٠ ــ ان هذه المعلومات قد بلغت للاتراك وللبريطانيين .

وهنا قلت له باننا نأسف لتردي الحالة في سورية بسبب تغلغل الشيوعيين فيها اذا تحقق ذلك ويهمنا كثيرا ان تتمكن الحكومة السوريا من ابعاد العناصر الشيوعية عن طريقها . ومع هذا فليس في امكاننا نحن العراقيين معالجة الامر بالقوة كما اننا لا نحبذ معالجة القضية بالقوة من قبل اية جهة اخرى . وان بين العراق وبين سورية عهودا ومواثيق ومصالح مشتركة ، تفرض علينا واجبات على غاية من الاهمية، وعلى الاخص لان سوريا قطر عربي نغار على مصالحه . اننا لا نشعر

بامكان وقوع تعديات علينا مــن سوريا ، و لانحتاج الى قوة تساعدنا على ذلــك ٠

وفي اليوم الخامس عشر من ايلول ١٩٥٧ زارني القائم باعمــال السفارة الانكليزية واخبرني ان الحكومة البريطانية قد طلبت اليه ان يبلغني انها موافقة على ما بينه السفير الامريكي لنا فيما يخص سياستهم نحو سوريا ولا اعتراض لها عليها ٠

قلت له : نعم لقد زارني السفير الامريكي في يوم الجمعة وبلغني ما اراد وزير خارجيته ان يبلغني اياه ، وفهمت ما تريد الحكومــة الامريكية ان نقوم به نحو سوريا لمكافحة التغلغل الشيوعي ٠ ومع اننا نقدر الخطر الشيوعي ، فاننا نقدر كذلك الخطر الذي قد ينجم عــن تدخلاتنا في القطر السوري على الصورة التي تريدها امريكا ٠ لا يخفى عليك اننا منذ مدة طويلة نسعى لاقامة علاقات حسنة مع سوريا لان ذلك من صميم مصلحتنا ٠ وكانت فرنسا سابقا تقف امام هذه المساعي، وكنا كلما خطونا خطوة في هذا السبيل لعبت الايادي الخبيثة من وراء الستار لاخفاق المسعى ٠ على اننا نحن رجال العراق ما كنا نود الا ان تقوم حكومة موالية لنا في سوريا ٠ لان مصلحتنا تقضي بذلك ٠ والان تريد امريكا منا ان نقاتل سوريا لسبب تغلغل الشيوعيين فيها ٠ انتم تعلمون جيدا ان الشعب العربي لا يؤمن بالشيوعية ، ولا يدين بها ،وقد قلنا للامريكان مرارا ان السياسة التي يتمشون عليها هي التي تسوق البلاد العربية الى الارتماء في احضان الدول الشيوعية ٠ وان مقاومــة الشيوعية في سوريا وفي غير سوريا من البلاد العربية لــن تتم الا اذا غيرت امريكا سياستها بالنسبة الى قضية فلسطين ٠ ان للعراق علاقات

حسنة ومصالح مشتركة مع الدول الغربية .فلماذا تريد امريكا اضعافنا واحداث مشاكل لنا ؟ اننا نرى من وقت لاخر كل تأييد وكل مساعدة ــ من الانكليز والامريكان ــ لاسرائيل ، وبالعكس فانهم لم يؤيدوا العراق وهو حليفهم ــ حتى في مطاليبه الحقة . وعلاوة على ذلك يطلبون منا ان نقف موقفا معاديا لاخواننا في سوريا في الوقت الذي تريد سوريا ، ان تدافع عن نفسها ضد اسرائيل وتحرشاتها وعدوانها .

انتهى .

يشهد الله اني في عدة مناسبات اوضحت وشرحت ــ للامير عبد الاله المخاطر والمشاكل التى قد تنجم عن التدخل في امور سورية بالقوة وما يمكن ان يجره مثل هذا التدخل من وبال وكوارث على العراق وعلى سوريا ، واخيرا على البلاد العربية . وقد بينت له ذات مرة وبحضور الامير زيد في احدى المذاكرات وضع الجيش العراقي وما قد يتخذه من موقف ازاء تكليفه بمقاتلة اخوانه السوريين . ولا انس كلمات الامير زيد الذي بارك لي في موقفي هذا بعد هذه المقابلة ووصفه للسفير الامريكي بالغفلة .

Hamad Khalifa

السفر الى الاستانة بمناسبة خطبة الملك فيصل الثاني

طلب الي الذهاب الى استانبول لاتمام مراسيم خطبة الاميرة فاضلة الى جلالة الملك فيصل الثاني ، فكانت هذه المهمة فرصة ثمينة لي للاتصال بالسلطات التركية ، والتحدث اليها ، والوقوف على اهدافها ونياتها فيما ينوي اجراؤه تجاه الوضع في سوريا . وبما ان العلاقات بين سوريا والعراق كانت لا تزال على غير ما يرام ، فان الطائرات العراقية كانت تذهب الى الاستانة عن غير طريق سوريا ، فقد اتخذت الطائرة العراقية التي تقل الوفد العراقي لمهمة الخطبة ، طريق شمال العراق ــ فالاناضول ــ استانبول .

وعند وصولنا الى استانبول وجدنا في استقبالنا المرحوم السيد عدنان مندريس . وبعد الترحيب والزيارات الرسمية المعتادة وبعد اجراء مراسيم الخطبة والدعوات الاعتيادية لمثل هذه المناسبات ، دعينا الى تناول طعام الغداء من قبل الرئيس التركي ، جلال بايار ، فكان لطيفا للغاية . وقد انتهزنا هذه الفرصة فدار البحث حول الوضع في سورية، وما يجري فيها من تنظيمات خطيرة قد تؤثر في مؤخرة الجيش التركي فيما اذا وقع اعتداء على تركيا ــ لا سمح الله .

وتكلم ايضا عن وضع تركيا التي تقف سدا قويا امام الخطر الشيوعي على البلاد العربية . فاكدت له ان البلاد العربية لا تريد الا الخير لجارتها العزيزة « تركيا » وان سلامتها هي ضمان كبير لسلامتنا

ايضا • وانما مشكلة المشكلات الصعبة التي تلاقيها حكومات البلاد العربية هي وضع مليون عربي قد شردوا من بلادهم ، بعد قيام اسرائيل في عقر دارهم ، يضاف الى ذلك هجوم اسرائيل من وقت لاخر على حدودهم وقتلها الابرياء وتخريبها القرى والارياف الامنة في داخل البلاد العربية من دون ان تنال جزاء على ما تقترفه من اعمال وحشية • بل بالعكس انها تنال مساعدات كثيرة ويغدق عليها السلاح والمال من الدول الغربية ولا سيما من امريكا ، خلافا للدول العربية التي اصبحت لا تتمكن حتى من شراء سلاح للدفاع عن النفس • ولهذه الاسباب اصبحت الحكومات العربية مضطرة الى ان تمد يدها الى من يجهزها بالسلاح ويساعدها على الدفاع عن نفسها •

فقال جلال بايار ــ ارجو ان تتأكد من انني كنت ولا ازال اشعر بالظلم الذي وقع في فلسطين ، وما جر اليه من تشتيت اهلها البائسين• وكنت قد ذهبت مرة الى الاردن في زيارة رسمية وزرت الحدود الاردنية الفلسطينية ، ورأيت بام عيني اللاجئين البؤساء وحالتهم المؤلمة ، وتكلمت هناك بصراحة ، ونقلت الصحف تصريحاتي حينذاك وخلاصتها انني اشعر بحزن عميق للوضع المؤلم الذي يقاسيه اللاجئون هناك • وقلت ان الجيش التركي على استعداد لارسال متطوعين للدفاع عن الاردن فيما اذا جرى اي تعد او هجوم على حدوده من قبل اسرائيل • مع هذا فانني لم اسمع كلمة تقدير واحدة لشعوري هذا ولبياناتي من اخواننا العرب » •

فشكرته ورجوته ان يستمر على مساعداته الثمينة في هذه القضية •

ثم دعيت الى تناول طعام الغذاء من قبل رئيس الوزراء عدنان

مندريس وبعد الطعام تحدثنا عن الوضع في سوريا وكـــان رئيس الديوان الملكي السيد عبد الله بكر حاضرا هذه المحادثات .

اظهر السيد عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية قلقه لتغلغل الشيوعيين في سوريا ، وتزايد عددهم وقوتهم ولا سيما لتقلدهم المناصب الحساسة فيها وتأييدهم للحزب الشيوعي والدول الشيوعية . ثم قال لي ــ « انت تعرف جيدا ان الحروب بيننا وبين الروس مستمرة منذ ثلاثمائةسنة ، واننا معرضون في كل لحظة للهجوم من قبلهم على حدودنا، وعليه لا يمكننا السكوت عــن وضع يهددنا من وراء ظهورنا في اثناء كفاحنا ودفاعنا عن انفسنا . ثم قال : « نحن نأمل من صديقاتنـــا الحكومات العربية ان تقوم من جانبها بما يقتضي لمعالجة الوضــع في سوريا كما ان الحكومة التركية هي ايضا مستعدة للتعاون لتحقيق هذه الغايــة » .

فقلت له ان الحكومة العراقية مع تقديرها للخطر المحتمل وقوعه من وجود عناصر شيوعية هدامة في سوريا ، وتقديرها ايضا القلـــق الذي يساور جارتنا العزيزة تركيا من جراء تلك العناصر ، فانها تأسف لعدم امكانها القيام بأي تدخل بالقوة لتبديل الوضع في سورية ، ولا سيما لان بيننا وبين سوريا والبلاد العربية الاخرى عهودا ومواثيق تفرض علينا ذلك . على انه بسبب خطورة الوضع الذي ذكرتموه والذي ترون انه من المحتمل ان يهدد الامن في الشرق الادنى ، فانني اقترح ان تجري اتصالات وتشبثات وتبذل مساع لاقصاء العناصر الشيوعية عن الحكم في داخل سوريا ، مع السعي لوقف التعديات التي تقـع من وقت لآخر من قبل اسرائيل على سوريا ، الامر الذي يؤجج نيـران

الانتقام عند الشعب السوري ، ويحمله على الاتجاه نحو الشيوعية ناشدا مساعدتها • وهذا ، ارى انه لايتم الا بمعالجة قضية فلسطين ، ومو آساة اللاجئين ، واعادة حقوقهم اليهم • وبهذه الصورة تغدومنطقة الشرق الادنى على غاية ما يرام من الامن والاستقرار • وهذه المساعي والجهود يجب ان لا نبذلها نحن فقط وانما يجب ان تشترك فيها الدول المحبة للسلام •

ومن الانصاف ان لا اكتم ما كان يبوح به المرحوم عدنان مندريس في اثناء هذه المقابلة عن المه للمأساة التي حلت بفلسطين ، وعن الظلم الذي اصاب اهلها بسبب الغزو الصهيوني ، وجنوحه الى ان يكون لتركيا موقف يتفق مع هذا الشعور •

انتهى الحديث بيننا وقررت السفر والرجوع الى بغداد • وبما ان خط الطيران العراقي كان قد توقف انذاك عن المرور عبر الاراضي السوريا فقد اخذت الطائرة (لوفت هنزا) التي تمر ببيروت • وقبل ان تقلع الطائرة كتبت برقية الى السفير العراقي في بيروت اخبرته فيها بموعد سفري اليها ، كما ابرقت الى الوزير المفوض العراقي في سوريا بأن يحضر الى بيروت لمقابلتي في يوم وصولي اليها •

وصلت الى بيروت وكنت انوي البقاء فيها يوما واحدا • وهنا سألني احد الاصدقاء عما اذا كنت انوي السفر الى دمشق لا سيما وآن الملك سعود كان موجودا هناك لاطلع على الوضع بنفسي فأجبت : اني اذا تلقيت دعوة من الحكومة السوريا فاني مستعد لزيارة اخواني في دمشق • وفي مساء ذلك اليوم اخبرت بالتلفون بأن هيئة رسمية ستأتي

حالا مـــن دمشق لتدعوني الى زيارة سوريا • وقد وصلت الهيئـــة فعلا وقبلت الدعوة وسافرت في اليوم التالي الى دمشق فلاقيت مـــن الحفاوة الاخوية والكرم ما لا انساه لا سيما وان الذين كانوا فـــي الحكم هم اصدقاء العمر ، ورفقاء الجهاد العربي المقدس • وبعـــد الاجتماعات الرسمية قابلت رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلـــي على انفراد ، ورجوته ان يصارحني فيما اذا كان يوجد حزب شيوعي يخشى منه ، وانه قد يؤلف خطرا على امن البلاد واستقرارها ؟ فقال ــ « لا اكتمك انه يوجد بعض الشيوعيين في سوريا ، ولكنهم لا يكونون خطرا على الشكل الذي تصوره بعض المصادر في الخارج ، وان اسباب الضجة التي يثيرها ضدنا الامريكان واعوانهم ، هي نتيجة لحصولنا على السلاح مـــن الكتلة الشرقية • على اننا كما تعلم ، نريد هـــذا السلاح للدفاع عن انفسنا فقط • والعالم يعلم بأن اسرائيل تتـــزود بالمال وبالسلاح من قبل الدول الغربية ، وانها تهاجم حدودنا ومواطنينا من وقت الى آخر وهي في كل مرة تغير بها على حدودنا تقتل العشرات من ابنائنا • ولكي نحمي ارواحنا من تلك التعديات حاولنا الحصول على الاسلحة من الغربيين وبأي ثمن كان ، فاخفقنا • ولهـــذا اضطررنا الى ان نطلبه من الدول الشرقية ، وهذا مما جعلهم يؤلبون الرأي العام ضدنا زاعمين اننا نقيم دولة شيوعية في سورية • فهل من المعقول ان نكون شيوعيين ؟ وهل تفكر ان تقاليدنا وعقائدنا الدينية والقوميـــة تسمح لنا بان نكون شيوعيين ؟

وبعد تلك المقابلة الخاصة تلطف فخامته فجمعني بكتلة مـــن الوزراء ، وطلب الي ان ابين لهم ما يدور من اشاعات واخبار حـــول

الوضع في سوريا ، وما هنالك من شكوك لدى الدول المجاورة .
فاخذت اوضح لهم ما يدور في الخارج حول الوضع في سوريا ،
ورجوتهم ان يعملوا ما في مكنتهم لرد التهم التي تلصق بهم من جراء
اتصالاتهم بالدول الشيوعية ، وان يهتموا بمقارعة الدعايات المغرضة
حولهم ، وينفضوا ما قد علق بالاذهان من الاخبار الكاذبة .

وبعد الاجتماع وتناول طعام الغداء اجتمعت مع بعض الاصدقاء
بصورة خاصة ومن جملتهم الصديق القديم العزيز ناظم القدسي ، الذي
كان انذاك رئيسا للمجلس النيابي ، وقد اطلعني على الوضع السائد
في سوريا بجلاء ، فشكرته ثم سمح لي جلالة الملك سعود بان ازوره
واتحدث اليه في الموضوع فكانت الكلمة متفقة تماما معه والحمد لله .

وعندما تركت دمشق في ٢٦ ايلول ١٩٥٧ عائدا الى لبنان اعلنت
التصريح التالي :

« للعراق ، منذ ان شيد جلالة الملك فيصل الاول بنيانه واقام
كيانه ، سياسة تقليدية في علاقاته بالبلاد العربية وهي منبثقة من شعوره
القومي الصميم . وفضلا عن ذلك ودعما له فان العراق مرتبط بميثاقي
الجامعة العربية والضمان الجماعي . واني اصرح باننا نحترم هذين
الميثاقين وندين لهما بالولاء ، ولذلك فان الاعتداء على سوريا او على
اي بلد عربي آخر يعتبر اعتداء على العراق وعلى البلاد العربية جميعا .
والعراق لن يقف مكتوف اليدين امام اي عدوان يقع على سوريا او على
اي بلد عربي اخر . وهذا موقف تمليه دواعي الاخوة والقومية
العربية التي نؤمن بها والتي عملنا في سبيلها منذ نشأنا . واني اعتقد
بأن الاحداث لا تقوى على فصم العرى القوية بين العراق وسورية

وأي بلد عربي آخر (١) .

وقد علق الرئيس العسلي على هذا البيان فقال .

« لقد اوضح الرئيس الايوبي للعالم والدول الاستعمارية ، ان العراق جزء من البلا دالعربية ، وهو مع سوريا في السراء والضراء ، وليس مرتبطا فحسب مع سوريا والبلاد العربية بمواثيق كميثاق الجامعة العربية والضمان الجماعي ، بل مرتبط معنا في جميع الصلات الاخوية فهو شقيقنا . انه منا ونحن منه » .

واستطرد الرئيس العسلي يقول : ومهما بذل المستعمرون ، والصهيونيون ، من جهود لايقاع الفرقة والشقاق بين البلاد العربية ، وتأليب الشقيق ضد شقيقه لاضعاف الجميع ، وجعلهم لقمة سائغة لتحقيق مطامعهم ، فان مساعيهم ستبوء بالفشل وها هي الغمامة قد انقشعت ، وعاد الصفاء ، وظهر للملأ زيف اضاليلهم ودعاياتهم الكاذبة ، ووقفت البلاد العربية كتلة متراصة للذود عن سوريا وعن استقلالها وتحطمت مكائد المستعمرين » .

كان قصدي ان اقطع الطريق على من يحاول ان يهدد سورية او يضربها ويضعف مركزها . لانها ارادت ان تحصل على سلاح من الخارج لتحافظ به على امنها وسلامتها . ولم يرق هذا التصريح للجرائد الانكليزية ، والامريكية ، والتركية . وقد بلغني ان جهات رسمية اتصلت بالسفارة العراقية في انقره ، وانتقدت هذا التصريح، ومن حسن الحظ ان كان السفير العراقي الحصيف القدير نجيب الراوي قد اجاب على تلك الانتقادات باجوبة منطقية مكته .

---

(١) جريدة الحياة البيروتية ٢٩ ايلول ١٩٥٧ عدد ٣٥٠٦

اجتماع ممثلي الدول الاسلامية
في ميثاق بغداد (في انقرة)

وفي ١٠ و ١١ كانون الاول اجتمع ممثلو الدول الاسلامية في « ميثاق بغداد » في الاستانة واليك نص التقرير عن الاجتماع المذكور.

تقرير عن اجتماع الدول الاسلامية في ميثاق بغداد في انقرة ١٠ و ١١ كانون الاول ١٩٥٧

« عقدت الدول الاسلامية في ميثاق بغداد اجتماعين في انقرة في ١٠ و ١١ كانون الاول ١٩٥٧ حضرهما من الجانب التركي رئيس الوزراء ووزير الخارجية وعدد من كبار موظفي وزارة الخارجية وعن العراق وزير الخارجية بالوكالة علي ممتاز ، ووكيل وزارة الخارجية(١)، والمدير العام للشؤون السياسية في ديوان مجلس الوزراء . (٢) ومن الجانب الايراني وزير الخارجية ووكيل وزارة الخارجية والقائم باعمال السفارة الايرانية في انقرة وحضر عن الباكستان السكرتير العام لوزارة الخارجية وسفيراها في انقرة وبغداد .

افتتح الاجتماع السيد عدنان مندريس رئيس الوزارة التركية مرحبا بالوفود ، وشكر لرئيس جمهورية الباكستان جهوده في سبيل عقد هذا الاجتماع . ولما اعطيت الكلمة لممثل الباكستان ، اعلن ان

---

(١) يوسف الكيلاني .
(٢) عدنان الباجه‌جي .

الغرض من الاجتماع هو استعراض شؤون الشرق الاوسط على ضوء الاحداث والتطورات الاخيرة ، بعد ان تدهور الوضع في المنطقة تدهورا خطيرا بسبب ازدياد التسرب الشيوعي ، ونشاط الاتحاد السوفياتي الذي استغل المشكلة الفلسطينية لخدمة اغراضه السياسية الخاصة . وقال ان المشكلتين الاساسيتين اللتين تواجهان الشرق الاوسط هما مشكلة التغلغل الشيوعي ومشكلة فلسطين . ولذا فان من واجب هذا الاجتماع ان يبحث في احسن الطرق والوسائل لمعالجة هاتين المشكلتين ، وتكليف السيد مندريس بنقل وجهة نظر الدول الاسلامية في ميثاق بغداد الى دول منظمة حلف الاطلسي في هذا الشأن وقال « لما كان جلالة الملك فيصل الثاني هو صاحب الفكرة الاصلية لعقد هذا الاجتماع ، فمن الضروري معرفة رأي العراق في الموضوع» .
وهنا تحدث وكيل وزير الخارجية (علي ممتاز) باسم العراق فاتفق مع رأي ممثل الباكستان بان النفوذ الشيوعي اخذ يتغلغل بشكل يبعث على الخوف والقلق ، وان من واجب الدول الاسلامية في الميثاق ان تبحث عن الطرق الناجحة لمكافحته والقضاء عليه . وقال ، واذا بحثنا عن عوامل هذا التغلغل لوجدنا ان السبب الرئيسي هو عدم حل قضية فلسطين حلا عادلا وفق مقررات الامم المتحدة ، فتحيز الدول الغربية الكبرى الواضح المستمر لجانب اسرائيل ، مكن الروس من استغلال الفرصة لتثبيت اقدامهم في المنطقة . ولذلك فاذا لم تتخذ اجراءات حاسمة سريعة لمعالجة القضية الفلسطينية وتسويتها وفق مقررات الامم المتحدة ، فلن تمكن الحيلولة دون تسرب النفوذ الشيوعي في المنطقة. فاذا نفذت هذه المقررات التي وافق عليها مؤتمر باندونغ واقرها ميثاق بغداد ، وايدها رئيس الوزارة التركية في خطابه الاخير فعندئذ يقفل

بوجه الشيوعية المنفذ الرئيسي الذي تسربت منه في الشرق الاوسط .
وبالنظر الى ذلك فان العراق يأمل ان توافق دول الميثاق على تكليف الرئيس التركي بسط وجهة النظر هذه في اجتماع منظمة الاطلنطي .

اما وزير خارجية ايران فقد ايد قول الممثل الباكستاني بان المشكلتين الرئيسيتين هما مشكلة فلسطين ومشكلة التغلغل الشيوعي . وعبر عن رأيه قائلا : بان من الواجب الفصل بين القضيتين اذ انه يشك كثيرا في ان حل قضية فلسطين سيضمن وقف التسرب الشيوعي في المنطقة .

فاجابه وكيل وزير خارجية العراق بأن مشكلة اسرائيل تعقدت واستفحل امرها بسبب المساعدات المالية والعسكرية والسياسية التي قدمتها الدول الغربية لها ، وخاصة الولايات المتحدة ، في الوقت الذي امتنعت فيه عن تزويد البلاد العربية بما تحتاج اليه من السلاح للدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة . فاذا حلت قضية فلسطين عن طريق تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، وعومل العرب على قدم المساواة مع اسرائيل سيكون عندئذ بامكان الدول العربية ان تتخذ التدابير اللازمة ، وتتدخل مباشرة اذا اقتضى الامر للقضاء على النفوذ الشيوعي . واكد الوزير العراقي بان ليس في استطاعة اي بلد عربي ان يقوم بأي عمل حاسم ضد التسرب السوفياتي قبل ان تحل قضية فلسطين وفق مقررات الامم المتحدة وقال ان من واجبنا كاعضاء في هذه المنظمة العالمية ان نسعى لتأمين احترام قراراتها وتنفيذها .

وتكلم السكرتير العام لوزارة الخارجية الباكستانية فقال انه

يتفق تماما مع رأي ممثل العراق ووجه اليه السؤال التالي :

هل يصر العرب على تسوية القضية الفلسطينية بكاملها دفعة واحدة ام انهم يوافقون على حلها تدريجيا وبصورة جزئية فتعالج اولا مشكلة اللاجئين ثم مسألة الحدود الخ ؟.

اجابه وكيل وزير الخارجية بأن الدول العربية مجمعة اجماعا كليا على رفض اية تسوية جزئية للمشكلة الفلسطينية ، وقال ان مسألة الحدود ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة اللاجئين ، فلو تنازلت اسرائيل عن الاراضي التي خصصت للعرب بموجب قرار التقسيم ، لامكن اعادة اكثر من اربعمائة الف لاجيء فلسطيني الى ديارهم ، ولذا فان حل مشكلة اللاجئين لا بد من ان يكون عن طريق تسوية الحدود وفق مقررات الامم المتحدة . ونوه الوزير العراقي ببروتوكول لوزان الموقع عليه في ١٢ مايس ١٩٤٩ والذي تعهدت اسرائيل بموجبه بتسوية القضية الفلسطينية وفق مقررات الامم المتحدة الصادرة في سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ وقال ان على الدول الغربية ان ارادت انقاذ المنطقة من التغلغل الشيوعي ، ان ترغم اسرائيل على الايفاء بتعهداتها ، واحترام مقررات الهيئة العالمية التي خلقتها .

وبعد ان فرغ ممثل العراق من كلمته لخص رئيس وزراء تركيا البحث كما يلي :

ان المواضيع الرئيسية الثلاثة المتعلقة بالشرق الاوسط ، التي سيبحثها اجتماع مجلس الاطلنطي ستكون (١) مشكلة فلسطين و(٢) خطر التغلغل الشيوعي و (٣) تقوية الميثاق عن طريق توثيق الصلات

القانونية والفعلية مع منظمة الاطلنطي • وقال في صدد الموضوعين الاول والثاني : ان تركيا تتفق مع رأي العراق على اهمية القضية الفلسطينية لحفظ السلام والاستقرار في الشرق الاوسط ، ولكنه بين بان مجلس الاطلنطي سيهتم بوجه خاص بالوضع الراهن في سوريا ، ولذلك فانه سيحاول ان يوضح للمجلس المذكور الصلة الوثيقة بين مشكلة فلسطين وخطر التغلغل الشيوعي ، ويثير الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، ووجوب حلها وفق مقررات الامم المتحدة ، واكد الرئيس التركي ان حكومته تعتبر نفسها ملزمة بالعمل على حل القضية الفلسطينية وفق المقررات المذكورة لانها تعتقد اعتقادا راسخا ان ذلك كفيل باعادة السلم والاستقرار للمنطقة • اما بشأن الموضوع الثالث فقال ان اكبر عامل في تقوية الميثاق هو انضمام الولايات المتحدة اليه ، ولكن المعلومات التي لديه لا تشجع على التفاؤل في هذا الشأن • أما ايجاد صلات قانونية جديدة بين الميثاق ومنطقة الاطلنطي فأمر مرهون برغبة الدول الاعضاء في المنظمتين •

اتفق ممثل العراق السيد علي ممتاز مع السيد عدنان مندريس بان دخول امريكا سيكون عاملا مهما في تقوية الميثاق وتثبيته • وقال ان حل قضية فلسطين وفق مبادىء العدالة سيكون عاملا هاما آخر لتقوية الميثاق • اما ايجاد صلات قانونية جديدة بين الميثاق ومنظمة الاطلنطي فامر سابق لاوانه ، ولا يصلح التفكير به قبل انضمام الولايات المتحدة • وقد وافق السيد مندريس على هذا الرأي وخالفه وزير خارجية ايران •

واخيرا تم الاتفاق على تكليف رئيس الوزارة التركية باثارة النقاط

التالية في اجتماع منظمة الاطلنطي ٠

١ ــ الفات نظر اعضاء منظمة الاطلنطي الى الحالة الخطيرة فـي الشرق الاوسط وضرورة معالجتها ٠

٢ ــ ان افضل طريقة لمعالجة مشكلة التغلغل الشيوعي هي حـل قضية فلسطين وفق مقررات الامم المتحدة ٠

٣ ــ تقوية التعاون العسكري والسياسي والاقتصادي بين دول الميثاق ودول الاطلنطي » انتهى ٠

البيـان المشتـرك

« بناء على اقتراح رئيس جمهورية الباكستان وجه رئيس الوزارة التركية الدعوة الـى ممثلي حكومات ايـران والعراق والباكستنان للاجتماع في انقرة في ١٠ و ١١ كانون الاول ١٩٥٧ .

٢ ـ كان الغرض من الاجتماع ، اطلاع رئيس الحكومة التركية قبل حضوره اجتماع منظمة الاطلنطي في باريس على وجهة نظر الدول الاسلامية في ميثاق بغداد حول مشاكل الشرق الاوسط وعلى الاخص الخطر المتمثل في النشاط الشيوعي الهدام .

٣ ـ وقد جرى في هذا الاجتماع بحث شامـل صريح حـول المشاكل التي تهم هذه الدول وكان هناك اتفاق تام في وجهات النظـر عن جميع هذه المشاكل .

وقد تم الاتفاق بصورة خاصة على ان مـن اهم اسباب عـدم الاستقرار في المنطقة عـدم حـل قضية فلسطين علـى اساس العـدل والانصاف وفق مقررات الامم المتحدة .

٤ ـ وافق رئيس وزراء تركيا على نقل وجهات النظر هذه الى الاجتماع المقبل لدول حلف الاطلنطي » انتهى .

★★★

اما في بغداد فقد بدأت اياد السوء تلعب للاطاحة بالوزارة التي

كنت ارأسها • ومع هذا قررت واخوانـــي المسؤولين ان نمضي فـــي سبيل ما كنا ننوي ان نقوم به من اعمال او مشاريع اعتقد انها كانت ضرورية ومفيدة للبلاد • ومنها :

١ ـ مشروع النقل النهري •

لم يستفد العراق مع الاسف من وسائط النقل النهرية كما يجب، مع ان فيه نهرين عظيمين هما دجلة والفرات ، وان في الامكان استعمال وسائط النقل النهرية فيهما بتكاليف قليلة جدا بالنسبة الـــى اسعار وسائط النقل الاخرى كالسكك الحديدية وسيارات الشحن • وذلـك لنقل البضائع التي لا تحتاج كثيرا الى سرعة النقل كالحبوب والبقول والاخشاب وسائر المواد الموجودة بكثرة في الشمال بواسطة نهر دجلة•

وفي الفرات من شماله الى جنوبه والعكس بالعكس لنقل البضائع الصادرة والواردة من العراق واليه ، وفي كلا النهرين من الميناء فـــي البصرة الى الشمال •

وقد وجدت مع الاسف من كان حجر عثرة في طريق تنفيذ هـــذا المشروع المفيد اذ كان يحاول الوقوف دون انجازه لغايـــة تعصبية املتها عليه الاوهام • ومع ان مجلس الاعمار قد وافق اخيرا على القيام بتنفيذه ، فقد بقي مهملا ايضا لسبب الاوضاع الاخيرة • واتمنـى ان تجد الحكومة الفرصة لتحقيقه •

٢ ـ النقل البحري •

وقد ألفت شركة للنقل البحري اشتـرك مجلس الاعمار فيهـــا

بمليوني دينار وباشر عمله فيها •

٣ ــ مشروع الانعاش الريفي •

واهم مشروع اعتزمت وزارتي القيام بــه هو مشروع الانعاش الريفي اذ تمكنا من اقناع مجلس الاعمار بأن يأخذ هذا المشروع على عاتقه لانه من صميم واجباته • وقد وافق المجلس على ذلك وبدأ يعمل على تنفيذه ، وفي اعتقادي ان تحقيق هذا المشروع هو الاساس المتين لبناء الصرح العراقي في نهضته المنشودة •

٤ ــ اصدار بيان عن المياه الاقليمية وهذا نصه :

ان الحكومة العراقية تحرص اشد الحرص على استثمار موارد العراق الطبيعية الى اقصى حد ممكن وبالنظر الى قناعتها بان قدرا لا يستهان به من تلك الموارد يكمن في قاع المنطقة البحرية الممتدة باتجاه البحر والملاصقة للبحر الاقليمي العراقي ، ولثقتها بان استثمار موارد هذه المنطقة على الوجه الذي يعود بالنفع على الشعب العراقي قــد اصبح ميسورا بالنظر الى التقدم الحديث • لذلك فهي تعلن ان جميع الموارد الطبيعية الكائنة في قاع البحر ومــا تحت القاع في المنطقــة البحرية الممتدة باتجاه البحر والملاصقة للبحر الاقليمي العراقي تعــود ملكيتها الى العراق • وان للعراق وحده حق الولاية العامة على هــذه الموارد ، والاشراف على حفظها واستثمارها ، كما ان له وحده حــق القيام بجميع التدابير اللازمة للكشف عن هــذه الموارد ولاستثمارها بالطريقة التي يراها مناسبة، وكما ان له الحق فياتخاذ جميع الاجراءات التشريعية والادارية الضرورية لحماية كافة المنشآت التي تتطلبها عملية

الكشف والاستثمار .

ان الحكومة العراقية تود ان تؤكد بانها لا ترمي من اصدار هذا البيان سوى ممارسة الحقوق التي اقرها لها التعامل الدولي كما تود ان تؤكد ايضا ان ليس في هذا البيان ما يمس القواعد المقررة المتعلقة بحرية الملاحة وبحق الصيد في المنطقة البحرية المشار اليها اعلاه . (١)

٢٢ تشرين الاول ١٩٥٧

رئيس الوزراء

علي جودت

٥ ـ قررنا تمديد خط انابيب النفط في البصرة الى مسافة بعيدة داخل البحر لتسهيل نقل النفط بواسطة البواخر الكبيرة التي لا يمكنها الاقتراب من الساحل .

٦ ـ نفذت الحكومة قانون جامعة بغداد وعينت الدكتور متي عقراوي ، وهو استاذ متخصص ، وقدير ، عميدا لها ، وللاستاذ العقراوي خبرة وكفاية نادرتان ولكن مع الاسف ولسوء الحظ ما لبثت معارف العراق ان خسرته بسبب الظروف الاخيرة .

٧ ـ اهدت الحكومة ست طائرات الى القوة الجوية للحكومة اللبنانية .

٨ ـ كانت حاصلات الشعير مكدسة في المخازن في العراق اذ كان من الصعب اخراجها الى الاسواق الخارجية لتدهور سعر الشعير في

(١) كانت الوزارة قد حددت مسافة المياه الاقليمية العراقية بـ ١٢ ميلا .

الخارج ، فاردنا ان نخفف العبء عن كاهل المزارع العراقي من جهة ، وتصريف هذا الحاصل الحيوي من جهة اخرى فاستصدرنا مرسوما يمنح التاجر المصدر بموجبه دينارا واحدا عن كل طن ، وقد ادى هذا التدبير الى تصدير مئات الالوف من اطنان الشعير التي كانت معرضة للتلف اذا هي بقيت مكدسة في ارضها .

وكنا عزمنا على سن بعض القوانين المهمة ك (قانون التفتيش الاداري) وقانون الاراضي ، وغيرها . ولهذا كان علينا ان نحل المجلس النيابي الذي كان قد جيء به لمقصد معين .

لا يخفى ان الوضع في العراق قد تطور كثيرا ونشأ فيه جيل من الشباب المتعلم المتوثب الى خدمة بلده بافكاره ومعلوماته التي اكتسبها في الداخل والخارج ، وكنت قد شعرت بان هؤلاء هم الذين يمكن ان يتعاونوا معنا لاصلاح الوضع بدلا من الذين كان دأبهم وضع العراقيل في سبيل الاصلاح ولا سيما في قضية قانون الاراضي وتحديد الملكية .

وكنت اشك في حصولي على ثقة كثرة المجلس وبين اعضائه الكثيرون من الذين يملكون عشرات الالوف من الدونمات .

زيارة المملكة الايرانية

استجابة للدعوة الموجهة من قبل جلالة شاه ايران الى صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني لزيارة المملكة الايرانية ، فقد تقرر قبول هذه الدعوة . وصدرت الارادة الملكية بتعيين وفد مؤلف من رئيس الوزراء ووزير الخارجية السيد علي ممتاز ووزير الصحة الدكتور عبد الامير علاوي ، كما تقرر ان يكون بصحبة الملك ولي عهده الامير عبد الاله والحاشية الملكية .

سافر الملك وحاشيته والوفد في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٥٧ واستقبلوا استقبالا حارا ، واقيمت على شرف صاحب الجلالة احتفالات كريمة ، وجرى عرض عسكري ومهرجانات متعددة بالغة بالكرم والمحبة .

وقد استغرقت الزيارة عشرة ايام ، جرت خلالها مذاكرات ملؤها التفاهم والصداقة الخالصة بين العاهلين الايراني والعراقي .

وكذلك في اثناء سفرنا بمعية الملك الى بحيرة قوزين ، كان جلالة شاه ايران ورئيس وزرائه ووزير خارجيته يرافقون الملك في القطار . فانعقدت اثناء ذلك جلسة ودية اشترك فيها رئيسا الوزراء للدولتين الصديقتين ووزيرا خارجيتيهما ، كما حضرها السيد عبد الله بكر بصفة كونه رئيسا للديوان الملكي وسكرتير الملك الخاص .

ودار البحث فيها حول العلاقات بين العراق وايران ، وحول الوضع في الشرق الادنى ، ولا سيما في سوريا . وبعد ان اوضحت

لجلالة الشاه ما رأيت وما سمعت في سوريا من المسؤولين هناك ، ابدى جلالته تفهما صميما ايضا .

كان جلالة شاه ايران لطيفا جدا وصريحا كل الصراحة في اقواله. وكنت اشعر بانه يود من صميم قلبه ان تسود العلاقات الحسنة بين البلدين المجاورين اللذين تربطهما روابط دينية وثقافية واقتصادية ، ومصالح مشتركة منذ ابعد الازمنة . فسررت واخواني اعضاء الوفد بما قوبلنا به ، وبما اظهره لنا جلالة شاه ايران وحكومته الموقرة من حسن النية ومن الروح الطيبة اثناء هذه الزيارة ، وعدنا الى الوطن شاكرين مغتبطين .

★★★

وبعد عودتنا من ايران اراد الملك زيارة بلدة السليمانية توا ، وذلك لمؤاسات العائلات المنكوبة بضحايا الفيضان الذي وقع خلال زيارته لايران .

ذهبنا بمعيته الى السليمانية . تفقد جلالته المنكوبين وشاهد ما حل بالبلد من اضرار نتيجة للفيضان المفاجيء ، وآسى العائلات المنكودة ، ثم عاد الى بغداد عن طريق مصيف صلاح الدين وكركوك .

اما انا فانتهزت الفرصة لزيارة خزان «دوكان» الذي كان يجري انشاءه قريبا من السليمانيه . استأذنت جلالته وذهبت الى دوكان مستصحبا المهندس الذي يشرف على بناء السد ، والذي كان قد حضر حفلة الغداء التي اقيمت على شرف جلالة الملك في السليمانية .

اطلعت على الاعمال الهائلة التي حققت بناء ذلك الصرح العظيم .

ومع تقديري لتلك الاعمال والهمة التي بذلها ويبذلها المهندس واتباعه لاكمال المشروع ، قلت للمهندس : اني اقدر جهودك واهتمامك ومساعيك تمام التقدير ولكن في الوقت نفسه اود ان اعلم متى سيتم بناء السد وتختتموا اعمالكم فيه ؟

قال : « اعدك باني سأطلب اليك الحضور لافتتاح هذا الخزان ، في مثل هذا الوقت من السنة الاتية » • زاعما اني سابقى رئيسا للوزارة لذلك الوقت •

كان الوقت على ما اتذكر ، اواخر شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٥٧ ولكن مع الاسف لم يتم بناء السد في موعده المقرر ، وفق ما كان مخطط له ، ولما كان يزعم هذا المهندس سليم القلب ، بل تأخر بنائه لعدة سنوات ، كما تأخرت الاعمال الاخرى المتممة للمشروع ولا تزال قيد التسيب والاهمال وذلك لسبب قيام الثورة وانهماك الزعيم الاوحد وزمرته في امور اخرى • كان المأمول ان يتم المشروع وتروى مياه هذا الخزان ــ « التي انفقت الدولة الملايين من الدنانير على بنائه» ــ ملايين من الدونمات من الاراضي المحرومه من المياه ، لتساعد به الفلاح والمزارع والمواطن العراقي لتدر عليه فيض من الخير والبركات ، بدلا من اضطرار الدولة على انفاق الملايين لشراء ما تحتاجه البلاد من الحبوب ، ولاستيراده من الخارج خشية الوقوع في ضائقة القحط والجوع •

طلب حل مجلس النواب

فاتحت الامير عبد الاله بشأن حل المجلس النيابي ، اثناء زيـارة الملك لايران ، وفي احدى المناسبات ، وكان ذلك بحضور الملك ، فلم يجب على كلامي ، بل اشار بيده الى الملك ، وكا نالملك يقدر ويستحسن ما انوي عمله ، ولكنه ما كان يريدان يقر شيئا قبل ان يطلع على رأي خاله حولـه .

بقي الامير في ايران ثلاثة ايام فقط ، ثم رجع الى بغداد ليستعد للسفر الى « فرموزا » في زيارة رسمية للصين الوطنية . اما الملـك وحاشيته فظلوا في ايران لاكمال منهاج الزيارة . وبعد رجوع الوفـد الى العراق وقبل سفر الامير الى « فرموزا » بيوم واحد ، فاتحت الملك بامر حل المجلس بحضور الامير ، فما لبث الامير ان ابتعد ، كـأن الموضوع لا يهمه ، كما ان الملك لم يبد رأيا .

سافر الامير عبد الاله الى فرموزا وبمعيته احمد مختار بابان . ولما كانت قضية حل المجلس ، لا تتحمل التردد والسكوت ، اذ يتحتم على الحكومة بحكم القانون ان تصرف مبالغ طائلة الى اعضائه اذا هي اقدمت على حله بعد حفلة الافتتاح ، لذلك اعربت للملك عن قراري الاكيد في قضية حل المجلس ، بعد ان اوضحت له الاسباب الموجبـة لذلك . فطلب الي ان اتريث قليلا حتى يرجع الامير عبد الاله .

اما انا فرأيت وصولا الى الغاية ان ابرق ببرقية الى وزير الدفاع

احمد مختار بابان الـذي كان يرافق الامير في زيارته الـى فرموزا مضمونها :

« قبل ان افاتح جلالة الملك في حل المجلس اود ان استشير سمو الامير عبد الاله في الامر ، وان اطلع على رأيه فارجو ان تخبروني بذلك » فكان جواب الامير هذا : ــ

« الى رئيس الديوان السيد عبد الله بكر »

« بلغوا رئيس الوزراء بأن استشارته اياي غير دستورية » •

فبادرت فورا الى تقديم استقالتي الى الملك في ١٦ تشرين الثاني، ولكن الملك اعتذر عن قبولها وطلب الي ان اعلقها حتى يرجع الامير • وكان مما قاله : « امامنا زيارة رسمية للرياض ولا نود ان تقوم امامنا مشكلات وازمات وزارية في هذه الفترة » •

فقلت للملك: «وانني لا اريد ان احرجكم وانما ارجو ان تحتفظوا بكتاب الاستقالة لديكم وان تقبلها جلالتكم متى شئتم على ان يكون معلوما لديكم أني مصر على حل المجلس النيابي • فاخذ كتاب الاستقالة وطلب الى رئيس الديوان السيد عبد الله بكر ان يحفظه لديه حتى يعود الامير الى بغداد •

وقد افتتح المجلس فور عودة الامير من فرموزا وعلقت جلساته حتى رجوعنا من زيارة الرياض •

زيارة المملكة السعودية

تلبية لدعوة وجهها العاهل السعودي الملك سعود الى اخيه الملك فيصل الثاني لزيارة المملكة السعودية في ٢ كانون الاول لسنة ١٩٥٧ فقد قبلت الدعوة ، وتقرر تشكيل وفد من رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية علي ممتاز ووزير الشؤون الاجتماعية السيد اركان عبادي ، وعضو مجلس الاعيان السيد توفيق السويدي كما رافق الوفد الامير عبد الاله ، ورئيس الديوان الملكي عبد الله بكر ، ورئيس اركان الجيش رفيق عارف ، والسفير المتجول عبدالله الدملوجي ، والمرافقان العسكريان. وقد سافر الوفد في اليوم المعين بالطائرة الى الرياض حيث كان في استقباله الملك والامراء السعوديون ورجال الحكومة السعودية ونخبة من رؤساء القبائل واعيان المملكة . فكانت احتفالات واستعراضات عسكرية وقبلية اشترك فيها بعض الامراء السعوديين تمشيا مع التقاليد الموروثة حيث تجلت فيها الروح الاخوية بين رجال المملكتين السعودية والهاشمية .

كنا هيئنا مع وكيل وزير الخارجية علي ممتاز منهاجا خاصا لهذه الزيارة يحتوي على بعض المواد ، التي كنا نعتقد بانها من صالح الطرفين المذاكرة حولها والبت فيها ، ولكننا مع الاسف فوجئنا باقتراحات اقحمت في جو المذاكرات ، من قبل اشخاص غير مسئولين ، لاجراء تكتلات سياسية لم تكن الحكومتان مهيئة لقبولها . كما اننا لم نجد من المناسب الاصرار ، على المذاكره في المواد التي كنا اعددناها ،

في هذا الجو المتلبك ، سيما واننا عازمون على التخلي عن الحكم .

وبعد اكمال منهاج الزيارة الرسمي عاد الوفد الى العراق .

وفي الحقيقة كنا مغتبطين بهذا اللقاء التاريخي السعيد الذي جرى لاول مرة في عاصمة المملكة السعودية بين العائلتين الكريمتين ، والذي كنا نرجوه ونتمناه منذ مدة ، وذلك لصالح البلدين خاصة ، ولصالح البلاد العربية ، وانسجام التفاهم بين حكوماتها بصورة عامة .

وقد اراد الامير بعد عودتنا ان يجمع المجلس قبل قبول الاستقالة وكان قد هيأ الوزارة الجديدة فلم اوافق على ذلك . فقبلت الاستقالة وكان ما كان والحمد لله على السلامة .

★★★

الخاتمـــة

اذا استعرضنا المنجزات التي حققتها الحكومات الوطنية المختلفة التي مارست الحكم الوطني منذ تأسيسه في ٢٣ اب من عام ١٩٢١ ، فان الانصاف يدفعنا الى ان لا ننتقصها ، والا نبخس رجالها جهدهم . اما توجيه اللوم والتقريع والسب والشتم ، والاتهام بالتقصير في أداء الواجب من دون النظر الى الظروف والاحوال التي سادت تلك الفترة ، وما تخللها من ازمات اقتصادية ومالية ، وسيطرة اجنبية ، سياسية كانت ام اقتصادية ، فانها ظلم وتجني على الواقع .

ان موازنات الدولة منذ عام ١٩٢١ بقيت في حدود الثلاث ملايين دينار . ولم تتجاوز الثمانية ملايين الا بعد سنة ١٩٤٢ في حين انهـا تبلغ في الوقت الحاضر اكثر من مائتين مليون من الدنانير . اي سبعين ضعفا عما كانت عليه في زمن التأسيس :

السنة	الميزانية العامة	ميزانية المعارف
١٩٢٠ ــ ٢١	٥٫٥٥٦٫٥٧٤ (١)	١٣٠٫٣٦٠
١٩٢٥ ــ ٢٦	٤٫٠٠٤٫٠٤٩	١٧١٫٥٣٢
١٩٣٠ ــ ٣١	٣٫٩٩٤٫٣٣٧	٢٩٤٫٢٦٢
١٩٣٥ ــ ٣٦	٤٫٤٩٤٫٤٩٦	٤٣١٫٩٤٠

(١) بالنظر لصعود سعر الربيه (والربيه) عملة هندية كانت متداولة فـي العراق حتى صدور قانون العملة العراقي في سنة ١٩٣٢ .

١٩٤١ — ٤٢	٧ر٧٠١ر١٨٧	٨٤٨ر١٦٨
١٩٤٥ — ٤٦	١٧،٥٦٣،٢٣٠	١ر٦١١ر٨٤٣
١٩٥٠ — ٥١	٢٥ر٧١٧ر٢٢٩	٣ر٥٩٩ر٢٣١
١٩٥٥ — ٥٦	٥٥ر٢٠٠ر٩٠٨	١٠ر٠٤٤ر٧٥٧
١٩٥٦ — ٥٧	٦٦ر٠٣٢ر٤٥٥	١٢ر٤٥٧ر٠٧٧
١٩٥٧ — ٥٨	٧٠ر٦٩٣ر٤٣٠	١٤ر٣٢٧ر٦٠٤

بهذه المبالغ الضئيلة كانت الايدي المخلصة تدير امور الدولة وتقوم بالمشاريع العمرانية وتدفع مرتبات الموظفين الوطنيين لقاء خدمات حقيقية كانوا يؤدونها • كما كانت تصرف مرتبات الموظفين الاجانب الذين فرضتهم الظروف الدولية على العراق نحو عشرين سنة من بدأ الحكم الوطني •

ومن تلك الموازنات المتواضعة تأسس الجيش الوطني الذي تفخر به ، حيث يتولى حماية الوطن ورد كيد الطامعين فيه •

وبهذه المبالغ القليلة تم تعبيد الكثير من الطرق في سائر انحاء العراق ، سواء كانت داخل المدن او في خارجها •

ولم يكن قبلئذ طريق واحد معبد ، حتى شارع الرشيد وهو شارع بغداد الرئيسي حينذاك ، فان الناس ما زالوا يذكرون كيف كان الحمالون ينقلون الماره من رصيف الى آخر ، اذا ما ارادوا عبور هذا الشارع ، لقاء اجرة ، ذلك حينما تنزل الامطار ويتراكم الوحل في فصل الشتاء •

نعم : بهذه الموازنات الزهيدة ، حفرت الجداول ، وشيدت

السدود وعمرت دور الحكومه واقيمت المدارس والمستشفيات وانشىء خزان الحباينة ، وسدة الكوت ، واقيمت خمسة جسور حديدية كبيره في قلب بغداد وحدها ، بالاضافة الى جسر الفلوجه وجسر الموصل والجسر المقام على نهر الزاب ، وجسور اخرى في الكوفة والعباسيات، وطويريج ، والناصرية والعماره وغيرها . ناهيك عن القناطر الكثيرة في مختلف الانحاء العراقية ، وناهيك عن السكة الحديدية التي مدت من سامراء الى الموصل – تل كوجوك – حتى حدود تركيا ، ومن كركوك الى اربيل . وما بنى لهذه السكة من محطات عظيمة في بغداد والموصل وكركوك والبصرة وبعقوبه وفي مدن اخرى .

ولا ننسى المتحف العراقي الكبير ومكتبته العامره ، وشعباته العديدة في خارج العاصمه .

وتشييد مصفى النفط الذي اصبح يسد حاجة العراق من البنزين والدهونات المختلفة وغيرها من المواد التي كانت تكلفنا الملايين من الدنانير لاستيرادها من الخارج .

وكذا الفنادق الحكومية ، ومخازن حفظ الحبوب (سايلو) في بغداد والموصل والبصره والحله .

ولما سنحت الفرصة للحكومة ، انشأت مجلس الاعمار وخصصت له ٧٠ بالمئة من واردات النفط ليقوم بالمشاريع العمرانية الضخمة الرامية الى التنمية الاقتصادية . واستقدمت خبراء فنيين للاستفادة من خبرتهم ومعلوماتهم بشأن المشاريع الضرورية للعراق ، مقدمة بذلك الاهم على المهم . ولا يفوتنا سد الثرثار الذي لولاه لظلت بغداد

العاصمة والمدن والمزارع العديدة على ضفاف نهر دجله ، معرضة على الدوام للفياضانات وللغرق ، وتسبب اضرارا جسيمه لا تقل عن عشرة ملايين من الدنانير في كل مره ، وفي بعض الاحيان تكاد تقضي على العاصمة كما وقع في سنة ١٩٥٤ .

ولما تحسنت مالية العراق ، على اثر ارتفاع الواردات من النفط باشر المسؤولون في بناء خزانين عظيمين لخزن المياه وتصريفها في الاراضي البوار وغيرها ، وهما : (دربندخان) و (دوكان) .

وبحسب المقاولات المعقودة بشأنهما كان يجب ان ينتهي العمل بهما حوالي نهاية سنة ١٩٥٨ . كما وضع الخبراء خططا اخرى للاستفادة من مياه دجلة ، وذلك لخزن المياه وتوزيعها من سد (بيخمه) و (اسكى موصل) ، وخزان آخر للسيطرة على نهر الفرات .

والحقيقة التي اود ان يقف عليها الشعب العراقي الكريم هي : ان هذين السدين فقط (دربندخان) و (دوكان) كان من شأنهما ان يرويا مساحة من الاراضي تزيد كثيرا عن الاراضي التي ينتظر ان يرويها السد العالي في مصر .

اما في مجال الزراعة فها هي ذي الارقام تنطق بما كانت البلاد عليه :

ففي عام ١٩٥٧ كانت الحاصلات الزراعية كما يلي : (١)

حاصلات الحنطه ــ ١٫١١٨٫٠٠٠ مليون ومائة وثمانيةعشر الف طن

---

(١) عن مجموعة الاحصاء لسنة ١٩٥٧ .

حاصلات الشعير ــ ١٫٣٠٥٫٠٠٠ ميليون وثلاثمائة وخمسة الاف طن
حاصلات الرز ــ ١٤٧٫٠٠٠ مائة وسبعة واربعون الف طن

هذا عدا الكتان والعدس والهرطمان والسمسم والذره الصفراء والحمراء والبيضاء والماش والدخن . وكذلك القطن الذي كان المأمول ان يزداد انتاجه زيادةعظيمة بعد اكمال مشاريع (دربندخان) و (دوكان)

ومما اذكره انه في سنة ١٩٥٧ كانت قد تكدست حاصلات الشعير تكدسا حمل وزارتي على اصدار تشريع يخول الحكومة صلاحيـــة صرف دينار واحد عن كل طن من الشعير يصدره التجار الى الخارج . وذلك بناء على اقتراح وزير المالية القدير علي ممتاز الدفتري (٢) .

وفيما يلي جدول صادرات العراق من النصف الاول من عـــام ١٩٥٨ اي قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ (٣) .

نوع الحبوب	الكمية بالطن	السعر بالدينار
الشعير	٣١٣٫٧٨٦	٤٫٧٥٩٫٥٣٥
الــرز	٢٤٣٦	١٠٧٫٤٠٨
الحنطه	٨٨٣٤	١٩٩٫٠٠٠
الذره	٤٧١٦	٧٧٫٥٣٣
دخــن	٤١	٩٠٣
ماش	١٠٦١	٤٥٦٦٩
باقـــلا	٥٦٦	١٦١٤١

(٢) راجع المرسوم رقم ٧٠١ سنة ١٩٥٧ المنشور في مجموعة القوانين العراقية .
(٣) مجموعة الاحصاء لسنة ١٩٥٧ (ص. ١٩٦ و١٩٩) .

وصدر من الاغنام ٢١٠٦١٦٩ رأسا بلغ ثمنها ٥٫١٤٣٫٢٠٣ خمسة ملايين ومائة وثلاثة واربعون الف دينار ومايتين وديناريين . وكان محصول التبغ في العراق يقارب الخمسة ملايين كيلو غرام .

★★★

اما الجهود التي بذلت لنشر المعارف فكانت عظيمة دون شك : فعند تأسيس الحكم الوطني في سنة ١٩٢١ كان عدد التلاميذ في جميع انحاء العراق في حدود الثمانية الاف تلميذ (اسميا) وكلهم من الذكور فقط . ولم تكن هناك مدرسةوطنية واحده للبنات . وبتشجيع من الملك فيصل الاول ، وبهمة رجاله المخلصين تأسست المدارس وجلب اليها كثير من المدرسون والمدرسات من الخارج . وكان الملك فيصل قد استدعى الاستاذ ساطع الحصري الخبير في شئون المعارف فوضع اسسا لتربية الجيل الطالع . ومن حسن الحظ ان نخبة ممتازة من ابناء العروبة قد ساهموا في هذه المعركة بحماس واندفاع ، فقدموا الى العراق ، حيث كان مأوى الاحرار وملجأ المجاهدين من ابناء العرب ، للتدريس في المدارس العراقية ، وغرس روح الوطنية الحقة في اذهان النشء الجديد .

نذكر منهم الاساتذة اكرم زعيتر ، وفريدزين الدين ، ودرويش المقدادي وعبد الكريم عسيران وانيس النصولي وجلال زريق واحمد حسن الزيات وزكي مبارك ورفيق عشا وعبد الله المشنوق واسكندر حريق وغيرهم .

ومن المربيات الفاضلات اللواتي برعن في تثقيف الجيل النسوي

الطالع : الاوانس اليس قندلفت وامت سعيد ، وداد المقدسي ، سلمى المقدسي ، رضا جريديني ومديحه تحسين والنور قمر وسليمه زيتون وملفينا غرزوزي واوجين ابو شديد ونجلا طنوس ورضا النعماني وغيرهن .

وبمرور الزمان استطاع بعض الغيورين الذين تقلدوا مسؤليات الدولة ان يبذلوا جهودا فائقة كل حسب مواهبه ومقدرته وظروفه في توسيع وتطوير حركة التربية والتعليم :

نذكر منهم : هبة الدين الشهرستاني ، توفيق السويدي ، حكمت سليمان ، طه الهاشمي ، عبد الحسين الجلبي، محمد امين زكي ، فاضل الجمالي ، صالح جبر ، السيد عبد المهدي ، ابراهيم عاكف الالوسي ، سامي شوكت ، صادق البصام ، عبد الكريم الازري ، محمد رضا الشبيبي وخليل كنه وعبد الحميد كاظم وغيرهم .

ومن الانصاف ان نذكر بين هؤلاء خدمات الوطني الغيور ثابت عبد النور الذي بذل جهودا جباره لتأسيس مدارس الاميين وذلك بمؤازرة اخوانه الوطنيين الغيورين امثال نوري فتاح وجعفر ابو التمن وحسين العاني .

ويسعدني اني كنت من الحريصين على نشر العلم والمعرفة ، والقضاء على الجهل والامية ، الآفتين الخطرتين ، اللتين تحدثان الهواة السحيقة بين طبقات الشعب ، الذي كنا قد اخذنا على عواتقنا بناء كيانه وازدهار مستقبله .

ففي الوزارة الاولى التي تشرفت بتأليفها في سنة ١٩٣٤ تم فتح

اثنين وثمانين (٨٢) مدرسة ابتدائية علاوة على ما كان مخصصا لوزارة المعارف من مبالغ في ميزانية تلك السنة (١) .

وتتيجة لتلك الجهود . فقد وصل عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية فقط في سنة ١٩٥٨ حوالي النصف مليون طالب، عدا طلاب المدارس المتوسطة ، والثانوية ، وعدا طلاب كليات الحقوق والطب والهندسة وكلية الشريعة والزراعة ، ومدرسة الموظفين الصحيين ومدارس المكافحة ، ودور المعلمين والمعلمات والبيطرة وغيرها من الكليات والمدارس الليلية .

كما فتحت الجامعة ونفذ قانونها في سنة ١٩٥٧ ، اي قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ بسنة واحدة وعين لها رئيس ممتاز هو الاستاذ متى عقراوي الذي لا تزال الجامعات الاجنبية تستفيد من خبرته وسعة اطلاعه .

وقد تخرج في تلك الكليات ، فضلا عن البعثات العلمية ، الالوف ممن ظفروا بشهاداتهم العالية وراحوا يساهمون في توطيد كيان هذه الدولة الفتية وبناء مستقبلها . ولا نريد ان نذهب بعيدا في وصف الخدمات التي اسديت الى المعارف قبل ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ فالارقام احسن شاهد على ذلك .

وها نحن اولا ننشر فيما يلي احصاءا دقيقا لعدد المدارس والمدرسين والمدرسات والطلاب والطالبات منذ تأسيس الحكم الوطني في عام ١٩٢١ حتى سنة ١٩٥٨ فهو الدليل القاطع على عظم تلك الخدمات :

---

(١) تاريخ الوزارات العراقية ص ٣٠ من الجزء الرابع .

عـدد المدارس

السنةالدراسية	الذكور	الاناث	المختطة	المدرسون	المدرسات	الطلاب	الطالبات	المجموع
٩٢٠ ر ١٩٢١	٨٥	٣ (١)	—	٤٧١	١٥	٧٥٣٩	٤٦٢	٨٨٠١
٩٢٥ ــ ١٩٢٦	٢٠١	٢٧	—	٧٢٢	١٥٢	١٨٦٥٩	٤٠٥٣	٢٢٧١٢
٩٣٠ ــ ١٩٣١	٢٦٩	٤٥	٢	١٠٧٦	٢٤٩	٢٧٤٦٧	٧٠٤٦	٣٤ر٥١٣
٩٤٠ ــ ١٩٤١	٥٤٣	١٤٥	٤٧	٢٤٦٢	١٠٦٣	٦٧٤٦٥	٢٣٣٢٩	٩٠،٧٩٤
٩٥٠ ــ ١٩٥١	٩٠١	٢٠٤	١٠٤	٥٠٥١	٢٢٣٧	١٥٣،٦٥٣	٤٥ر ٦٠٠	١٩٩ر٢٥٣
٩٥٥ ــ ١٩٥٦	١٠٦٢	٢٦١	٤٢٥	٧٢٧٤	٣١٩٦	٢٥٢ر٧٣٢	٧٩٩٤٩	٣٣٢،٦٨١
٩٥٧ ــ ١٩٥٨	١١٠٩	٢٦٥	٦٦٣	٨٤١٩	٣٨٤٩	٣١٥ر٣٧٦	١٠١ر٢٢٧	٤١٦ر٦٠٣

هذا ما جاء عن المدارس الابتدائية في ص ٣٩ مــن تقرير المعارف لسنة ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨

(١) مدارس اهلية (اليانس وراهبات) .

اما المدارس الثانوية في العراق خلال المدة المذكورة فقد جاء في ص (٥٥) من هذا التقرير :

١٩٢٠ ــ ١٩٢١	٣	مدارس ثانوية وكان فيها ١١٠ طلاب فقط
١٩٢٥ ــ ١٩٢٦	٥	مدارس ثانوية وكان فيها ٥٨٣ طالبا فقط
١٩٣٠ ــ ١٩٣١	١٦	١٦ مدرسة ثانوية للذكور وفيها ١٩٠٦ طالبا وثلاث مدارس للاناث فيها ١٧٦ طالبه
١٩٤٠ ــ ١٩٤١	٢٨	مدرسة ثانوية للذكور وفيها ١١٤٩٢ طالبا و ١٦ مدرسة ثانوية للبنات وفيها ٢٤٧٥ طالبه
١٩٥٠ ــ ١٩٥١	٦٤	مدرسة ثانوية للذكور وفيها ٧١ر٥٩١ طالبا و ٣١ مدرسة للاناث فيها ٥١١٢ طالبه
١٩٥٠ ــ ١٩٥١	٦٤	مدرسة ثانوية للذكور وفيها ١٧ر٥٩١ طالبا و ٥٦ مدرسة للاناث وفيها ١٢٢٣٧ طالبه

والان ، وعلى الرغم مما اصابني واصاب اخواني الذين اسهموا في هذا المجهود ، من حملات ظالمه وجحود ، سواء اكان ذلك عن جهل او عن هوى في النفس فاني احمد الله العلي القدير واشكره حين امر ببعض شوارع العاصمة واشاهد الالوف من اطفالنا واولادنا وبناتنا ذاهبين آيبين الى المدارس ومنها متأبطين كتبهم ، سعداء بارتشافهم العلم ، الامر الذي يبعث الطمأنينة في نفسي وفي نفس كل من يغار على مستقبل عراقنا المحبوب وسلامة كيانه • اذ لا تبنى كيانات الامم الا على اسس من العلم والمعرفة وليس للجاهل في هذا الكون الا الذل والهوان •

هكذا تقدم العراق ونال المنزله السياسيه والاقتصادية المرموقة التي اثارت الاعجاب بالنسبة لدول منطقة الشرق الاوسط •

كان يسير بخطى ثابتة نحو الرقي والرفاه والازدهار ، كما كان نعم المساعد والمعين لرجال الحركات القومية في البلاد العربية الاخرى. ولم يتردد عن مد يد العون والتأييد والمظاهرة منذ تأسيسه ، وفي ظروف مختلفة ، الى سوريا ولبنان والاردن وفلسطين والجزائر وتونس ومراكش (المغرب) وغيرها من البلاد العربية ، سواء كان ذلك بالرجال او بالمال .

فظهرت بعد ذلك اطماع بعض الدول المتربصة بالعراق وبخيراته المحسود عليها ، وهالتها الخطوات الجبارة التي خطاها في سبيل التقدم والاصلاح ، وخاصة في تنظيم جيشه العتيد ليكون حارسا امينا على كيان الدولة الفتية . (١) فارادت ان تقلم اظفار هذه الدولة قبل ان يستفحل امرها . فانتهزت تلك الدول ، وكذلك الصهيونية العالمية ، الفرصة للاستفادة من اخطاء زمرة من السياسيين العراقيين ، سواء كانوا في الحكم ، او في خارجه ، وقامت بدعايات مسمومة ، مستغلة في ذلك نكبة فلسطين وتأثيرها المرير على نفوس العرب عامة وعلى العراقيين المتحمسين لها خاصة . ودست عملائها في المظاهرات التي كانت تقوم ضد الحكومات العراقية ، في مختلف المناسبات ، والتي كانت

---

(١) كان الجيش العراقي اول جيش عربي نظامي ، تأسس في البلاد العربية ، في اعقاب الحرب العالمية الاولى . وقد نشأ وتأسس على تقاليد عريقة ومبادىء شريفة ، وضم منذ تكوينه نخبة ممتازة من الضباط ذوي الكفاءات والاخلاص لتربة الوطن ، والمثل القومية العليا ، وقد هابه الاعداء وامتلأت قلوب الاصدقاء محبة وتقديرا له واعجابا به .

وكان هذا الجيش وما زال محط الامل والرجاء ، واليه ترنو القلوب وتشرأب الاعناق في الشدائد والملمات ، واذا كنا نأخذ على نفر من السياسيين المغامرين اقحامه في مسالك السياسة الوعرة ، فان هذه المؤاخذة لا تغير نظرة الاعتزاز به ، والاجلال له . وكلنا امل ويقين بان قواده المخلصين لا بد وان يعيدونه الى ثكناته ليكون اكثر استعدادا ليتولى المهام المقدسة الملقاة على عاتقه وهي الدفاع عن الوطن المحبوب .

اكثرها تنظم بالاشتراك معها من قبل البسطاء والحاقدين امعانا في اضعاف الحكومة العراقية وزعزعة مكانتها ، لان العراق كان الدولة الوحيدة بين الدول العربية التي بقيت خارج نطاق الهدنة (١) .

ومما يؤلم القلب ان بعض البسطاء من ابناء البلاد كانوا قد خدعوا واشتركوا في تلك المظاهرات من دون ان يشعروا بما يبيت لهم وما يحيق بهم من اخطار ، كما ساندهم وشدد في تضليلهم اولئك الحاقدون الملحدون الذين كانوا على اتم استعداد للهدم والتخريب فدمروا ما وسعهم من تدمير في الدولة الفتية وجعلوها كالسفينة المحطمة التائهة في لجج البحار الهائجة لا يعرف مصيرها الا الله .

واني لاسأله تعالى ان ينجيها ويوصلها الى شاطىء السلامة لتستعيد مركزها السياسي والاقتصادي الذي كانت تتبوؤه ، والذي كان اكثر الدول تحسدها عليه، ذلك المركز الذيفقدته سيما في زمن عبد الكريم قاسم بالذات حين تغير الوضع وتلاشى ما كانت عليه الدولة من هيبة ووقار ، وذلك لتفكك عناصرها وعدم اتفاق الكلمة بين رجالها وتزايد الاختلافات والميول والنزعات والاتجاهات فيها ، الامر الذي ادى الى انتشار الفوضى في جهاز الدولة ودوائرها وعدم التمسك بالقوانين ، ورعاية الانظمة ، وخاصة ارتجال القوانين المجحفة بحقوق الشعب وعدم تأمين حاجاته الاقتصادية والاجتماعية .

فأرجو وأؤمل ان يعتبر القائمون بالحكم بما وقع وان يقوموا برأب الصدع ويضعوا نصب اعينهم كل ما هو مفيد ونافع للشعب العراقي الكريم ، ويكرسوا جهودهم لتحقيقه فقط . والله اسأل من صميم القلب ان يوفقهم لذلك .

---

(١) وقد برهن المرحوم عبد الجبار فهمي مدير شرطة بغداد سابقا ومتصرفها اخيرا على اشتراك الصهيونيين في مختلف المظاهرات التي حصلت في العراق ، وذلك بالوثائق والمستندات التي نشرها في كتب ضخمة (سموم الافاعي) وبصورة لا تقبل الشك.

مذكرة الملك فيصل

بغداد اذار ١٩٣٣

كنت منذ زمن طويل أحس بوجود أفكار وآراء حول كيفية ادارة شؤون الدولة ، عند بعض وزرائي ، ورجال ثقتي ، غير أفكاري وآرائي . وكثيرا ما فكرت في الاسباب الباعثة لذلك . وفي الاخير ظهر لي بأن ذلك ـ كان ولم يزل ناشئا عن عدم وقوفهم تماما على أفكاري ، وتصوراتي ، ونظري في شؤون البلاد ، وفي كيفية تشكيلها، وتكوينها ، والسير بها ، نظرا الى ما أراه من العوامل والمؤثرات المحيطة بها ، والمواد الانشائية المتيسرة ، وعوامل التخريب والهدم التي فيها ، كالجهل ، واختلاف العناصر ، والاديان ، والمذاهب ، والميول ، والبيئات . لذلك رأيت من الضروري ان افضي بأفكاري ، واشرح خطتي في مكافحة تلك الامراض ، وتكوين المملكة على أساس ثابت ، واطلع عليها اخصائي ، ممن اشتركوا واياي في العمل ، واني الخص خطتي مختصرا ، بجملة تحت هذا ، وبعد ذلك اتقدم الى تفصيل نظرياتي ومشاهداتي .

١ ـ ان البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها أهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ذلك هو الوحدة الفكرية والملية والدينية ، فهي والحالة هذه مبعثرة القوى ، مقسمة على بعضها ، يحتاج ساستها ان يكونوا حكماء مدبرين ، وفي عين الوقت اقوياء مادة ومعنى ، غير مجلوبين لحسيات او اغراض شخصية ، او طائفية ، او متطرفة ، يداومون على سياسة العدل ، والموازنة ، والقوة معا ، على

جانب كبير من الاحترام لتقاليد الاهالي ، لا ينقادون الى تأثرات رجعية ، او الى افكار متطرفة ، تستوجب رد الفعل .

٢ ـ في العراق افكار ومنازع متباينة جدا ، وتنقسم الى اقسام.

١ ـ الشبان المتجددون بما فيهم رجال الحكومة ٢ ـ المتعصبون ٣ ـ السنة ٤ ـ الشيعة ٥ ـ الاكراد ٦ ـ الاقليات غير المسلمة ٧ ـ العشائر ٨ ـ الشيوخ ٩ ـ السواد الاعظم الجاهل ، المستعد لقبول كل فكرة سيئة بدون مناقشة او محاكمة .

ان شبان العراق القائمين بالحكومة ، وعلى رأسهم قسم عظيم من المسؤولين ، يقولون بوجوب عدم الالتفات الى افكار وآراء المتعصبين، وارباب الافكار القديمة ، لانهم جبلوا على تفكير يرجع عهده الى عصور خوت ، يقولون بوجوب سوق البلاد الى الامام ، بدون التفات الى اي رأي كان ، والوصول بالامة الى مستواها اللائق ، وبالاعراض عن القال والقيل ، طالما القانون ، والنظام ، والقوة ، بيد الحكومة ترغم الجميع على اتباع ما تمليه عليهم .

ان عدم المبالاة بالرأي بتاتا مهما كان حقيرا، خطيئة لا تغتفر . ولو ان بيد الحكومة القوة الظاهرة ، التي تمكنها من تسيير الشعب رغم ارادته ، لكنت واياهم . وعليه فاننا لحين ما نحصل على هذه القوة ، علينا ان نسير بطريقة تجعل الامة مرتاحة ، نوعا ما ، بعدم مخالفة تقاليدها ، كي تعطف على حكومتها في النوائب .

ان المثل الصغير الذي ضربه لنا « الاضراب العام » يكفينا لتقدير حسياتها ، ووضعها موضع الاعتبار ، وكذلك يكفينا لتقدير مبلغ قوانا

لاخماد هياج مسلح ، ما قاسيناه ابان « ثورة الشيخ محمود » والنقص العددي البارز الذي ظهر في قواتنا العسكرية آنئذ • كل ذلك يضطرني ان اقول بأن الحكومة أضعف من الشعب بكثير • ولو كانت البلاد خالية من السلاح ، لهان الامر ، لكنه يوجد في المملكة ما يزيد عن المائة الف بندقية ، يقابلها ١٥ الف حكومية ، ولا يوجد في بلد من بلاد الله حالة حكومة وشعب كهذه • هذا النقص يجعلني اتبصر ، وادقق ، وادعو انظار رجال الدولة ، ومديري دفة البلاد ، للتعقل وعدم المغامرة •

ألمحت فيما تقدم الى افكاري الخاصة ، وافكار رجال الحكومة ، والشبان ، وحالة الشعب كل ذلك توطئة لما سأقوله فيما يلي ، وتصوير البلاد كما أراها في الوقت الراهن ، وكما اشخص امراضها ، وبعد ذلك ابين ايضا ما اراه ضروريا لمعالجتها •

٣ ــ العراق مملكة تحكمها حكومة عربية سنية مؤسسة على انقاض الحكم العثماني ، وهذه الحكومة تحكم قسما كرديا اكثريته جاهلة ، بينه اشخاص ذوو مطامع شخصية يسوقونه للتخلي منها بدعوى انها ليست من عنصرهم • واكثرية شيعية جاهلة منتسبة عنصريا الى نفس الحكومة ، الا ان الاضطهادات التي كانت تلحقهم من جراء الحكم التركي ، الذي لم يمكنهم من الاشتراك في الحكم ، وعدم التمرن عليه ، والذي فتح خندقا عميقا بين الشعب العربي المنقسم الى هذين المذهبين ، كل ذلك جعل مع الاسف هذه الاكثرية ، او الاشخاص الذين لهم مطامع خاصة الدينيون منهم ، وطلاب الوظائف بدون استحقاق ، والذين لم يستفيدوا ماديا من الحكم الجديد • يظهرون بأنهم لم يزالوا مضطهدين لكونهم شيعة ، ويشوقون هذه

الاكثرية للتخلي عن الحكم الذي يقولون بأنه سيء بحت ، ولا ننكر ما لهؤلاء من التأثير على الرأي البسيط الجاهل .

اخذت بنظري هذه الكتل العظيمة من السكان ، بقطع النظر عن الاقليات الاخرى المسيحية ، التي يجب ان لا نهملها ، نظرا الى السياسة الدولية التي لم تزل تشجعها للمطالبات بحقوق غير هذه وتلك. وهناك كتل كبيرة غيرها من العشائر كردية وشيعية وسنية ، لا يريدون الا التخلي من كل شكل حكومي ، بالنظر لمنافعهم ، ومطامح شيوخهم ، التي تتدافع بوجود الحكومة .

تجاه هذه الكتل البشرية ، المختلفة المطامع والمشارب المملوءة بالدسائس ، حكومة مشكلة من شبان مندفعون ، اكثرهم متهم بأنهم سنيون او غير متدينين ، او انهم عرب ، فهم مع ذلك يرغبون في التقدم، ولا يريدون ان يعترفوا بما يتهمون به ، ولا بوجود تلك الفوارق ، وتلك المطامع بين الكتل التي يقودونها . يعتقدون بأنهم اقوى من هذا المجموع ، والدسائس التي تحرك هذا المجموع ، غير مبالين ايضا بنظر السخرية التي يلقيها عليهم جيرانهم الذين على علم بمبلغ قواهم .

اخشى ان اتهم بالمبالغة ، ولكنه من واجبي ان لا ادع شيئا يخامرني ، خاصة لعلمي بأنه سوف لا يقرأ هذا الا نفر قليل ، ممن يعلمون وجائبهم ومسؤولياتهم . ولا ارغب ان ابرر موقف الاكثرية الجاهلة من الشيعة ، وانقل ما سمعته ألوف المرات ، وسمعه غيري من الذين يلقون في اذهان اولئك المساكين البسطاء من الاقوال التي تهيجهم ، وتثير ضغائنهم ، ان الضرائب على الشيعي ، والموت على

الشيعي ، والمناصب للسني • ما الذي هو للشيعي ؟ حتى ايامه الدينية لا اعتبار لها ، ويضربون الامثلة على ذلك ، مما لا لزوم لذكرها •

اقول هذا على سبيل المثال ، وذلك للاختلافات الكبرى بين الطوائف التي يثيرها المفسدون ، وهناك حسيات مشتركة بين افراد الطوائف الاسلامية ، ينقمون بمجموعهم على من لا يحترمها ، وهناك غير هذا دسائس آثورية ، وكلدانية ، ويزيدية ، والتعصب للتفرقة بين هؤلاء الجهلاء توهن قوى الحكومة تجاه البسطاء ، كما ان العقول البدوية ، والنفوذ العشائري الذي للشيوخ ، وخوفهم من زواله بالنسبة لتوسع نفوذ الحكومة ، كل هذه الاختلافات وكل هذه المطامع والاحتراصات ، تشتبك في هذا الصعيد وتصطدم ، وتعكر صفو البلاد وسكونها ، فاذا لم تعالج هذه العوامل بأجمعها وذلك بقوة مادية ، وحكيمة معا ردحا من الزمن ، حتى تستقر البلاد وتزول هذه الفوارق وتتكون الوطنية الصادقة ، وتحل محل التعصب المذهبي ، والديني ، هذه الوطنية التي سوف لا تكون الا بجهود متمادية ، وبسوق مستمر من جانب الحكومة ، بنزاهة كاملة ، فالموقف خطر •

وفي هذا الصدد اقول وقلبي ملآن أسى انه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد ، بل توجد كتلات بشرية ، خالية من أي فكرة وطنية ، مشبعة بتقاليد واباطيل دينية ، لا تجمع بينهم جامعة ، سماعون للسوء ، ميالون للفوضى ، مستعدون دائما للانتقاض على أي حكومة كانت ، فنحن نريد ــ والحالة هذه ان نشكل من هذه الكتل شعبا نهذبه ، وندربه ، ونعلمه ، ومن يعلم صعوبة تشكيل وتكوين شعب في مثل هذه الظروف ، يجب ان يعلم ايضا عظم الجهود

التي يجب صرفها لاتمام هذا التكوين ، وهذا التشكيل •

هذا هو الشعب الذي اخذت مهمة تكوينه على عاتقي ، وهذا نظري فيه ، وان خطتي في تشكيله وتكوينه هي كما يلي :

في اعتقادي ، وان كان العمل شاقا ومتعبا ، الا انه ليس مما يوجب اليأس والتخوف ، اذا عولج بحكمة وسداد رأي واخلاص •

اذا قامت الحكومة بتحديد خطة معينة ، وسارت عليها بجد وحزم، فان الصعوبات تجابه ، وبارقة الامل في الرسوخ السياسي تزداد نورا • والاحظ ان منهاجا يقرب مما سأذكره ادناه ، يكون كافلا لمعالجة المهمة والنجاح • واليك بالاختصار اولا ، ثم بالتفصيل •

١ ــ تزييد قوة الجيش عددا ، وبشكله الحاضر ، بحيث يصبح قادرا على اخماد أي قيام مسلح ينشب في آن واحد ، على الاقل ، في منطقتين متباعدتين •

٢ ــ عقب اتمام تشكيل الجيش على هذه الصورة ، تعلن الخدمة الوطنية •

٣ــ وضع التقاليد والشعائر الدينية بين طوائف المسلمين بميزان واحد ، مهما امكن ، واحترام الطوائف الاخرى •

٤ ــ الاسراع في تسوية مشكلة الاراضي •

٥ ــ توسيع المأذونية لمجالس الالوية والبلديات بقدر الامكان على انموذج القانون العثماني •

٦ ــ الاسراع في تشكيل مدرسة الموظفين •

٧ ــ الاعمال النافعة ، وحماية المنتوجات •

٨ ــ المعارف •

٩ ــ تفريق السلطة التشريعية ، والسلطة الاجرائية •

١٠ ــ تثبيت ملاك الدولة •

١١ ــ وضع حد للانتقادات غير المعقولة ضد اجراءات الحكومة في الصحف والاحزاب

١٢ ــ العدل والنظام والاطاعة في الموظفين ، والعدل عند قيامهم بوظائفهم •

١ ــ بدأت بالجيش ، لاني اراه العامود الفقري لتكوين الامة ، ولاني اراه في الوقت الحاضر أضعف بكثير بالنسبة لعدده وعدده من ان يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه ، وهي حفظ الامن والاطمئنان الى امكانية كفاءته ، نظرا الى ما تتطلبه المملكة ، ونظرا الى العوامل المختلفة الموجودة ، والتي يجب ان تجعلنا دائما متيقظين لوقوع حوادث عصيان مسلح في كل وقت •

انني لا اطلب من الجيش ان يقوم بحفظ الامن الخارجي في الوقت الحاضر الذي سوف تتطلبه منه بعد اعلان الخدمة العامة ، اما ما سأطلبه منه الآن ، هو ان يكون مستعدا لاخماد ثورتين تقعان (لاسمح الله) في آن واحد ، في منطقتين بعيدتين عن بعضهما • انني غير مطمئن الى اننا بعد ستة اشهر ، وبعد ان تتخلى انكلترا عن مسؤوليتها في هذه البلاد ، تتمكن من الوقوف لوحدنا ، ما دامت القوة الحامية هي غير كافية • ولا يمكنني ان أوافق على تطبيق الخدمة العامة ، او القيام

بأي اجراءات اخرى هامة ، او محركة ، او مهيجة ، ما لم اكن واثقا بأن الجيش يتمكن من حماية تنفيذ هذا القانون ، او اي اجراءات اخرى ، وعليه ارى من الضروري ابلاغه لحد يتمكن معه من اجابة رغبتي المار ذكرها وذلك بشكله الحاضر •

ارى انه من الجنون القيام بانشاءات واصلاحات عظمى في البلاد، قبل ان نطمئن الى كفاية القوة الحامية لهذه الاعمال • امامنا حركات بارازان في الربيع القادم ، ومن الضروري ان ارى بيدنا قوة احتياطية لمجابهة أي طارىء آخر يحدث في المملكة •

٢ ـ علينا ان نطمئن معنويات اخواننا الشيعة بالكيفية الآتية :

(١) اعطاء التعليمات الى قاضي بغداد ـ كما عمل ـ ان يسعى لتوحيد ايام الصيام ، والافطار وهذا ممكن وشرعي •

(٢) تعمير العتبات المقدسة ، حتى يشعروا بأن الحكومة غير مهملة لتلك المقامات ، التي هي مقدسة لدى الجميع ، والتي هي كذلك من الآثار التاريخية التي تزين البلاد ، فعلى الحكومة من كل الوجوه محافظتها من الخراب •

(٣) ان رجال الدين من الشيعة ليس لهم اي ارتباط مع الحكومة، وهم في الوقت الحاضر أجانب عنها ، خاصة حيث يرون ان رجال الدين السنيون ، يتمتعون بأموال هم محرومون منها والحسد (خاصة في الطبقة الدينية) معلوم ، فعلينا ما دمنا غير قادرين على تقسيم الاوقاف فيما بينهم ، ان نفتكر في ايجاد اوقاف خاصة ، ومن رأيي ان ذلك ممكن بالطريقة التي كنت تشبثت بها غير ان الظروف حالت بيني وبين تحقيقها •

٣ ــ ان احترام الشعائر العامة غير عسير ، خاصة في ايام رمضان، والحيلولة دون تفشي الموبقات ، واذا تمكنت الحكومة من سد بيوت الخناء ، لقامت بأكبر عمل يربط العامة بها .

٤ ــ لم اتكلم عن الضرائب ، اذ ان قانون ضريبة الاستهلاك قطع قول كل مفسد ، وأنه لاكبر عمل جرى ، ولسوف تقتطف ثمراته ان شاء الله .

٥ ــ ان مشكلة الاراضي وحلها سيربط الاهالي بالاراضي ، وهو ذا مساس كبير بالشيوخ ونفوذهم ، ولا لزوم للاسهاب بمنافعه ، ويجب الاسراع بتطبيقه ، على قدر المستطاع ، كما انه يجب ان لا يحس الشيوخ والاغوات بأن قصد الحكومة محوهم ، بل بقدر ما تسمح لنا الظروف يجب ان نطمنهم على معيشتهم ورفاهيتهم .

٦ ــ ارجو ان تكون قضية المدرسة مطمنة لكل سكان العراق ، بأنهم سيشتركون فعلا في خدمات الدولة ، والاشتراك في خيرها وشرها مع اهل بغداد والموصل بصورة متساوية ، ونزول تهمة (الحكومة السنية او العربية) كما يقول اصحاب الاغراض ، من اكراد وشيعة .

٧ ــ اقول بتحفظ : انه اذا امكن اعطاء صلاحيات للالوية ، شبيهة بمجالس الولايات في العهد العثماني ، فسيكون ذلك من جملة أسباب تشويق سكان الالوية للاشتراك بالحكم .

٨ ــ لقد تحدثنا كثيرا حول تفريق السلطة التشريعية ، عن السلطة الاجرائية ، ويجب عمل ذلك بتعديل القانون الاساسي

٩ ــ علينا ان لا ندع مجالا للاحزاب (المصطنعة) والصحف ،

والاشخاص ، ليقوموا بانتقادات غير معقولة ، وتشويه الحقائق ، وتضليل الشعب ، وعلينا أن نعطيهم مجالا للنقد النزيه المعقول ، وضمن الادب ، ومن يقوم بأمر غير معقول ، يجب ان يعاقب بصرامة .

١٠ ـ على موظفي الدولة أن يكونوا آلات مطيعة ، ونافعة ، حيث هم واسطة الاجراءات ، ومن يحس منه انه يتداخل مع الاحزاب المعارضة ، او يشوق ضد الدولة ، ينحى عن عمله ، وعليه ان يعلم بأنه موظف قبل كل شيء خادم لاي حكومة كانت .

١١ ـ النافعة : أتيت بهذا الاسم الجديد ، ورجعت الى التعبير التركي ، حيث رأيت انه (اشمل) للاعمال المختلفة في مرافق الامة . حسنا عملنا في السنة الماضية بتخصيص مبالغ للاعمال الرئيسية ، ولا ننكر ان ذلك القانون صدر بصورة مستعجلة ، على ان يكون قابلا للتحوير ، والتبديل ، في بعض مواده ، عندما نرى ضرورة لذلك ، وفي اعتقادي انه من الضروري اعادة النظر في مواده ، خاصة قسم الابنية والطرقات .

اقول بكل اسف : ان الزراعة افلست في بلادنا ، بالنظر لبعد مملكتنا عن الاسواق . لقد وضعنا الملايين لانشاءات الري ، ولكن ماذا نريد ان نعمل بالمحاصيل ؟ اننا في الوقت الحاضر عاجزون عن تصريف ما بأيدينا من منتوجات اراضينا ، فكيف بنا بعد اتمام هذه المشروعات العظيمة ؟ هل القصد تشكيل اهرامات من تلك المحاصيل الخام والتفرج عليها ؟ ماذا تكون فائدتنا منها اذا لم تتمكن من اخراجها الى الاسواق الاجنبية او استهلاكها في الداخل على الاقل ؟ ما الفائدة من صرف تلك الملايين قبل ان نهيء لها اسواقا تستهلكها ونحن

مضطرون الى جلب الكثير من حاجاتنا من الخارج ؟

اعتقد انه من الضروري اعادة النظر من جديد في موقفنا الاقتصادي ، نرى جيراننا الاتراك والايرانيين ، باذلين اقصى جهودهم للاستغناء عن المنتوجات الاجنبية ، وكم هي العقبات التي وضعوها لمنع دخول الاموال الاجنبية بلادهم ، وكيف لا يبالون بصرف الاموال الطائلة لانشاء المعامل لسد حاجتهم .

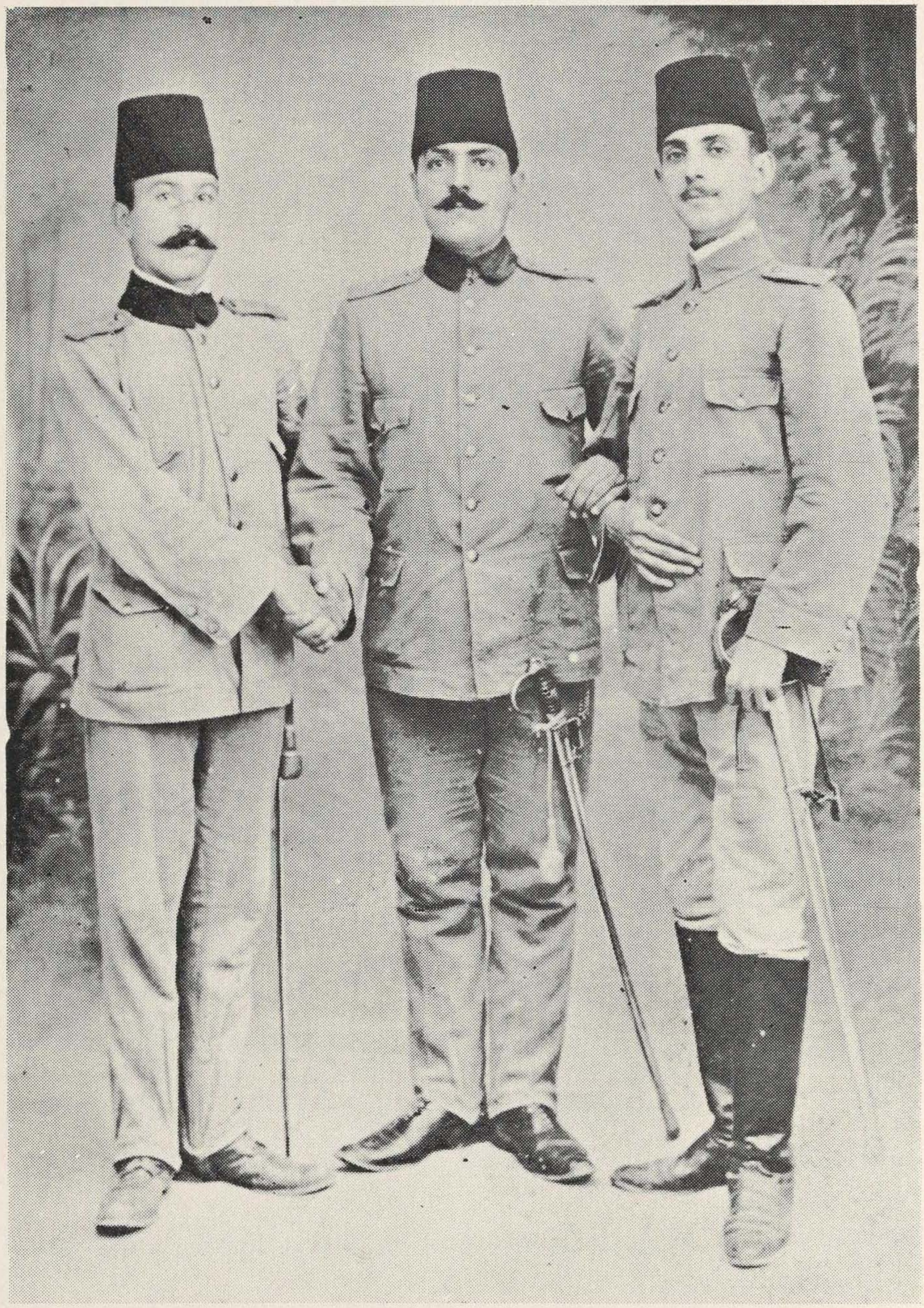
علينا ان نقلع عن السياسة الخاطئة التي أتتنا عن سبيل تقييد الامم المتشبثة ، وعلينا ان نعاون المتشبثين من ابناء الوطن بصورة عملية فعالة وعلينا ان نعطي الانحصارات لابناء البلاد الى مدد معينة الذين فيهم روح التشبث . واذا لم يظهر طالب او راغب لانشاء عمل صناعي ترى الحكومة انه مربح ، فعليها ان تقوم هي به ومن مالها الخاص او بالاشتراك مع رؤوس اموال وطنية اذا امكن والا فأجنبية او كلاهما معا .

على الحكومة ان تشكل دائرة خاصة لدرس جميع المشاريع الصناعية على اختلاف انواعها كبيرة كانت او صغيرة وتبدأ ببناء الاهم فالمهم وترشد الاهلين الى كيفية التشبث بالاعمال الصغرى وتقوم هي بالاعمال الكبرى اذا تعذر القيام بها من قبل الاهالي .

انه لمن المحزن والمضحك والمبكي معا ان نقوم بتشييد ابنية ضخمة بمصاريف باهظة وطرق معبدة بملايين الروبيات ولا ننسى الاختلاسات وتصرف اموال هذه الامة المسكينة التي لم تشاهد معملا يصنع لها شيئا من حاجاتها . واني احب ان ارى معملا لنسيج القطن بدلا من دار حكومة واود ان ارى معملا للزجاج بدلا من قصر ملكي .

« فيصل »

امام الصفحة (١٢)



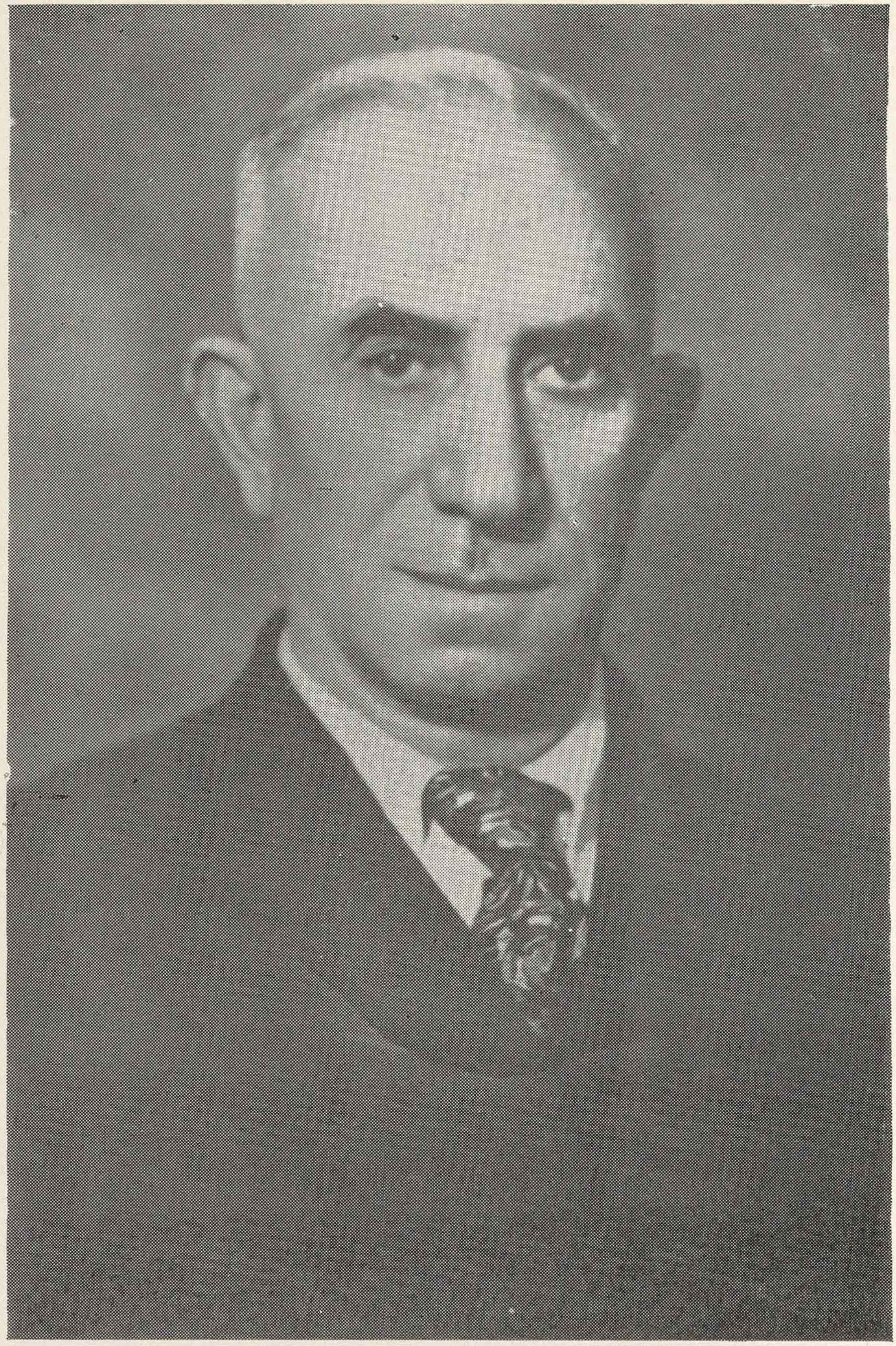
ذكرى عهدنا لخدمة القضية العربية مع جعفر العسكري
ونوري السعيد سنة ١٩٠٨

امام الصفحة (٩٧)



مع رفاق الجهاد في ((الثورة العربية الكبرى)) عام ١٩١٦

امام الصفحة (١١٢)



قائد الدرك في تلعفر جميل محمد آل خليل
وقد استثناه قرار العفو العام الصادر في اذار ١٩٢١

امام الصفحة (١٤٥)



زيارة الملك فيصل الاول لكربلاء في حزيران ١٩٢١ قبل تتويجه

امام الصفحة (١٦٠)



مع الملك فيصل الاول اثناء زيارته للاثار القديمة في خر ساباد ((الموصل سنة ١٩٣٣))

امام الصفحة (١٦١)



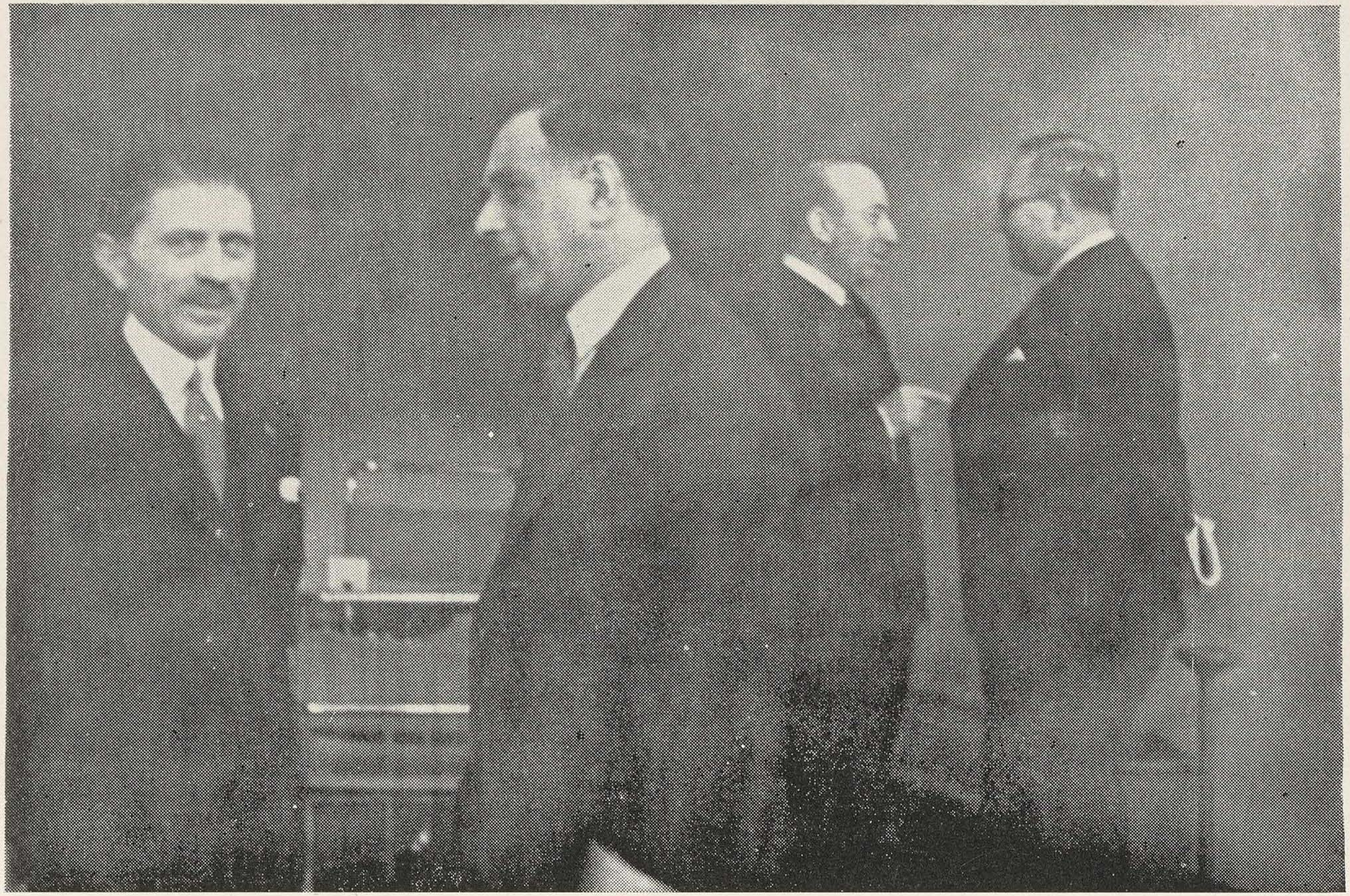
في وزارة جعفر العسكري الاولى
وبعد ان مضى على العهد خمسة عشر سنة من النضال
وتم تأسيس الدولة العراقية

امام الصفحة (١٧٦)



اعضاء المجلس التأسيسي العراقي في حزيران ١٩٢٤

امام الصفحة (٢١٧)



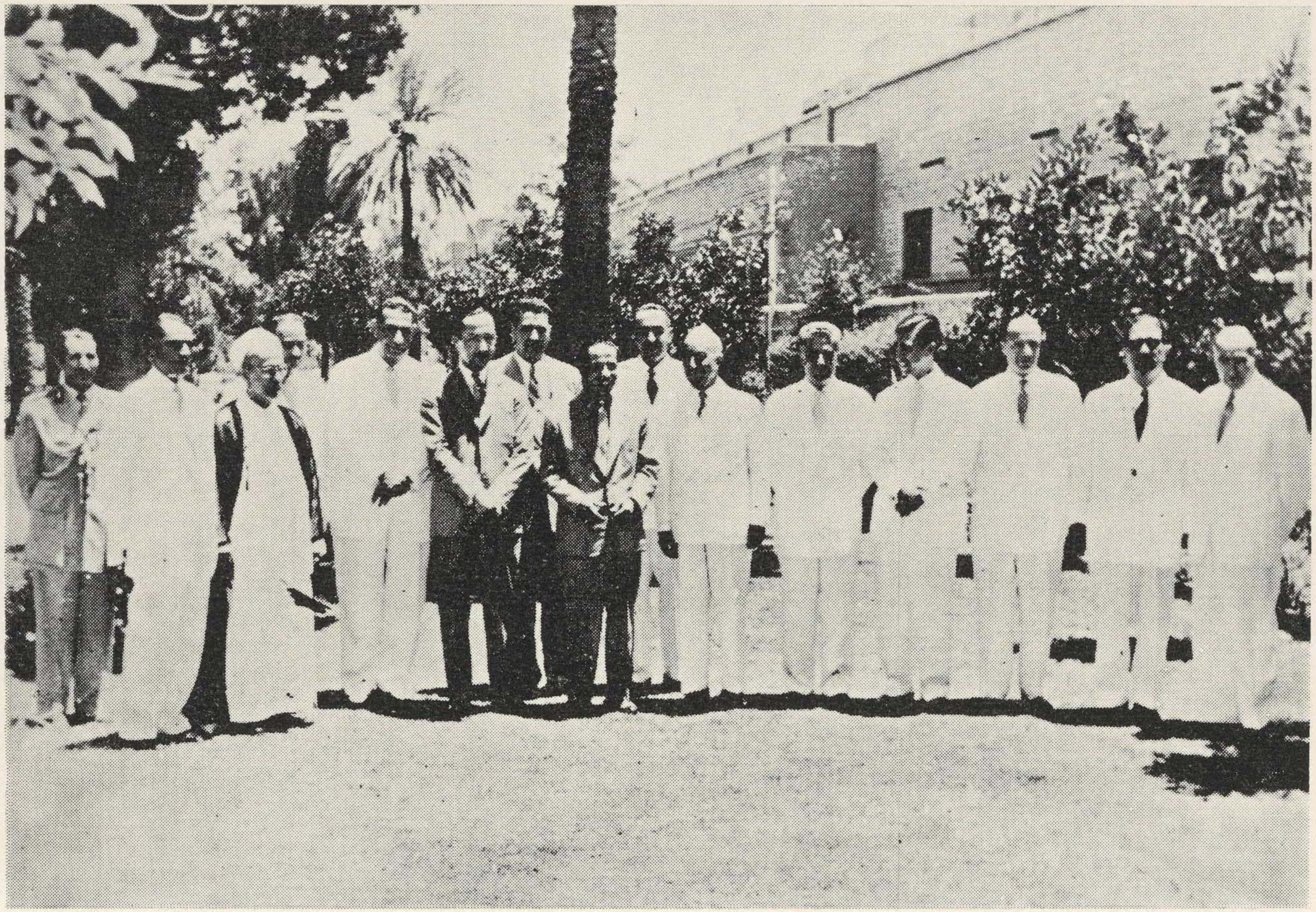
حوار مع السيد الكاظمي وزير خارجية ايران في عصبة الامم جنيف عام ١٩٣٤

امام الصفحة (٢٧٥)



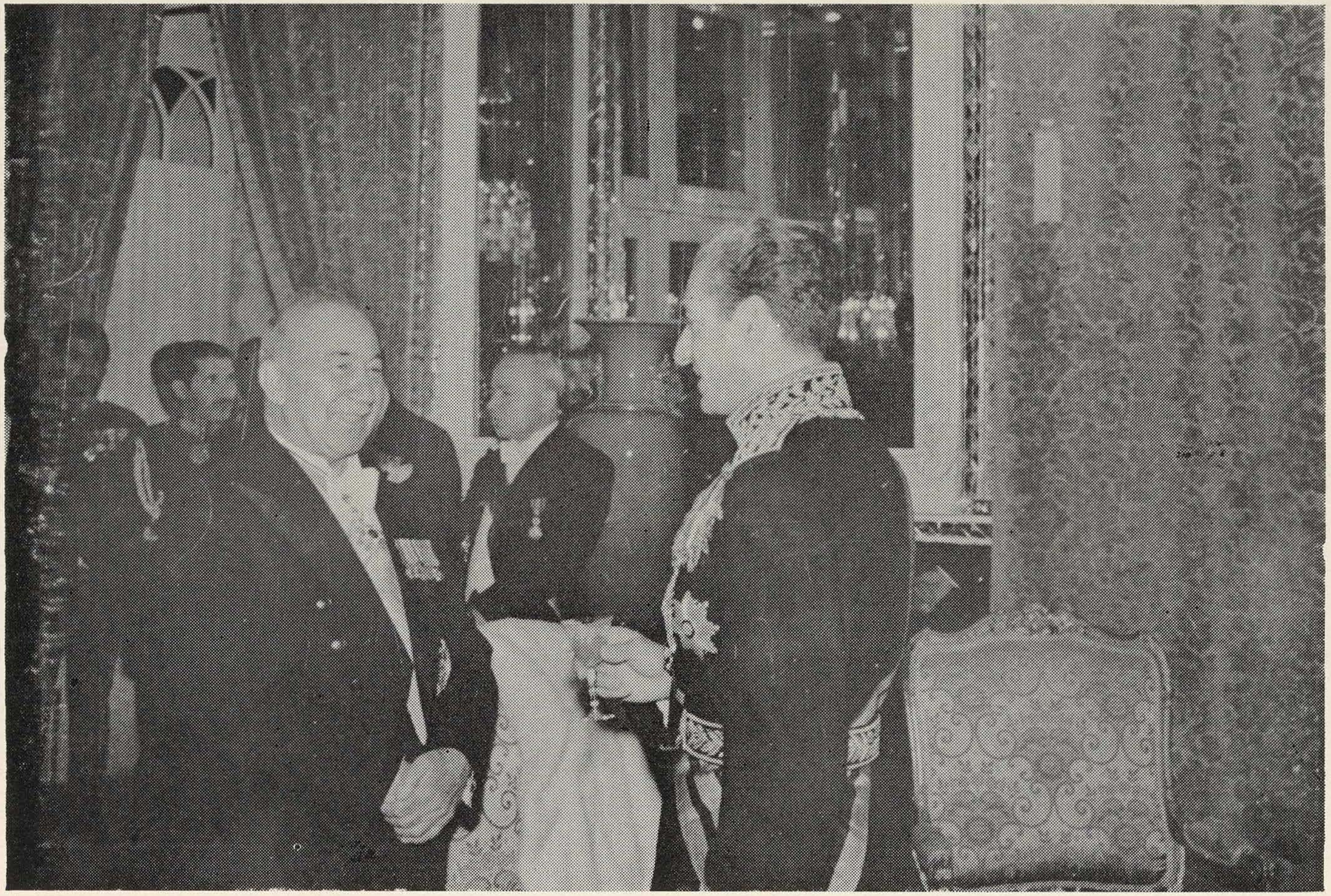
اعضاء « الوزارة الثانية » المؤلفة في ١٠ كانون الاول ١٩٤٩

امام الصفحة (٢٨٦)



اعضاء ((الوزارة الثالثة)) المؤلفة في ٢٠ حزيران ١٩٥٧

امام الصفحة (٣٣٧)



مع جلالة شاه ايران سنة ١٩٥٧

وقع خطأ في صفحة ٢٧٥ آخر سطر الصواب هــو :

(١) STRUGGLE FOR SYRIA PATRICK SEALE P. 83

الفهرس

المحتوى	الصفحة
مقدمة	7
النشأة الأولى	13
الذهاب الى الكلية العسكرية في الأستانة	18
في بغداد	25
ناظم باشا في العراق	28
الحرب العالمية الأولى	31
في الميدان العربي	37
شريف مكة الحسين بن علي	39
في طريقنا الى الحجاز	40
مع الأمير فيصل	48
ابا اللسل والمفرزة الشمالية (الجحفل السيار)	50
المفرزة الشمالية	51
في أربعة ايام فقط	52
يوم الزحف	53
مشكلة الماء	55
الحركة نحو الشام	66
البحث عن الهاشمي	68
وصول الأمير فيصل الى الشام	70
في سورية	73
السير مارك سايكس في حلب	77
حاكما عسكريا في البقاع	79
اعلان استقلال سورية والعراق في دمشق في 8 آذار سنة	88
بعد اعلان الاستقلال	90

البدء بالحركة للثورة	97
تشكيل حملة تلعفر	105
الاستمرار على الهجمات ضد الانكليز وتشجيع الثوار وسوقهم الى الفتك بهم اينما وجدوهم	131
الحكم الوطني في العراق	143
وصول الملك الى بغداد	147
متصرفية الحلة	148
المفتشين الاداريين الانكليز وتحيزهم الى بعض رؤساء العشائر	153
زيارتي للمتحف	156
متصرفية كربلاء	158
في لواء المنتفك	161
الناصرية	162
زيارة الملك فيصل للواء	167
مشكلة الأراضي في لواء المنتفك	168
وزيرا للداخلية	171
التجنيد الألزامي	175
العلم العراقي	176
اتفاقية النفط	178
متصرفية لواء ديالى	182
استيفاء حصة الحكومة من الحاصلات الزراعية	187
متصرفية البصرة	190
تعاطي الأفيون في البصرة	194
اشتراكي في وزارة نوري السعيد الأولى	196
حزب الاخاء	201
رئاسة الديوان	202
زيارة الملك فيصل لملك بريطانيا	207

الوضع المالي للملك فيصل	209
حادثة الآثوريين	210
تطور القضية الآثورية	213
رئاسة الوزارة الأولى	216
وصاية الامير عبد الاله على عرش العراق	224
وزيرا للخارجية في وزارة نوري السعيد الرابع	226
الوفد العراقي الى المملكة السعودية	226
محضر	230
اعلان الحرب العالمية الثانية	237
القوانين التي تستلزمها حالة الحرب	239
قدوم المفتي الحسيني الى العراق	240
مقتل وزير المالية رستم حيدر	242
في امريكا	250
استئجار دار للمفوضية	256
تقديم أوراق الاعتماد	256
البدء في العمل	261
النفوذ الصهيوني في الحكومات البريطانية	264
الوزراة الثانية	275
التطورات المصرية وأثرها في وضع العراق	286
الوزارة الثالثة	296
الوضع في سوريا	306
السفر الى الاستانة بمناسبة خطبة الملك فيصل الثاني	319
اجتماع ممثلي الدول الاسلامية في ميثاق بغداد (في انقرة)	326
البيان المشترك	332
زيارة المملكة الايرانية	337
طلب حل مجلس النواب	340

زيارة المملكة السعودية	342
الخاتمة	344
مذكرة الملك فيصل	356
صور نادرة (تم تحويلها الى نهاية الكتاب مراعاة للتسلسل)	367
التصويبات	378
المحتويات	379

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

مطابع الوفاء